القرآن وتأليه المسيح؟!

الفكر التنصيري والقرآن الكريم

محمد أحمد صبرة

حقوق الطبع والنشر للجميع ولكل دور النشر

الطبعة الأولى الإلكترونية سنة ٢٠١٧

للتراسل مع المؤلف :

https://www.facebook.com/m.s.tartus

m.s.tartus@gmail.com

٠٠٩٦٣٩٨٨٢٨٩٨٩٢

مقدمة الكتاب

إن المسلمين في دينهم قاسم مشترك بين الديانات كلها، فهم يؤمنون بموسى ويوقرونه ويعتبرون التهجم على مكانته كفرا بالإسلام، وهم بذلك يؤمنون بعيسى، ويكرمون مولده وينزهون نسبته، ويرون الطعن في عفاف أمه أو شرف ابنها كفرا بالإسلام، وهم يضمون إلى إيمانهم بموسى وتوراته، وعيسى وإنجيله، إيمانا جديدا بمحمد وقرآنه، على أساس أن النبوة الأخيرة جاءت تصديقا لما قبلها، ومحوا للفوارق والخلافات التي مزقت شمل العالم أجمع: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٦٤)} (النحل). فالإسلام هو يهودية موسى ونصرانية عيسى معا، وهداية من قبلهما من رسل الله الأكرمين جميعا: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (١٣٦)} (البقرة).

ومن هذا الشرح تجد أن الانكماش والتعصب والاتهام والتهجم ليس من طبيعة الإسلام وأهله، ولكنه طبيعة من يرون أن يؤمنوا بموسى فقط، ويتعبدوا لله بالطعن في عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، أو يريدون الإيمان بعيسى فقط، ويعتبرون من جاء بعده دجالا يحاربه النصارى بالسيف إن كانوا أكثرية، ويحاربونه بالدس والمؤامرات إن كانوا قلة. ومن هذا الشرح ترى لماذا اتسع صدر الإسلام للأديان الأخرى، فهو يعطيها حق الحياة معه، في الوقت الذي ضن فيه المسيحيون بحق الحياة، لا على المسلمين فحسب، بل على المذاهب المسيحية الأخرى.

ومن هذا الشرح تعرف السر في جحود صنيعنا الذي أسديناه طوال أربعة عشر قرنا. إن إخواننا المسلمين الذين أوقعهم سوء الحظ بين جماهير المسيحيين في روسيا ويوغوسلافيا وأسبانيا وجنوب إيطاليا... إلخ؛ قد هلكوا جميعا، أما الأقليات المسيحية في ربوعنا الفسيحة، فقد اعتنت وتكاثرت وعزت، ولكنها مع ذلك لا تستريح لما ترى، ولماذا؟ لأنها لا تقر عينا إلا إذا طمست معالم الإسلام، وارتد عامره بلقعا، إن المسلمين في نظرهم خوارج على المسيحية، وهم قوم يتبعون أميّا أساء إلى الكنيسة وكهنوتها. وعندما تطوي قلبك على شعور التنقص والازدراء لامرئ ما فإنك لن تقر له بإحسان، ولن تعترف له بجميل"[١].

وصف العلامة محمود شاكر الهجمة المعاصرة على القرآن أبلغ وأصدق وصف فقال: "لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة، أو ينازل ضلال بهدى، أو أن يصارع باطلا بحق، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة، بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الإسلامي جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة، وينصب في عقولا لا تدرك إلا ما يريد لها أن هو تعرف، فكانت جرائمه في تحطيم أعظم ثقافة إنسانية عرفت إلى اليوم ، كجرائمه في تحطيم الدول وإعجازها مثلا بمثل " [٢].

---

[١] – التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة، د. ت، ص٦٥، ٦٦.

٢ – عن مقدمة كتاب (الظاهرة القرآنية) مالك بن نبي ص ٢١ . ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢هـ . ١٩٨١م.

والهجمة المعاصرة على القرآن الكريم أشدُّ ضراوةً من كلِّ ما سبق؛ اتخذت في سبيل تحقيق غرضها وسائل متعددة ما بين كتب مؤلفة وقنوات فضائية متخصصة بالطعن، ومواقع على شبكة الإنترنت، وندوات ومؤتمرات يصرح المنصّرون برغبتهم في إقصاء الإسلام؛ فالمنصر جسب يود أن يمحو الإسلام من العالم، ويصرح غيره بأن الغاية من عملهم هي: (القضاء على الأديان غير النصرانية) [١]، بل قامت أمريكا بتأليف قرآن مزعوم تحت عنوان "الفرقان الحق"، والمدهش في كل ما ذكر أن القرآن الكريم هو المنتصر فكريا ، لأن البون شاسع بين كلام الله الذي جعله الله هداية ورحمة وطمأنينة لمن لاذ به وآمن به، وبين تخاريف البشر وزيفهم ، وسيظل الصراع دائر بين الخير والشر بين الحق والباطل وتلك سنة الله في خلقه [٢].

وما أكثر الكتبة المأجورين وعدد المواقع (الغربية والعربية) لا من أجل مهاجمة وشيطنة الإسلام والمسلمين فحسب، ولكن خاصة من أجل إدانة القرآن الكريم ومحاولة تفنيده. فالخلية الفاتيكانية التي لا تكل ولا تهدأ من تقديم كتبة جدد لمواصلة هذه الحرب، القائمة على عدم أمانة لا مثيل لها، من أجل استبعاد الإسلام والمسلمين ومحاولة المساس بمصداقية القرآن الكريم وتحميله كافة مآخذ ونواقص الكتاب المقدس، تعمل بلا هوادة.. والمعادلة جد ساخرة بما أننا حيال كتاب مقدس تم تحريفه، ملئ بالمفاسد والتبديل والتحريف والحذف إلى درجة اختفت معها النصوص الأصلية تحت ذلك الزخم، ومن ناحية أخرى نجد نصا منزّلا، لم يخضع لأي عملية من عمليات التحريف نص متفرد، لا يمكن محاكاته، مبهر ومعجز في آن واحد، فقد تم توثيق القرآن الكريم بدقة متناهية تفوق التصور، بحيث من المحال أن يناله أي تلاعب إذ أننا نعلم أن عدد السور ١١٤؛ والآيات ٦٢٣٦، وكلماته ٧٧٤٣٩ . وإن كان العدد يختلف وفقا للقراءات ؛ وعدد الجذور ١٧٩٠ [٣].

والسؤال لماذا يخرج القرآن منتصرًا في كل المعارك التي قامت ضده؟

باختصار: إذا تجاوزنا سحره الروحي وتأثيره النفسي وبيانه الساطع ونقاشه العقلي والمنطقي فالقرآن الكريم يملك ما لا تملكه الكتب الأخرى. ويكفى أن نتدبر التالي :

القرآن هو الكتاب المتفرد، وحده الذى بَرَّأ المرأة من خطيئة إخراج آدم من الجنة، وحده الذى وصف الإله بما يليق به من كمالات، وحده الذى أثبت العصمة للأنبياء لأنهم أسوة للبشرية، وحده الذى أنصف الآخر وجعله جزءًا من نسيجه، وحده المتفرد في وضوح العقيدة فلا لبس فيها، وحده المنفرد باللغة الراقية والأخلاق الرفيعة، وحده الذى حُفِظ حفظًا إلهيا من التحريف أن تعبث به يد البشر، وحده هو الذى توافق مع حقائق العلم الحديث، لهذا كله كانت ولا تزال كل المعارك التي ضد القرآن خاسرة .. لماذا؟ .. الجواب في كلمة واحدة .. لأنه كلمة الله.[٤].

تناثر عبر الشبكة العنكبوتية وفي مواقع التواصل الاجتماعي شبهات وتهم دنيئة وغبيّة ، حول آي القرآن الحكيم ، ممتلئة سموما وفهما سقيماً ، سايره ضعف في فهم أساليب القرآن ولغة العرب من أبنائه ، مما أدى

---

[١] – د. فروخ. الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٣٦ ، ٤٥ ،المكتبة العصرية. بيروت ١٩٨٦م.

[٢] – موسوعة بيان الإسلام : الرد على الافتراءات والشبهات (ج ١ ص ٤٥) نخبة من كبار العلماء . دار نهضة مصر للنشر ، ط١/يناير ٢٠١٢

٣ – أ.د . زينب عبد العزيز مقال منشور على صفحة صيد الفوائد بإسم: "القرآن: إعجاز علمي" .وراجع د. محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي ص ٢٨، مركز دراسات العالم الإسلامي مالطة، ١٩٩٢م. ود. فروخ. الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٣٩ المكتبة العصرية. بيروت ١٩٨٦

[٤] – موسوعة " بيان الاسلام " بقلم كبار العلماء ، ج ١ ص ٤٦ وما بعدها . مرجع سابق

لجهل فاضح في معرفة بنية تلك الشبهات وما تحمله في ثناياها من أخطاء وغباء أو تغابي مقصود ، تبعه تصديق كثير من تلك الشبهات من قبل طبقة تدعي العقلانية والفهم ، وهي بعيدة كل البعد عن فهم الحقيقة وما تشير له تلك الآيات ، فنشطت لجمع معظم تلك الشبه والرد عليها وشرح لغة العرب وأساليبهم وأساليب القرآن في النظم والسرد ، فتولد منها هذا الكتاب ، أسأل الله أن يجعله مقبولا ومفيدا.

وكلمة عتاب لأهل الكتاب: كنا ننتظر منهم ونحن وهم أبناء أسرة الديانات السماوية والتشريعات الإلهية ، وكتابنا وكتابهم تنزّل من مكان واحد وأبونا وأبوهم واحد (ابراهيم ﷺ) أن يكونوا عونا لنا ضد الوثنيات والديانات الأرضية والإلحاد ، كنا ننتظر منهم –وهم إخوة لنا في الدين والنسب –إذا ناقشوا أو جادلوا أهل الإسلام في شيء أن يكون ذلك بروح المودة والمحبة والتفاهم المخلص والرغبة الصادقة في الوصول للحقيقة لكنهم كانوا علينا لا لنا وحربا ضدنا لا معنا ،فطعنوا في كتابنا بروح العنف والشدة ، والحقد والضغينة ،وهاجمونا بدافع البغض والكراهية والبغي والعدوان ،وطعنونا ظلما وجورا في صميم عقيدتنا وأصولنا :فرموا الإسلام بالإكراه في الدين والتعصّب والدعوة إلى الفجور وأنه سبب تخلف الشعوب ، وقاموا بحرب تشكيك في القرآن ونبيّ الإسلام ، ويبذل المبشرون غاية جهدهم لتشويه الحقائق وقالوا أن الإسلام منح النصارى وظيفة الإفتاء في الدين الإسلامي كما قال الأنبا شنودة في رسالته (القرآن والمسيحية) (ص ٤) وقال : لم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب بل وضع القرآن النصارى في مركز الإفتاء في الدين وساق الآيات التي تؤيد زعمه ،وأن النصارى ناجين وإن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وكتابه بزعمه كما يقول القرآن .!!.

ولقد جاء كتاب (مستعدين للمجاوبة) أقرب "للمنشور التنصيري" أكثر من كونه كتاباً وأغلب الظن أن اسم المؤلف د. سمير مرقص غير حقيقي، وهو يرسم منهاج عرض المسيحية على غير المسيحيين وليس موجهاً لدعم إيمان المسيحي بعقيدته، فهو يتحدث عن الكلام بلطف ووداعة مع المخالفين وخدمتهم، حتى لو أساءوا! وهو يستشهد على هذا المنهج بآيات من الأناجيل، كما يطلب هذا المنهج معرفة معتقدات الآخرين، ودراسة كتبهم، ومعرفة ما يسيئون فهمه من الكتاب المقدس، ويستشهد لهذا المنهج أيضاً بآيات من الأناجيل.

ولأن أوراق هذا الكتاب وأمثاله لم تقف عند عرض العقائد المسيحية والدفاع عنها وتقديمها لغير المسيحيين بهدف تنصيرهم. وإنما تجاوزت هذه الاهداف إلى التعرض لعقائد الإسلام، وذلك بمحاولات الاستدلال بالقرآن الكريم على صحة العقائد المسيحية التي يرفضها القرآن والإسلام.. بل تجاوز هذا الكتاب ذلك إلى الطعن في عقائد إسلامية أساسية، محاولاً تفنيدها.. وسلوك سبيل الكذب والتدليس على علماء الإسلام من مثل الإمام الفخر الرازي والإمام البيضاوي لجعل القرآن والإسلام يشهد لتواتر الكتاب المقدس، واستحالة تحريفه.. والقبول بعقيدة صلب المسيح عليه السلام وتأليهه!. جاء هذا الكتاب الذي بين أيديكم.

وفي الختام: أسأل الله القبول، وأن يكون الكتاب سد ثغرة في نقد الفكر التنصيري عامة في هجومه على آيات القرآن باعتبارها تؤيد المسيحية وتؤيد أزلية المسيح وتأليهه تعالى الله، وجل في علاه.

اللهم تقبل وبارك.

البحث التمهيدي

١-ترويج المزاعم وإثارة الشبهات:

اتجه أهل الكتاب في جدلياتهم ضد القرآن إلى إثارة الشبهات والمزاعم حول المصدر الإلهي للقرآن الكريم، وكانت أفكار يوحنا الدمشقي ضد الإسلام هي المنطلق والفرضية الأساسية التي بنيت عليها مزاعم وشبهات الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم ومصدره، فمنذ أرسى الدمشقي دعائم جدليته الأساسية (الإسلام هرطقة مسيحية) ولا زال الجدل التنصيري يرددها عبر مراحله المختلفة ففي العصور الوسطى تلقفها توما الاكويني الذي صبغ العصور الوسطى برؤيته فوصف الإسلام بأنه دين زائف وهرطقة بدعية مسيحية [١]

وفي العصر الحديث أكّد المبشر الأمريكي ماكدونالد مؤسس مدرسة كنيدي لإعداد الإرساليات التبشيرية، وصاحب الدراسات الواسعة عن الإسلام ومؤلف أكثر من مادة من مواد دائرة المعارف الإسلامية ، أكّد فيها على أن (**الإسلام مسيحية مهرطقه**)[٢]، وتجسدت هذه الجدلية في الأعمال الأدبية والفنية التنصيرية ففي الكوميديا الإلهية لدانتي الذي كان يتبنى الفلسفة اللاهوتية لتوما الاكويني يظهر محمد ﷺ في فصل (كانتو) ٢٨ من الجحيم، وقد وُضع في الدائرة الثامنة من دوائر الجحيم التسع، وهي دائرة من الخنادق الكئيبة التي تحيط بمعقل الشيطان ولا يفصل بين محمد وقعر الجحيم حيث يقبع الشيطان سوى المزيفين والخونة مثل: (يهوذا الإسخريوطي، وبروتس الروماني)، وهو يسوّي بينه في استحقاق العقوبة وبين قسيس شهواني مرتد ادعى لنفسه مكانة دينية بارزة اسمه: (فرا دولشينو)، بينما يضع كلًّا من ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين في الدائرة الأولى من الجحيم حيث يقاسون أخف ألوان العقاب لأنهم أفاضل فاتتهم فقط نعمة الوحي المسيحي [٣].

فالقرآن ليس كتابًا سماويًّا أصيلا بل كتاب هرطقة وكفر وزندقة **فهو تلفيق من اليهودية والنصرانية**، يقول المستشرق اليهودي إبراهام جيجر في كتابه (ماذا اقتبس محمد من اليهودية) : " إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود" [٤]، ويؤكد اليهودي برنارد لويس: " أن محمدًا خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحًا في القرآن" [٥]، ويشرح جولد تسهر قائلا: "تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرًا عميقًا، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة . . . . فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يُعد هذه التعاليم وحيًا إلهيًّا " [٦] .

لقد صيغت مؤلفات عديدة بجميع اللغات الأوروبيّة في تغذية عروق هذه الدعوى بالبراهين المركّبة، دون أن يخضع البرهان إلى الفحص والتقويم، في استحضار للواقع الفكري القروسطي الذي لخّصه لنا قول نورمان دانيال: كلّ الكتّاب النصارى في القرون الوسطى يميلون إلى التمسك بخرافات غريبة حول الإسلام ونبيّه،

١- Montgomery Watt , The Influence of Islam on Medieval Europe , p. 74, Edinburgh up 1972.

٢- إدوارد سعيد ، الاستشراق ، بترجمة كمال أبو ديب، ص ٢٢٠ مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ط٢: ١٩٨٤م.

٣- إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ص ٩٧ ، مرجع سابق .

٤- محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص ١٠٨، دار الآفاق الجديدة، ط٢، بيروت ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.

٥- غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ١١٢، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ.

٦- جولدتسهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ،ص ١٢ ، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ، القاهرة ١٩٤٨م .

فاستعمال دليل باطل لمحاربة الإسلام كان أمرًا شائعا في العالم.[١] إلاّ أنّ كتاب المستشرق اليهودي الألماني أبراهام جايجر[٢] ماذا أخذ محمد من اليهوديّة ؟[٣][٤] قد فتح لهذه الفرية الطريق إلى المنصّات الأكاديميّة ودراسات أعلام المستشرقين[٥] فقد استنسخ جوْهر هذا البحث Nöldeke[٦]، الصديق الحميم (لجايجر)، وتابع هذا المنهج الذي Goldziher [٧] Gustav Weil [٨] ، Josef Horovitz [٩] Abraham Katsh [١٠].

ثم خرج ويليام سنت كلير تسديل[١١] على القرّاء بكتابه The Original Sources of the Qur'ân ليفتح الباب على مصراعيه لنسبة قصص من القرآن الكريم إلى النصرانية الهرطقيّة، ووجد مؤلّفه رواجًا كبيرًا رغم أنّه ليس بحثًا علميًا، وإنّما هو مُزَعٌ رديئة من الدعايات التنصيريّة على حد تعبير الناقد فرنسوا دو بلوا [١٢][١٣]

وتكاد الدراسات الحاليّة القائلة بهذا الاقتباس، تتوقّف فيما يتعلق بالأصول الكتابيّة عند المصادر التي حدّدها كلّ من جايجر وتسديل لتبقى أصول الشبهة دائرة في مجال كتابيهما، مع تعديلات طفيفة للإيحاء بطرافة البحث وجديّته،

لا ريب أنّ الاستشراق التنصيري هو المصدر الأوّل لدعوى الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب فهو الذي اختلقها، وهو الذي رعاها نطفة، فجنينًا، فوليدًا، وهو الذي وظّف كتابات الاستشراق غير الكنسيّ لخدمة هدفه، وهو الذي يروّج لهذه الدعوى بكثافة في كلّ اللغات المتاحة لديه وهي كثيرة جدً.

ويستدل الخوري الحداد المبشر اللبناني في جدليته الضخمة ضد أصالة القرآن [١٤] على صحة مزاعم أسلافه من المنصرين، بقوله: " فوجود العالِم المسيحي ورقة بن نوفل في جوار محمد خمسة عشر عامًا قبل

---

[١] - Norman Daniel, Islam and the West, Oxford: Oneworld, 1993, p.267

[٢] - أبراهام جايجر (١٨١٠م-١٨٧٤م): لاهوتي يهودي ألماني، شغل وظيفة حبر. من أعلام اليهود الإصلاحيين.

[٣] - ألّف الكتاب أولًا باللغة اللاتينيّة تحت عنوان Inquiratur in fontes Alcorani seu legis Mohammedicae eos, qui ex Judaismo derivandi sunt)) وشارك به مؤلّفه في مسابقة في كليّة الفلسفة في بون سنة ١٨٣٢م، ثم ترجم إلى الألمانيّة ليكون أطروحة دكتوراه في ماربورغ سنة ١٨٣٤م.

[٤] - كتبَ أبراهام جايجر بعد هذا المؤلّف بثلاثين سنة كتابًا لإثبات أنّ النصرانيّة تعود في أصولها إلى اليهوديّة الفريسيّة، وفي حين استقبل كتابه ضدّ القرآن بترحاب غامر في أوروبا، لقي كتابه عن النصرانيّة ردودًا عنيفة وقاسية. (انظر؛ Susannah Heschel, Abraham Geiger and the Jewish Jesus, Chicago: University of Chicago Press, 1988, p.52)

[٥] - لقي الكتاب مع ذلك معارضة من عدد من النقاد؛ فقد طعن المستشرق Henrich Lebrecht Fleischer في موضوعيّة مؤلّفه معتبرًا أنّ عقيدته كانت حاسمة في صياغة الكتاب، وقال المستشرق دو ساسي إنّ المؤلّف قد بالغ في ادّعاءاته؛ إذ إنّ الكثير من الأفكار المشتركة بين الإسلام واليهوديّة التي أوردها جايجر تتبنّاها جلّ الأديان في العالم. (انظر؛ المصدر السابق، ص٥٩)

[٦] - تيودور نولدكه (١٨٣٦م-١٩٣٠م): من أعلام المستشرقين الألمان. له اهتمام بدراسة الإسلام واللغات الساميّة.

[٧] - جولدتسهير (١٨٥٠م-١٩٢١م): مستشرق يهودي هنغاري. من أهم من اشتغل في التشكيك في السنّة النبويّة، وقد نسب الفقه الإسلامي إلى القانون الروماني.

[٨] - غوستاف فيل (١٨٠٨م-١٨٨٩م): مستشرق يهودي ألماني. له مؤلّفات في القرآن والسيرة وتاريخ الخلفاء.

[٩] - جوزف هورونز (١٨٧٤م-١٩٣١م) حبر يهودي أرثوذكسي. مستشرق ألماني. أسّس قسم الدراسات الشرقيّة في الجامعة العبريّة في القدس، وكان رئيسه.

[١٠] - أبراهام كاتش (١٩٠٨م-١٩٩٨م) يهودي كان جده من الأحبار متخصص في اللغة العبريّة أدخل تدريس اللغة العبريّة الحديثة في مقررات الجامعات الأمريكيّة

[١١] - ويليام سنت كلير تسديل (١٨٥٩م-١٩٢٨م): منصّر بريطاني، كانت له عناية باللغات الشرقيّة.

[١٢] - François de Blois, "Review of Ibn Warraq's The Origins Of The Koran: Classic Essays On Islam's Holy Book", in Journal Of The Royal Asiatic Society, 2000, Volume 10, Part 11, p. 88 (Quoted by, M S M Saifullah & Imtiaz Damiel, Comments On Geiger & Tisdall's Books On The 'Sources' Of The Qur'ân)

[١٣] - حصر ((هـ. شفارزبوم)) بيليوغرافيًا عناوين الدراسات التي تناولت موضوع اقتباس القرآن الكريم من مصادر يهوديّة ونصرانيّة حتى سنة ١٩٨٢م، انظر؛ H. Schwarzbaum, Biblical and Extra-Biblical Legends in Islamic Folk Literature, Waldorf-Hessen: Verlagtur Orientkunke, 1982

[١٤] - صدرت هذه الجدلية منتصف القرن العشرين في أربع مجلدات طبعتها مطبعة حريصا البولسية في لبنان بعنوان دروس قرآنية ، مع عنوان خاص لكل كتاب ، يجسد فيه مضمون جدليته ، وجاءت على النحو التالي : . ١ . الإنجيل والقرآن . ٢ . القرآن والكتاب . ٣ . القرآن والكتاب وهو تكملة للجزء الثاني . ٤ . نظم القرآن والكتاب . وقد تصدى له الشيخ محمد عزة دروزة في ردٍّ تفصيلي في كتابه القرآن والمبشرون الصادر عن المكتب الإسلامي بدمشق ، في مؤلف عدّه الدكتور فريد مصطفى من أفضل ما كتب الشيخ دروزة . راجع : فريد مصطفى سليمان ، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم ، ص ٤٢٤ ، مكتبة الرشد ، الرياض ١٤١٤هـ ١٩٩٣م . عن كتاب الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن ص ٦٠ .

البعثة ، وأعوامًا بعدها في أوائل الدعوة ووجود هذه الحاشية الكريمة في المدينة مع النبي في كل زمان ومكان حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها ، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها ، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل" [1] .

ورغم افتقاد النصرانيّة لأدنى الأصول العلميّة السليمة التي تسمح لها أن تطأ بقدمها أرض التدافع الديني، ورغم أنّ (دلائل صدق النصرانية) كما يقدمها أئمة التنصير هي نفسها عند العقلاء (دلائل بطلان النصرانية)[2] فإنّ المنصّرين إذا ما ولّوا أمرهم إلى الطعن في الإسلام، فإنهم يصنعون من الخاطر العابر أسطورة شائكة، ومن الأثر الساقط رواية متواترة، ومن الظنّ المرجوح حقيقة قاطعة ..

والذي يعجب له الناظر في مصنّفات الدفاعيين النصارى يرى أنّ هؤلاء الكتّاب إذا كانوا بصدد الردّ على الطعون في أسفارهم وعقائدهم، يعمدون إلى أبعد الفروض وأغرب الاحتمالات لدفع التناقض وردّ الزلل عن مقدساتهم[3]، لكنهم إذا ما أنشبوا أقلامهم في صحائف القرآن الكريم، تبدّل الحال وتهيّجت النفوس فينكر القوم على المسلمين أوضح البراهين، وأصحّ الأسانيد، وأنقى المتون، متشبثين بأوهى اعتراض، وأوهن شبهة، وأرق احتمال.

٢ – السبب المباشر للكتاب:

في مدينة "كلن إير" بولاية "كولورادو" بأمريكا الشمالية عقد المنصرون الأمريكيون في ١٥ مايو سنة ١٩٧٨م أخطر مؤتمرات التنصير.. وأكثرها طموحاً، فبعد أن كانت أهداف التنصير في صفوف المسلمين هي: التنصير بين المسلمين.. طمحوا في هذا المؤتمر إلى تنصير كل المسلمين، وطي صفحة الإسلام من الوجود!

وبعد أن كان التنصير مرتبطا بالغزو الاستعماري الغربي لعالم الإسلام، وبلاد الجنوب الأمر الذي ربطه بالاستعمار، وقلل جاذبيته وقبوله قرر المنصرون في هذا المؤتمر التنصير من خلال اختراق القرآن والثقافة الإسلامية، ليكون الإسلام بابا لعقائد النصرانية، ولتكون مصطلحات القرآن حول "كلمة الله" و"روح الله" أوعية تصب فيها المضامين النصرانية!.

ولقد قالت وثائق وتوصيات هذا المؤتمر عن هذا الهدف.. هدف اختراق الإسلام، للتنصير من خلاله:

"إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. وإن النظام الإسلامي هو أكثر الأنظمة الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا، إنه حركة دينية معادية للنصرانية، مخططا تخطيطا يفوق قدرة البشر. ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، تؤسس حول العالم، بواسطة النصارى، للتركيز على الإسلام، ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام، وللتعامل النصراني مع الإسلام، وإنما لتوصيل ذلك الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء"[4]!..

---

[1] – الحداد ، القرآن والكتاب (٢ /١٠٦٠) مرجع سابق .

[2] – أشهر هذه (الدلائل) نبوءات العهد القديم بظهور يسوع المسيح، ولا يكاد يخلو كتاب تنصيري من ذكرها أو ذكر بعضها، وقد فندتُ كلّ هذه النبوءات التي ادعاها مؤلفو الأناجيل الأربعة، في كتابي محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة ص ١٨٨–٢٢٩ مكتبة النافذة ٢٠٠٧م، وهي في حقيقتها، قاطعةٌ أن كتّاب الأناجيل كانوا بشرًا مسوقين باجتهاداتهم الشخصية التي تعارض العقل والوحي.

[3] – انظر مثلًا منيس عبد النور في كتابه شبهات وهميّة حول الكتاب المقدس الذي يعتبر إنجيل المنصّرين العرب.

٤ – التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي وثائق المؤتمر الترجمة العربية ص ٧٥٢ طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي مالطا سنة ١٩٩١م.

إن هدفنا هو غرس المسيح وتعاليمه في الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية.. وأن ندعو إلى "مسيح متجسد بشكل إسلامي"، كي نصل إلى المسلمين..[1].. ولذلك، فعلينا أن نعطي اهتماماً خاصاً باستخدام الموضوعات القرآنية ذات الصلة بالتنصير، من مثل كلمة الله وروح الله ورفع عيسى إلى الله.. والاستفادة من المكانة الجليلة التي يتمتع بها يسوع في الإسلام، لنجعلها نقطة انطلاق لإقناع المسلمين بصحة ما يرويه الإنجيل عنه.

إن المسالة النهائية هي ماهية المفاتيح والحلول التي يمكن أن يقدمها لنا القرآن لزرع الثقة بالإنجيل في العالم الإسلامي.

إن المسلمين بحاجة إلى أن يتم اللقاء بهم داخل إطار الإسلام.. وذلك دون أن يكون هناك مكان لمحمد بجانب المسيح!.. ويُفَضَّل النصارى العرب في عملية التنصير.. كما يجب الاعتماد على الكنائس المحلية في تنصير المسلمين.. وعلى العمالة الأجنبية.. واستغلال الكوارث، التي تلجئ البلاد الإسلامية لطلب المساعدات، فتجعلها أكثر قبولاً للمنصّرين"!![2].

ومنذ ذلك التاريخ ١٩٧٨م اعتمد التنصير والمنصرون في العالم الإسلامي هذا المخطط، الذي رسمه هذا المنهاج الجديد للتنصير مخطط اختراق الإسلام.. وليس المواجهة الحادة والمباشرة مع الإسلام!.

ولقد جاء كتاب (مستعدين للمجاوبة) نموذجاً تطبيقياً يجسد هذا المخطط الذي رسم في مؤتمر كولورادو أواخر سبعينات القرن العشرين، فصورة أوراق هذا الكتاب تجعله أقرب إلى "المنشور التنصيري" أكثر من كونه كتاباً كما يقول د. محمد عمارة، وعنوان الكتاب يعلن أنه موجه إلى غير المسيحيين.

وأغلب الظن أن اسم المؤلف د. سمير مرقص غير حقيقي.. فليس بين نصارى مصر، المشتغلين بالفكر الديني في حدود علمي من يحمل هذا الاسم.. وإنما هناك مهندس.. لا يحمل الدكتوراه – له نفس الاسم.. لكنه يكتب في "شئون المواطنة".. وليس في المسائل اللاهوتية والكلام للدكتور عمارة.

والتقديم في هذا الكتاب يرجح أنه "منشور تنصيري".. لأنه يرسم منهاج عرض المسيحية على غير المسيحيين.. وليس موجهاً لدعم إيمان المسيحي بعقيدته، فهو يتحدث عن الكلام بلطف ووداعة مع المخالفين.. وخدمتهم، حتى لو أساءوا..! وهو يستشهد على هذا المنهج بآيات من الأناجيل، كما يطلب هذا المنهج معرفة معتقدات الآخرين، ودراسة كتبهم، ومعرفة ما يسيئون فهمه من الكتاب المقدس، ويستشهد لهذا المنهج أيضاً بآيات من الأناجيل.

وبسبب من أن أوراق هذا "المنشور التنصيري" لم تقف عند عرض العقائد المسيحية.. والدفاع عنها.. وتقديمها لغير المسيحيين بهدف تنصيرهم. وإنما تجاوزت هذه الاهداف إلى التعرض لعقائد الإسلام، وذلك بمحاولات الاستدلال بالقرآن الكريم على صحة العقائد المسيحية التي يرفضها القرآن والإسلام.. وأكثر من هذا، تجاوز هذا "المنشور التنصيري" ذلك إلى الطعن في عقائد إسلامية أساسية، محاولاً تفنيدها.. وسلوك سبيل

---

١ – المصدر السابق ص ١١٧.

٢ – المصدر السابق. ص ٦٨، ١٢٠، ٢١٧، ٦٤٥، ٥٩٥، ٥٩٦، ٣٨٣، ٤، ٥ – ولقد طبعت وثائق هذا المؤتمر بالإنجليزية سنة ١٩٨٧م
The Gospel and Islam Compendium
وانظر في تفاصيل هذا المخطط كتاب (الغارة الجديدة على الإسلام) د. محمد عمارة طبعة نهضة مصر – القاهرة سنة ٢٠٠٧م. – وهي الطبعة الرابعة لهذا الكتاب.

الكذب والتدليس على علماء الإسلام من مثل الإمام الفخر الرازي (٥٤٤– ٥٠٦ هـ ١١٥٠– ١٢١٠م) والإمام البيضاوي (٦٩١هـ – ١٢٩٠م) لجعل القرآن والإسلام يشهد لتواتر الكتاب المقدس، واستحالة تحريفه.. والقبول بعقيدة صلب المسيح عليه السلام وتأليهه!. جاء هذا الكتاب الذي بين أيديكم.

٣– منهج أهل الكتاب في إلقاء الشبهات عن الإسلام

الأساليب والمسالك الأربعة المتّبعة في إثارة الأباطيل حول القرآن[١]

١– الكذب والتلاعب في النصوص لاختراع الشبهة:

وهو مسلك درج في ظلماته مثيرو الشبهات والأباطيل حول القرآن الكريم حين أعيتهم الحيل أن يجدوا في القرآن مطعنا ، فلما علموا أن الكذب بضاعة ينطلي باطلها على الكثيرين من الدهماء والعامة الذين لن يتيسر لهم اكتشاف هذه الأكاذيب؛ أشرعوا فيه سفنهم، فما زالوا يكذبون، حتى إخالهم لكثرته صدقوا أنفسهم فيما يدعون.

وصور كذبهم كثيرة، أكتفي بالتمثيل لها مبتدئا بما قاله وهيب خليل في سياق حديثه عن معجزات المسيح المذكورة في القرآن: "وإن كان بعض المفسرين يحاولون أن يقللوا من شأن السيد المسيح في المقدرة قائلين : إنه يصنع هذا بأمر الله، فنجد أن الإسلام يشهد أن هذه المقدرة هي لله فقط"[٢]. ومن المعلوم عند كل مسلم أو غيره مطلع على القرآن الكريم أن الذي أحال معجزات المسيح إلى قدرة الله وإذنه هو القرآن الكريم، وليس مفسروه {وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني} (المائدة: ١١٠) .

ومن الكذب زعم مؤلفي كتاب شهير؛ اختص بإثارة الأكاذيب على القرآن "التعليقات على القرآن" أن حفاظ القرآن الأربعة ماتوا قبل جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد .. فإن هؤلاء الأربعة ماتوا قبل جمع القرآن .. ولما رأى أبو بكر هذا الحال جزع من ضياع القرآن"[٣]

وقولهم هذا كذب صراح ولا ريب، لأن هؤلاء الأربعة أدركوا جميعا عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، أي أدركوا جمع أبي بكر فأبو الدرداء ولي قضاء دمشق في عهد عمر ، ومات قبل موت عثمان بسنتين. ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر في طاعون عمواس سنة ١٧هـ.وأما ثالثهم زيد بن ثابت فهو من جمع القرآن في عهد الصديق ثم عثمان، ومات سنة ٤٥ هـ، أي في زمن معاوية رضي الله عن الجميع. ورابعهم أبو زيد سعد بن عبيد الأنصاري ،وقد قتل يوم القادسية في زمن الخليفة عمر بن الخطاب .

ومن صور الكذب أيضا طعن القس العربي الفلسطيني أنيس شروش في عربية القرآن أمام جمهور من الأعاجم الذين لا يعرفون العربية، بقوله: "لكن محمدا استعمل كثيرا من الكلمات والجمل الأجنبية في القرآن

---

١ – عن كتاب تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ، د. منقذ السقار ص ١١-٢٢ ، مرجع سابق

٢ –استحالة تحريف الكتاب المقدس، وهيب خليل، ص (١٣٣)، والقس وهيب خليل هو الاسم الحقيقي للقمص مرقس عزيز الذي يجد حاليا في الطعن بالإسلام والكذب عليه في قناته الفضائية.

٣ – تعليقات على القرآن، ص (٢٩). نقلا عن كتاب منقذ السقار تنزيه القرآن ص ١٢ ، مرجع سابق

... في كتاب ادعى أن الله أوحاه بالعربية[1]، ومن المؤكد أن القارئ العربي يعرف أنه لا يوجد في القرآن جملة واحدة غير عربية، فقد نزل بلسان عربي مبين، لكن الدكتور شروش يهذي بهذا أمام أعاجم، ولا يستحي من الكذب عليهم. ولما أراد القبطي الأرثوذكسي ثروت سعيد تزكية المسيحيين واعتبارهم مؤمنين بشهادة القرآن الكريم قال في كتابه "حقيقة التجسد"، الذي قدمه وراجعه له كل من الأنبا الكاثوليكي يؤانس زكريا والقس البرتستنتي الدكتور منيس عبد النور: "إذا كان اعتقاد القرآن بشرك النصارى؛ فلماذا يصرح في آياته بحلال الزواج من أهل الكتاب .. كما أن نبي الإسلام تزوج من اليهوديات والمسيحيات، وهن: مريم القبطية، وأنجب منها إبراهيم (المسيحية)، وريحانة بنت شمعون النضيرية (اليهودية)، وصفية بنت حيي بن أخطب القريظية (اليهودية)، وجويرية بنت الحارث المصطلقية (اليهودية) [2].

وقوله بزواج النبي ﷺ من يهوديات ومسيحية كذب صراح، فإنما تزوجهن رسول الله ﷺ بعد دخولهن في الإسلام . ويكفي في بيانه أن ننقل بعضا من الحوار الذي جرى بين النبي ﷺ وصفية حين أراد الزواج بها، فقد قال لها: «اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك». فقالت صفية: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي[3]. فتزوجها رسول الله وهي مسلمة.

وأما ريحانة فتكذب دعوى المبطلين، وتذكر أن رسول الله تزوجها بعد أن أسلمت، وتقول: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمت أعتقني رسول الله وتزوجني، وأصدقني اثنتي عشرة أوقية[4]. ويواصل ثروت سعيد الكذب فيزعم أن قوله تعالى: {وإن منكم إلا واردها} (مريم: ٧١) ينبئ بدخول النار والإحراق فيها لكل بني آدم، وينقل عن "جلال الدين يفسر كلمة {واردها} بالدخول والاحتراق" [5]، وقد كذب في نسبة الإحراق إلى السيوطي، فهو غير موجود في شيء من كتبه.

ثم يمضي المبطل فيستشهد لكذبه وباطله بقول النبي ﷺ : «الورود الدخول، ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها»، والحديث الذي يستشهد به ضعيف لا يصح نسبته إلى النبي ﷺ وهو أمر قد يجهله فيعفى عنه في ذلك، لكن شيئا لن يبرر نقله من الحديث ما يروق له، وإعراضه عن تمامه، لمناقضته قوله ودحضه كذبه، فالحديث بتمامه: «الورود الدخول، ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار أو قال: لجهنم ضجيجا من بردهم {ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا} (مريم: ٧٢) [6]، فخاتمة الحديث تثبت نجاة المؤمنين من الإحراق، لكن الكذب والتدليس حيلة من لا حيلة عنده.

---

١ – مناظرة: القرآن الكريم والكتاب المقدس. أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات وأنيس شروش، ص (١١٥ – ١١٦).)

٢ – حقيقة التجسد، ثروت سعيد رزق الله، ص (١٩٢ – ١٩٣). عن تنزيه القرآن للسقار ص ١٣

٣ – أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٢٣). الناشر :دار صادر بيروت ، تحقيق احسان عباس ، ط١/ ١٩٦٨

٤ – أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٣٠). الناشر :دار صادر بيروت ، تحقيق احسان عباس ، ط١/ ١٩٦٨

٥ – حقيقة التجسد، ثروت سعيد رزق الله، (٣٥). عن السقار مرجع سابق .

٦ – أخرجه أحمد في المسند ح (١٤٥٦٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٣٠)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح (٤٧٦١).

ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب "الحق" حين زعم أن رسول الله لما مات انتظر المسلمون قيامه كما قام المسيح، فلما لم يقم ارتد المسلمون عن الإسلام"، ومن المعلوم أن القرآن صرح بمثلية رسول الله لسائر البشر في خاصية الموت، وقد صرح القرآن بموته، ولم يرد شيء فيه أو عن رسولنا يفيد قيامتهﷺ من الموت، وقد روي عن عمر أنه قال مثل هذا القول لحظة ذهوله عند فاجعته برسول الله وسرعان ما أفاق منه، وأما حركة الردة فقد بدأت إبان حياته ﷺ بظهور الأسود العنسي، وفشت بعد وفاته، ولم يكن من دواعيها مثل هذا القول الذي ذكره النصراني،

٢. تحريف معاني النصوص وتفسيرها بمعان مشكلة:

يلجأ الطاعنون في القرآن إلى تحريف ألفاظ النصوص الإسلامية وتفسيرها بمعان مشكلة لا يوافق عليها عالم من علماء المسلمين، ومن ذلك قول البابا شنودة: "ولم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب، بل أكثر من هذا، وضع القرآن النصارى في مركز الإفتاء في الدين، فقال: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك} (يونس: ٩٤)، وقال أيضا: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} (النحل: ٤٣) [١]. ومثله في تحريف معاني النص القرآني قول مؤلفي كتاب "تعليقات على القرآن" في تعليقهم على قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} (الأنعام: ٣٨) : "ولا شك أن القرآن لا يشتمل على أكثر العلوم من المسائل الأصولية والطبيعية والرياضية والطبية، ولا على الحوادث اليومية، بل ولا على ذات قصص الأنبياء؛ فإذن لا يكون كلامه هذا مطابقا للواقع"[٢]، فقد جهلوا أو تجاهلوا أن آية سورة الأنعام لا تتعلق بالقرآن، بل باللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير كل شيء، قال الطبري: "فالرب الذي لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدواب في الأرض، والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء؛ أحرى أن لا يضيع أعمالكم، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها". [٣]

والآية بمنطوقها واضحة في الدلالة على هذا المعنى الذي ذكره الطبري: {وما من دآبة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون} [الأنعام: ٣٨]، ومثلها قول الله: {وما من دآبة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين} [هود: ٦] ، فالكتاب الذي حوى مقادير الخلائق وأرزاقها هو اللوح المحفوظ؛ لا القرآن الكريم.

ثم لو فرضنا أن القرآن هو مقصود قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} فإن هذا العموم يفهم منه العقلاء معنى مخصوصا يفهم من السياق، إذ من السخف بل والخبل أن يظن ظان أن النبي ﷺ حين قرأ هذه الآية قصد أن القرآن يحوي أسماء رجال قريش أو أطعمة فارس أو أسماء البهائم التي خلقها الله، فهذا لا يخطر ببال عاقل ولو كفر بالقرآن وجحده، لأنه سيحمل العموم في قوله {من شيء} على المعنى المخصوص

---

١ –بين القرآن والمسيحية، البابا شنودة، ص (٤)، وسيأتي دفع هذه الأبطولة . عن السقار ص ١٤ .
٢ – تعليقات على القرآن، ص (٢٠) عن تنزيه القرآن للسقار ص ١٥.
٣ – جامع البيان (١١/ ٣٤٥) ، الناشر مؤسسة الرسالة بتحقيق أحمد شاكر ، ط١/٢٠٠٠.

اللائق به ككتاب ديني، أي ما فرطنا في الكتاب من شيء يصلح حياة الإنسان في دنياه وأخراه، فالقرآن حوى كل ما تحتاجه البشرية مما تختص بذكره النبوات[1].

ومن صور التحريف للمعاني ما صنعه القس أنيس شروش مع مستمعيه الإنجليز بقوله: "أنتم معشر المسلمين تعتقدون أن المسيح ما زال على قيد الحياة .. لكننا إذا قارنا هذا بما جاء في القرآن؛ فإننا سنجد تناقضا، فإن القرآن يقول: {والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا} (مريم: ٣٣) " قرأها بالعربية صحيحة، ثم ترجمها لمستمعيه: "وسلام علي يوم ولدت، ويوم مت، ويوم أبعث حيا"[2]، فحول الأفعال المضارعة التي يراد منها المستقبل إلى أفعال ماضية؛ مستغلا جهل مستمعيه بلغة العرب، ومن تحريف المعاني زعم القمص زكريا بطرس في برنامجه في قناة الحياة أن في القرآن كلمة يستحي القمص من قولها أمام المشاهدين، وهي كلمة (النكاح) التي يفهمها – عقله الكليل– بمعنى الجماع (ويأتي جواب هذه الأبطولة في الردود).

٣. بتر النصوص وإخراجها عن مساقها:

ويعمد مثيرو الأباطيل وهم يستشهدون بالمصادر الإسلامية إلى بتر النصوص واجتزائها، فيختارون من النص ما يعجبهم، ويدعون ما لا يوافق هواهم وباطلهم، ومن ذلك ما صنعه القمص زكريا بطرس وهو يستدل لعقيدة التثليث بقوله تعالى: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} (النساء: ١٧١)، فقد تعامى عن أول الآية وتمامها؛ لما فيهما من تنديد بالتثليث ووعيد لأهله { ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملآئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا} (النساء: ١٧١ – ١٧٢).

وهذا البتر للنصوص عادة للقمص زكريا بطرس لا يمل من معاودتها في برامجه الفضائية، فحين أراد الاستدلال على صحة كتابه المقدس زعم أن القرآن لا يقول بالتحريف اللفظي للتوراة والإنجيل، بل يقول بوقوع التحريف المعنوي فقط، واستدل لذلك بما جاء في تفسير البيضاوي بعد اجتزاء كلام البيضاوي وبتره، فيقول القمص: يقول البيضاوي: " {أفتطمعون أن يؤمنوا لكم} يعني اليهود، {وقد كان فريق منهم} طائفة من أسلافهم {يسمعون كلام الله} يعني التوراة، {ثم يحرفونه} أي تأويله فيفسرونه بما يشتهون")، ثم عقب على كلام البيضاوي بالقول: (مش [لم] يغيروا الألفاظ والكلام). وقد تعمد القمص بتر كلام البيضاوي الذي تحدث عن نوعين من التحريف: أولهما تحريف الألفاظ، والآخر تحريف المعاني الذي ذكره القمص، وعبارة البيضاوي بتمامها: " {ثم يحرفونه} كنعت محمد ﷺ، وآية الرجم. أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون[3]، فحذف من عبارة البيضاوي قوله: "كنعت محمد ﷺ وآية الرجم" لما فيها من إشارة إلى تحريف الألفاظ.

---

١ – وأمثال هذا العموم – الذي يراد به خصوص يفهمه العقلاء –كثير في القرآن وفي كلام العرب وحديث العقلاء، كقوله تعالى عن ملكة سبأ: {وأوتيت من كل شيء} (النمل: ٢٣)، فلم يفهم منه سليمان عليه السلام – ولا العقلاء من بعده – أن ملكة سبأ أوتيت الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية، بل معناه عند جميع العقلاء أنها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك عادة، ومثله أيضا في كلام الناس اليوم كثير، كقول الأستاذ: لم ينجح أحد من الطلاب، ومقصوده الحديث عن طلاب مادته أو فصله أو مدرسته فحسب، فهو عموم يراد به معنى مخصوص.). تنزيه القرآن ص ١٦ .

٢ – القرآن والكريم والكتاب المقدس. أيهما كلمة الله؟ أحمد ديدات، ص (٤٥) بدون بيانات .

٣ – أنوار التنزيل، البيضاوي (٨٩/١). الناشر: دار احياء التراث العربي بيروت ،تحقيق محمد المرعشلي ، ط١٤١٨/١

وأعاد القمص هذا الصنيع ثانية، وهو ينقل قول البيضاوي في تفسير قول الله تعالى: {من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه}، فنقل عن البيضاوي أنه قال بالتحريف المعنوي دون اللفظي، فقال: قال البيضاوي: " {يحرفون الكلم} أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها؛ أي يؤولونه على ما يشتهون، فيميلونه عما أنزل الله فيه").

وقد بتر منه ما يخالف مقصده ويفند استدلاله، فعبارة البيضاوي بتمامها: " {يحرفون الكلم} أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها؛ بإزالته عنها وإثبات غيره فيها. أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه".[1]

ومن صور البتر والتحريف ما رأيته عند عدد من كتاب النصارى وقسسهم [2]، فقد زعموا أن الرازي كان يستشكل القول بنجاة المسيح من الصلب ووقوع الشبه على غيره، ونقلوا عنه قوله: "بالجملة فكيفما كان، ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات: الإشكال الأول: إنا لو جوزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر لزم السفسطة .. "، ثم يسوقون كلاما طويلا للرازي ملخصه أن القول بصلب غير المسيح بدلا عنه فيه ست إشكالات، نقل هذه الإشكالات عنه ثروت سعيد، وعقب عليها بالقول: "انتهى للإمام فخر الدين الرازي، ولا تعليق"، وهو يوهم قراءه أن هذه الإشكالات يستشكلها الرازي، فيقول: "ولهذا لم يكن بد لعالم نزيه كالإمام العلامة فخر الدين الرازي أن يفند قصة الشبه تفنيدا محكما". [3]

والحق أن الرازي رحمه الله ذكر الإشكالات الستة التي يستشكلها النصارى وغيرهم على قول القرآن بنجاة المسيح، ثم لما انتهى من سردها شرع في الرد عليها جميعا، فقال: " فهذا جملة ما في الموضع من السؤلات: والجواب عن الأول ... والجواب عن الثاني ... ".

وبعد أن رد عليها واحدا واحدا؛ ختم بنتيجة شافية كافية فقال: "وبالجملة فالأسئلة التي ذكروها أمور تتطرق الاحتمالات إليها من بعض الوجوه، ولما ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد في كل ما أخبر عنه؛ امتنع صيرورة هذه الأسئلة المحتملة معارضة للنص القاطع" [4] ،فتعامى ثروت سعيد وغيره من المبطلين عن إتمام قول الرازي، ووقعوا في التدليس المشين حين نسبوا إليه قول النصارى الذي كان يرد عليه.

٤ . محاكمة القرآن إلى مصادر ومعلومات غير موثوقة:

ويلجأ الطاعنون في القرآن من النصارى في إلقاء شبهاتهم إلى محاكمة القرآن إلى مصادر مرفوضة ومطعون في موثوقيتها كالكتاب المقدس الذي يرى المسلمون والمحققون من أهل الكتاب أنه أسفار تاريخية كتبها مجهولون، ونسبت إلى الأنبياء بلا سند يوثقها، وعليه فهذه الكتب مجروح في شهادتها، ولا اعتداد ولا موثوقية في أخبارها، التي يحاكم الطاعنون القرآن بموجبها، فيعرضونها وكأنها مستندات ووثائق تاريخية متفق على صحتها، ثم يخطئون

---

١ – المصدر السابق (٢/ ٧٧). مرجع سابق

٢ – انظر: حقيقة التجسد، ثروت سعيد، ص (٣٢٥)، وقد صنعه القس أسعد وهبة في مناظرته لي حول مسألة "صلب المسيح في العهد الجديد"، وهي منشورة على الشبكة العنكبوتية.

[3] – حقيقة التجسد، ثروت سعيد، ص (٣٢٤ – ٣٢٦) . عن تنزيه القرآن للسقار ص ١٩

[4] – التفسير الكبير، الرازي (٨/ ٢٤٠) ، الناشر :دار احياء التراث العربي بيروت ، ط٣/ ١٤٢٠ .

القرآن حين يخالفها ويناقضها، أما إذا رأوه موافقا لها فإنهم لا يخجلون من الزعم بأنه نقل منها، فلا يسلم منهم القرآن حال الموافقة ولا المخالفة.

ومن ذلك تكذيبهم القرآن حين خالفهم في تسمية والد إبراهيم عليه السلام بـ "آزر" (الأنعام: ٧٤)، وحجتهم أن التوراة سمته "تارح" التكوين (١١/ ٢٧).

وكذلك كذبوا القرآن الكريم حين تحدث عن كفالة زوجة فرعون لموسى (القصص: ٩)، لأن التوراة تقول: إن الذي كفله ابنة فرعون الخروج (٢/ ٥ – ٧).

وكذلك كذبوا أن يكون لون بقرة بني إسرائيل الصفار الفاقع (البقرة: ٦٩)، لأن التوراة تقول تجعلها حمراء اللون العدد(١٩/ ١ – ٤)، وكل هذه الأخبار التوراتية خاطئة، لا اعتداد بها، وهي أضعف من أن تكون حجة على إخباري أو مؤرخ؛ فضلا عن القرآن العظيم.

كما يولع الطاعنون في القرآن بالغرائب الموجودة في كتب بعض المفسرين، وهي في جملتها منقولة من مرويات وأخبار أهل الكتاب، فيخلطون بينها وبين القرآن، ويجعلون معانيها المنكرة حجة عليه، وفي هذا مجافاة للموضوعية؛ فإن كتب الرجال يحتج لها بالقرآن، ولا يحتج بها عليه ، ولعل من أهم صور ذلك قصة الغرانيق التي أطبق على ذكرها الطاعنون في القرآن، وقد بين علماء الإسلام بطلانها؛ وإن أوردها مفسرون ومؤرخون وصفهم القاضي عياض بأنهم "المولعون بكل غريب، المتلقون من الصحف كل صحيح وسقيم" [1] ، فلولعهم بذكر الغرائب أثقلت مؤلفاتهم العظيمة بالإسرائيليات وسخيف مقولات الأمم التي تروي ما ترويه بلا زمام ولا قيد؛ فنقل الطاعنون هذه المرويات، ولبسوا على عوام المسلمين حين أوهموهم بصحة هذه الأقوال المنقولة في بعض كتب التفسير، ولا ينسى الخبثاء في مثل هذه الحال ذكر أرقام الصفحات التي نقلوا عنها؛ يرومون بذكر هذه التفاصيل مزيدا من الخداع لعوام المسلمين لإيهامهم بصحة ووثاقة المعاني المستقبحة الموجودة في تلك الروايات التي نقلها المسلمون الأقدمون في كتبهم عملا بالقاعدة المشهورة عندهم "من أسند لك فقد أحالك".

ومن ذلك ما نقله الطاعنون عن بعض كتب التفسير لقوله تعالى: {وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب} (ص: ٢١)، فقد أوردوا قصة مزعومة باطلة، وملخصها أن داود عليه السلام رأى امرأة جاره تستحم، فأولع بها، فأرسل زوجها للقتل في الحرب، ثم تزوجها، وأن الله عاتبه على فعله، فبكى أربعين يوما حتى نبت العشب من دموع عينيه[2]، فهذه القصة الخرافية المستنكرة في معانيها منحولة في أصلها من أسفار التوراة صموئيل (٢) (١١/ ١ – ٢٦)، ولم ترد في كتب المسلمين مرفوعة إلى النبي ﷺ بإسناد صحيح أو ضعيف.

ومثله استشهاد الطاعنين في القرآن بما روي عن بعض السلف أنهم قالوا في تفسير قوله تعالى: {ق والقرآن المجيد} (ق: ١ – ٢): "ق، جبل محيط بجميع الأرض، يقال له جبل قاف"، وعقب ابن كثير على هذا القول الغريب: " وكأن هذا من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب. وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على

---

[1] – الشفا (٢/ ٢٩٠)، الناشر : دار الفيحاء عمان ، ط٢/١٤٠٧ ، وسيأتي بيان هذه الأبطولة.

[2] – انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ١٨٤). مرجع سابق

الناس أمر دينهم" [1] ومثله الاستشهاد بما ذكره المفسرون في تفسير قول الله: {ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب} (ص: ٣٤)، فذكروا قصة عجيبة، ملخصها أن شيطانا ألقي عليه شبه سليمان، فكان يأتي نساءه.[2]

قال أبو حيان الأندلسي: "نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالا يجب براءة الأنبياء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهي مما لا يحل نقلها، وإنما هي من أوضاع اليهود والزنادقة، ولم يبين الله الفتنة ما هي، ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان، وأقرب ما قيل فيه: إن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة، وجاءته بشق رجل» [3].فهذه المنقولات وأمثالها في كتب التفسير، والكثير منها لا ينسب إلى النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف، ولا يحل أن تعتبر تفسيرا لآيات القرآن، فإن فيها ما يصد عن القرآن، ويفسح المجال لأصحاب الأباطيل للطعن في القرآن الكريم والتلبيس على الناس بهذه المرويات الفاسدة.

[1] – تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٩٤/٧). الناشر دار طيبة للنشر ط١٩٩٩/٢، تحقيق سامي سلامة .

[2] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/ ٢٠٠). الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة ،ط١٩٦٤/٢، تحقيق احمد البردوني

[3] – البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٩/ ٥٥ ١)،دار الفكر بيروت، والحديث مروي في الصحيحين، أخرجه البخاري ح (٣٤٢٤)، ومسلم ح (١٦٥٤)..

الفصل الأول: نقد عام للكذب التنصيري حول آيات القرآن الكريم.

١ – عن التوراة والإنجيل اللذيْن هما هدى ونور!!.

أن القداسة التي أضيفت على أسفار الكتاب "المقدس" بعهديه القديم والجديد قداسة طارئة، حدثت بعد عصري موسى وعيسى بأكثر من عشرة قرون للعهد القديم وثلاثة قرون للعهد الجديد، فبعد تدوين "عزرا" لما دون من أسفار العهد القديم بأربعة قرون، لم يكن هناك من يقدس هذه الأسفار قبل عصر المكابيين (١٦٨– ٣٧ق.) وبعبارة "سبينوزا" وهو من الخبراء في نقد نصوص العهد القديم :

"فإنه حتى عصر المكابيين لم تكن الأسفار المقدسة قد (أقرت) وإن حكماء التلمود (الفريسيين) قد اختاروا هذه الأسفار من بين بقية الأسفار، وذلك زمن الهيكل الثاني، ثم رتبوها، ورفعوها لمرتبة الكتابات المقدسة"[١].

أي أن الصورة التي بين أيدينا لأسفار العهد القديم، وتاريخ تقديسها إنما هو القرن الأول قبل الميلاد أي بعد موسى عليه السلام وتوراته بأكثر من عشرة قرون!.

إن واقع هذه الأسفار ومضمونها، وتناقضاتها، وشهادات علماء اليهود أنفسهم على أنها في معظمها تحريف.. وتلفيق.. وتناقضات.. لا علاقة لها بكلمات الله التي أنزلها على موسى عليه السلام.

فالعديد من العلماء والحاخامات الذين تخصصوا في نقد العهد القديم والذين جمع دراساتهم العالم اليهودي "زالمان شازار" في كتاب عنوانه: (تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث).. وهو الكتاب الذي امتلأت فصوله وصفحاته بالشهادات اليهودية القاطعة بأن أسفار العهد القديم إنما هي ثمرة لتراكم تراث شفهي، تكوّن عبر قرون طويلة، وعصور مختلفة، وبيئات متباينة، وثقافات متمايزة، ومصادر متعددة، ومؤلفين مختلفين.. ومن ثم فإن أغلب هذه الأسفار لا علاقة لها بموسى عليه السلام ولا بالبيئة الصحراوية سيناء التي نزلت فيها توراة موسى.

يشهد علماء اليهود أنفسهم على أن أسفار العهد القديم هذه هي "ركام من الاختلافات والتحريفات" فيقولون: "إن هذه الأسفار المقدسة هي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن فلا ارتباط بينها، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة التأليف.

إن القسم الأكبر من توراتنا، لم يكتب في الصحراء (سيناء)، وموسى لم يكتب التوراة كلها وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة ففيها ثماني مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، إن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من استيطان اليهود في فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط في إرث استيطانهم بزمن طويل، وإن مؤلف السفر لم يكن موجوداً على كل حال قبل عصر إشعيا (أي حوالي ٧٣٤–٦٨٠ق.م).

---

١ – زلمان شازار – محرر – (تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث) ص:١٠٠ وراجع ص ١٩٦، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠ –ترجمة: د. أحمد محمد هويدي. تقديم ومراجعة: د. محمد خليفة حسن – طبعة المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة سنة ٢٠٠٠م.– ولقد كتب " سبينوزا" ذلك في (رسالة في اللاهوت والسياسة) الفصل الحادي عشر.

أما بالنسبة لسفري الخروج والعدد، فإنهما معالجة، لأساطير وأشعار قديمة.

وإن الإصحاحات الثمانية الموجودة في التوراة بين أنشودة موسى الموجودة في سفر الخروج وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد هي في مجموعها، كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها. وفي الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما، كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر منسوب إليه.."[1].

وإذا شئنا مثالاً على إعادة "التفكيك.. والتركيب" التي أحدثتها دراسات هؤلاء العلماء اليهود بهذه الأسفار.. والتي استندت إلى علم النقد الداخلي للنصوص فيكفي مراعاة للمقام إيراد النتيجة التي خرجت بها هذه الدراسات بسفر إشعيا وغيره والتي تقول:

"إن سفر إشعيا هو عبارة عن ستة أسفار، كتبت في أزمنة مختلفة (عاش إشعيا الأول في عصر بوئام وآحاز ويحزقيا، وكتبت الإصحاحات (٢٤–٢٧) في عصر بوشياهو، وكتب الإصحاحان (٣٤،٣٥) مباشرة بعد الخراب، وكتب الإصحاحان (١٣، ١٤) بعد حزقيال بثلاثين سنة، وبعد ذلك تأتي إصحاحات أنشودة إشعيا الثاني (٤٠–٦٦)، وبعد ذلك كتبت فقط العبارات (١–١٠) من الإصحاح الحادي والعشرين.

وقسم سفر إرميا إلى أجزاء مختلفة ووجد في سفر زكريا أقوال ثلاثة أنبياء، أقوال النبي الأول تشمل الإصحاحات (١–٦) وعاش في عصر هوشع، وتشمل أقوال الثاني الإصحاحات (٧–١٢) وكان في عصر يهوياقيم وصدقياهو، وتشمل الإصحاحات (١٢–١٤) أقوال النبي الثالث باستثناء (١٣: ٧–١٩) الذي تنبأ بعد العودة من بابل.

ويحصي في سفر هوشع نبيين، تمثل (الإصحاحات ١–٣) أقوال الأول، وتنبأ في عصر مربعام الثاني، وأقوال الثاني متضمنة في (الإصحاحات ٤–١٤) وكان في عصر تجلات فلاسر وشلمناصر، وكان آخر الأنبياء في مملكة إفرايم، وكان معاصرا لإشعيا.

ويحدد زمن النبي عويديا بعد الخراب في زمن واحد مع مؤلف الإصحاحين (٣٤–٣٥) من سفر إشعيا.

وتنسب أسفار الكتابات إلى زمن الهيكل الثاني.

وغالبية المزامير قيلت بعد العودة من بابل، وبعضها في عصر الحشمونيين.

وألف سفر دانيال زمن سلطان المقدنيين – سويا مع أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا، التي كانت في البداية سفرا واحدا.

وتنسب الإصحاحات الأولى والأخيرة من سفر الأمثال إلى ما بعد العودة (من السبي).

وتنسب لنفس الفترة المقدمة والخاتمة من سفر أيوب.

١– زلمان شازار – محرر – (تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث) ص ١٩٦، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠ –ترجمة: د. أحمد محمد هويدي. تقديم ومراجعة: د. محمد خليفة حسن – طبعة المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

وينسب سفر الجامعة إلى عصر هيرودوس (٤٨٤—٤٢٥ق.).

وروث إلى عصر الغزو اليوناني.

ونشيد الإنشاد إلى عصر المقدنيين، أي خمسين سنة قبل حرب الحشمونيين"[١].

فهل بعد هذا "التفكيك.. والتركيب" لهذه النصوص مجال لقول عاقل إن لها علاقة بتوراة موسى وكلمات الله؟!. ثم هناك اختلافات الكنائس النصرانية في عدد أسفار العهد القديم التي تؤمن بها هذه الكنائس: فالبروتستانت يؤمنون بستة وستين سفراً، والكاثوليك يؤمنون بثلاثة وسبعين سفراً، والأرثوذكس يؤمنون بستة وستين سفراً، وقد شهد البابا شنودة الثالث بابا الأرثوذكس المصريين في عظته الأسبوعية بأن أسفار العهد القديم الحالية قد حذفت منها الأسفار القانونية، التي تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بأنها جزء من العهد القديم[٢].

ومن هنا، فإن جميع ما جاء في القرآن الكريم عن التوراة التي أنزل الله على موسى والتي فيها هدى ونور ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ** ﴾ (المائدة: ٤٤)، والتي دعا القرآن اليهود إلى إقامة حكمها: ﴿ **وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ** ﴾ (المائدة: ٤٣)، فإن المراد بها توراة موسى عليه السلام.. وليست هذه الأسفار التي دونت بعد موسى بثمانية قرون، والتي اتخذت شكلها الحالي، وأضفيت عليها القداسة بعد موسى بأكثر من عشرة قرون. هؤلاء قال القرآن فيهم:

﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ (النساء: ٤٦)

﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ (البقرة: ٧٩)

يحاول الفكر التنصيري الاستناد في دعواه إلى القرآن الكريم، الذي جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية والذي تحدث عن التوراة باعتبارها ذكرا أنزله الله، ووصفها بأن فيها هدى ونور.

فتوراة موسى عليه السلام التي نزلت بالهيروغليفية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد[٣] هي ذكر من عند الله، وفيها هدى ونور، أما الأسفار التي جمعها وكتبها "عزرا" في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد.. والتي اتخذت شكلها الحالي، وأضفيت عليها القداسة في زمن المكابيين (١٦٨—٣٧ ق.م) أي بعد موسى وتوراته بأكثر من عشرة قرون، فهي تلك التي قطع القرآن الكريم بانها ليست كلام الله، ولا وحيه إلى موسى وإنما هي التي كتبها اليهود بأيديهم، ثم قالوا إنها من عند الله ليشتروا بهذا الكذب على الله ثمنا قليلا!.

---

١ – المصدر السابق. ص: ١٩٧، ١٩٨ – من دراسة العالم اليهودي "جريتس".

٢ – انظر – في كل ذلك: فؤاد حسنين على (التوراة عرض وتحليل) ص: ١٦، ٢١، ٢٢،24 ، 26طبعة القاهرة سنة ١٩٤١ وسمير سامي شحاتة (الاختلافات في الكتاب المقدس) ص: ٣٧ – ٩٢ – طبعة مكتبة وهبة – القاهرة سنة ١٤٢٦ هـ سنة ٢٠٠٥م. وصحيفة (وطني) – القاهرة – في ٥ / ١٠ / ٢٠٠٦م. وعبد السلام محمد عبد الله (هل الكتاب المقدس معصوم ؟) طبعة مكتبة النافذة – القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

٣ – انظر للدكتور فؤاد حسنين على كتاب (التوراة الهيروغليفية) طبعة دار الكاتب العربي – القاهرة.

ومع القرآن الكريم شهد العلماء الخبراء في نقد النصوص من اليهود وفيهم حاخامات كبار بأن هذه الأسفار إنما هي تجميع وتلفيق لتراث شفهي أثمرته بيئات وثقافات مختلفة عبر العديد والعديد من القرون.

أما إنكارهم حدوث تحريف لإنجيل المسيح اعتمادا على آيات القرآن والذي تحدث عنه القرآن الكريم باعتباره ذكرا أنزله الله وفيه هدى ونور، ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ** ﴾ (المائدة: ٤٦)، والذي يطلب من النصارى أن يقيموا أحكامه: ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ** ﴾، (المائدة: ٤٧)، هذا الإنجيل لا وجود له لدى أي كنيسة من كنائس النصرانية، ولا لدى أي نصراني في هذا العالم.

– لقد جاء المسيح عليه السلام بإنجيل أي بشارة بشّر بها باللغة الآرامية فأين هو هذا الإنجيل؟ إن العالم كله بجميع كنائسه، وبكل مذاهب النصرانية فيه، لا يملك نسخة واحدة من هذا الإنجيل، وما لدى كل الكنائس المسيحية هي أناجيل لا يُنسب واحد منها إلى المسيح، وإنما هي "سير" و"قصص" كتبها كتاب متعددون ومختلفون، ودونوا فيها ما سمعه كل واحد منهم عن ظهور المسيح، وما تحدث به، وما حدث له.

– يقول صاحب كتاب "حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت" للدكتور روبرت كيل تسلر أحد أقطاب طائفة ديانة الإنسان المعاصر، التي تقرّ: بلا إله إلا الله عيسى رسول الله، عن هنري تشدفيك في كتابه'' الكنيسة في العالم القديم ''صفحة ٤٢ لعام ١٩٧٢: هذا ويعتقد معظم المؤمنين بالكتاب المقدس في سذاجة أن الكتاب المقدس كان في هذه الصورة دائماً منذ البدء كما هي الآن بين أيديهم، فهم يعتقدون أن الكتاب المقدس كان يحتوي على كل هذه الأجزاء التي يحتويها الكتاب الذي بأيديهم الآن ، فهم لا يعرفون أنه لم يكن لدى النصارى الأوائل أي كتاب آخر غير العهد القديم لمدة طويلة تصل إلى (٢٠٠) سنة تقريباً، وأن قانون العهد القديم في زمن النصارى الأوائل لم يكن قد تم الانتهاء منه[1].

وينقل تسلر فيقول: من الأساسيات الأولية معرفة أن النصوص الأولية وأيضًا أسس كل الأناجيل بعد ذلك قد كتبت " كمؤلفات شعبية تنشرح لها النفس" (عن نستل/دوبشوش صفحة١٠)، كما كان يبعد عن أذهان مؤلفي النصوص الأولية الوثائق التاريخية وقواعد النصرانية، فلم يفكر إنسان آنذاك في القانون ، ولم يبدأ التفكير بحرص في اعتبار الكتب التي حازت التقدير من العهد الجديد كتبًا مقدسة وموحي بها قبل عام ٢٠٠ تقريباً (عن بويمر صفحة (١٠) وما بعدها). وأن كتب العهد الجديد لم تتكون إلا ببطيء شديد، ولم يفكر إنسان لمدة طويلة أن كتب العهد الجديد هذه سوف تعتبر كتباً مقدسة ،

وإنه بمرور الوقت أصبح من المعتاد قراءة هذه الكتب أمام الأمة المسيحية ومع ذلك لم يفكر أحد أيضاً أن يساويها بالكتب المقدسة للعهد القديم، ولم تتولد هذه الفكرة إلا بعد تحارب الاتجاهات المختلفة للمسيحية، وأصبحت الحاجة ماسة إلى أن يستند المرء إلى شيء ملزم، وأنه في حوالي عام (٢٠٠) بعد الميلاد بدأ اعتبار هذه الكتب بصورة بطيئة كتباً مقدسة ، وأنه بعد ذلك بفترة زمنية تقرب من (٢٠٠) سنة نشأ خلاف حول اختيار الكتب من بين العديد منها الذي يمكن قراءته أمام الأمة النصرانية واعتبارها مقدسة ويمكن ضمها لقانون الكتاب المقدس بالعهد الجديد ، حيث اختار البعض كتباً معينة واختلف آخرون معهم، وأنه حتى ذلك

[1] – عن حقيقة الكتاب المقدس لروبرت تسلر نقلا عن (ف. ميلد نبرجر : "نصف الحقيقة أو الكتاب الكامل" ، ١٩٧٦ صفحة ٢٧).

اليوم وبعد ١٦٠٠ عام لم يتمكن النصارى بعد من الاتفاق بصدد هذا الموضوع بسبب الكنيسة التي كانت أنذاك قد تعلمنت وخرجت عن روح تعاليمها الأساسية تحت تأثير أحد القياصرة الكفرة الملحدين وبتأثير من بعض الأساقفة منعدمي الكرامة الذين كانت لهم الكلمة المؤثرة لخدمة غرض من أغراضهم الذي يتناسب مع اتجاههم وبسبب الاختيار الذي قاموا به بشكل تعسفي ، وأنه لم يُتطلع إلى الروح القدس الذي يُعزى إليه انتقاء الكتب القائمة بصورة أقل من مراعاتها التناقضات السطحية التي تقضي بأن لا يحتوي كتاب ما على أشياء لا تقبلها الطائفة التي تتمتع بالأغلبية

كذلك لا يعرف المؤمنون بالكتاب المقدس على سبيل المثال وبصورة أصح لا يريدون معرفة أن لوثر قد رفض بشدة رسالة يعقوب واعتبرها رسالة هشَّة كما أنه لم يود أيضاً الاعتراف برؤيا يوحنا اللاهوتي ورسالة بولس إلى العبرانيين في إنجيله (عن شورر صفحة ١٢٣ ، هولتسمان ١٧٨) .

ويجدر بنا أن نعرف أن قانون البروتستانت والكاثوليك والكنائس الشرقية لم يتم الاتفاق عليه وتوحيده لليوم، فكل قانون لهذه الاتجاهات الثلاثة يحتوي على كتب ينكرها الآخرون والعكس صحيح، وهناك الكثير الذي يمكن أن يقال عن نص "الكتاب المقدس" .

وبالطبع فإن هناك من يتساءل: كيف استطاع محتوي الكتاب المقدس الساذج كما هو مألوف لدينا أن يحيا لليوم على الرغم من الذكاء المتوافر لهذه الشعوب، وكذلك على الرغم من وجود علم نقد الكتاب المقدس في الخفاء، ويكاد لم يتساءل أحد يُشهد له بالذكاء عما إذا كان المحتوى الساذج للكتاب المقدس صحيحاً أم لا.

فشعبنا يؤمن بشكل إجمالي لليوم (حتى ولو كان غير مؤكد أو غير ظاهر) أن الكتاب كان منذ بدايته في نفس الصورة التي أمامه اليوم ، ويكاد لا يعرف أنه قد تكون نتيجة تطور استغرق وقتاً طويلاً قام خلاله عدد لا يحصى من العلماء وأنصاف العلماء بتجميعه باختيار كان غالباً ما يتم بشكل تعسفيّ من كتب ونصوص لا تحصى.

وهنا يجب علينا أن نؤكد باقتضاب أن الكتاب المقدس لا يُعد كتاباً واحداً كما يدل اسمه (بايبل=كتاب) خصوصاً وإنه لم يؤلفه كاتب واحد (لا الله ولا أحد مؤرخي سير القديسين)، بل هو مجموعة مختلفة تماماً من الكتب كتبها مؤلفون مختلفون تماماً وفي أزمنة وحضارات متباعدة عن بعضها البعض .

ويظهر هذا أيضاً في الاختلافات الضخمة في كل الجوانب على الأخص في الجانب الأخلاقي والدنيوي، فهو كتاب ليس له وحدة [مفهوم مترابطة]، وهذا أيضاً هو السبب الذي يُمكِّن المرء من تعليل كل مفهوم من مفاهيم الكتاب المقدس، حيث إنه يحتوي على شيء من كل شيء .

لذلك يشَّبه البروفسور شورر "الكتاب المقدس" بصورة بالكاتدرائية القديمة ذات المظهر العظيم، التي إشترك في بنائها أجيال كثيرة، وهي كذلك عنده أشبه بقطعة فنية رائعة، ولكنها على الرغم من ذلك بشرية الصنع[1]

[1] – عن كتاب ماذا خسر العالم بوجود الكتاب المقدس للدكتور علاء أبو بكر ص:١٣٤ وما بعدها، الطبعة الثانية، نقلا عن الدكتور روبرت تسلر حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت .

– ثم إن هذه الأناجيل قد انتقلت نصوصها وتغيرت ألفاظها مرات عديدة بالترجمات إلى العديد من اللغات، الأمر الذي باعد بين ألفاظها في هذه الترجمات وبين أصولها بعداً شديداً.. وإذا كانت الترجمة مهما بلغت دقتها إنما تمثل نوعًا من "الخيانة" للنص الأصلي وخاصة عندما يكون النص ذا طابع شعري أو وعظي أو صوفي، تكثر فيه المجازات والكنايات والاستعارات والتشبيهات كما هو حال هذه الأناجيل فمن ذا الذي يجرؤ على الحديث عن انتفاء التحريفات والتغييرات التي أصابت هذه الأناجيل ؟!.

إن إنجيل متّى على سبيل المثال وهو الذي يتصدر أناجيل العهد الجديد قد كتب أولاً بالآرمية لا بالعبرية.. ولقد ترجم إلى اليونانية.. وضاع النص الأول وبقي الثاني"![1].

وإذا كانت الأناجيل قد مرت بمئات التغييرات في الألفاظ ومن ثم في المعاني عندما ترجمت مئات الترجمات إلى مئات اللغات الأمر الذي يفتح الباب لدراسات مقارنة لهذه الاختلافات في ألفاظها ومعانيها. فإننا مراعاة للمقام سنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

أ) لقد ترجم إنجيل مرقس ترجمة مصرية جديدة ومن يقارن هذه الترجمة بنظيرتها العربية الموجودة ضمن مجموعة "الكتاب المقدس" سيجد العديد من الاختلافات في كل صفحة من الصفحات!.. فأول سطر (آية) في الطبعة العربية التقليدية: "بدء إنجيل المسيح ابن الله".. نجدها في الترجمة العربية الجديدة: "هذه بداية بشارة يسوع المسيح ابن الله".. ف "بدء" أصبحت "هذه بداية".. و "إنجيل" صارت "بشارة"!.. وفي الآية الثانية نجد أن: "كما هو مكتوب في الأنبياء" في الطبعة العربية التقليدية قد صارت: "وفقاً لما هو مكتوب في سفر إشعيا النبي"! في الترجمة العربية الجديدة.

وهكذا امتلأت كل صفحة من صفحات هاتين الطبعتين بالعديد من الاختلافات في الإنجيل الواحد، وفي اللغة الواحدة فما بالنا بما أصاب هذا الإنجيل وغيره من الاختلافات والتحريفات عبر مئات الترجمات إلى مئات اللغات؟! [2].

ب) لقد شهد عقد التسعينات من القرن العشرين ترجمات جديدة لنصوص العهدين القديم والجديد إلى العديد من اللغات الحية، وقفت وراءها الحركات الأنثوية الغربية المتطرفة، وتم في هذه الترجمات الجديدة "تحييد" الأسماء الكثيرة المذكرة في هذه النصوص، كي لا تكون الثقافة الدينية فيها "ثقافة ذكورية" كما تقول هذه الحركات الأنثوية المتطرفة، أي أن التغييرات والتحريفات قد طالت حتى أسماء الله والأنبياء والقديسين!.

وهذه الترجمات الجديدة يتم الترويج لها والإشاعة لثقافتها بواسطة قوى العولمة وما بعد الحداثة، عبر قارات العالم المعاصر! إذن، فنحن أمام نصوص دينية لا تمتلك شيئًا من شروط "النص"، التي تعارف عليها علماء النصوص!.

---

١ – د. ميشال الحايك (المسيح في الإسلام) ص ١٢٤ – هامش (٤٦) طبعة بيروت سنة ٢٠٠٤م.

٢ – قارن إنجيل مرقس طبعة دار الكتاب المقدس، ضمن مجموعة العهد القديم والجديد بالطبعة العربية التي ترجمتها لجنة مكونة من: زكي شنوده، د. مراد كامل، د. باهور لبيب، حلمي مراد برئاسة الأنبا غريغوريوس طبعة دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٥م.

– وإذا نظرنا في افتتاحية إنجيل لوقا الإصحاح الأول: ١–٤ فنقرأ قول لوقا تلميذ بولس: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا. كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا ايضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك ايها العزيز ثاوفليس. لتعرف صحة الكلام الذي علمت به".

فنحن أمام نص يقول لنا: إن كثيرين وليسوا اربعة فقط قد ألفوا أناجيل كثيرة، هي قصص عن ما سلمه الذين عاينوا، ولوقا هذا قد كتب قصته (إنجيله) ليصحح الكلام، الذي كتبه الكثيرون من كُتَّاب الأناجيل الكثيرة! ادعى أنه هو الذي تتبع كل شيء من الأول بتدقيق رغم أنه من "التابعين" وليس من صحابة المسيح وإذا كان كلام الله إنما يستحق هذا الوصف عندما يكون وحياً مباشراً لم يدخل فيه التأليف البشري والإبداع الإنساني.. فإن هذه الأناجيل، التي كتبها بشر، والتي حفلت بالعديد من الاختلافات والتناقضات لا يمكن أن تكون وحياً إلهياً، ولا أن تكون نص كلام الله.. وإلا لجاز لنا في الإسلام أن نطلق وصف "الوحي" و "كلام الله" على آلاف الكتب التي ألفت في سيرة رسولنا عليه الصلاة والسلام!.[١]

– جاء في دائرة المعارف البريطانية وهي أوثق وأشهر دوائر المعارف في العالم المسيحي عن هذه الأناجيل الأربعة:

أ) إنجيل متى: "إن كون متى هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد[٢] ومن المسلم به أن متى قد اعتمد في كتابة إنجيله على إنجيل مرقس، أول الأناجيل تأليفا حيث حوى ٦٠٠ عدد من أعداد إنجيل مرقس البالغة ٦٢١ عددا، أي ٩٠٪ من محتويات إنجيل مرقس.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: كيف يعتمد متى، وهو حواري المسيح الذي لازمه منذ البداية منذ بداية دعوته على إنجيل كتبه مرقس وهو تلميذ الحواري بطرس أي من الجيل الثاني من أتباع المسيح؟!

ب) إنجيل مرقس: تقول عنه الموسوعة البريطانية: "في أفضل المخطوطات، فإن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ تعتبر عموماً إضافات متأخرة.. والأعداد الأخيرة ١٦: ٩–٢٠ غير موجودة في بعض المخطوطات، ويوجد عوضاً عنها مقاطع أقصر في مخطوطات أخرى. وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء"[٣].

جـ) إنجيل لوقا: تقول عنه الموسوعة البريطانية: "إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولاً"[٤].

د) إنجيل يوحنا: وهو الإنجيل الوحيد الذي نص بكل صراحة على ألوهية عيسى، حيث نقل عن عيسى أنه قال: "أنا والآب واحد" يوحنا ١٠: ٣٠، "الذي رآني فقد رأى الآب" يوحنا ٩: ١٤، "أنا في الآب والآب فيّ" يوحنا ١٤: ١٠.

ويعارض هذا الإنجيل مع الأناجيل الأخرى في أمور مهمة جداً وحاسمة، فهو يذكر أن المسيح صلب يوم ١٤ نيسان (إبريل) بينما يفهم من بقية الأناجيل أن الصلب كان يوم ١٥ نيسان، ولا يذكر يوحنا في إنجيله

---

١ – عن د. محمد عمارة ،كتاب تقرير علمي ص: ٣٩، هدية مجلة الازهر شهر ذي الحجة ١٤٣٠ هـ.
٢ – المجلد ٦ ص ٦٩٧.
٣ – المصدر السابق. المجلد الثاني ص ٩٥١، ٩٥٣.
٤ – المصدر السابق. المجلد الثاني. ص ٩٥٤.

تفاصيل رواية القربان المقدس (العشاء الأخير) التي أصبحت فيما بعد شعيرة من شعائر المسيحية، ولا يذكر أن المسيح تعمّد بواسطة يوحنا المعمدان. وفي حين يفهم من إنجيل يوحنا أن رسالة المسيح استغرقت ثلاثة أعوام، فإنه يفهم من الأناجيل الأخرى أنها استغرقت عاماً واحداً.

ويوحنا هو الوحيد الذي ذكر أن عيسى أخبر تلاميذه، قبل صلبه أنه سيرسل "الفارقليط" وهذه الاختلافات المهمة وغيرها كثير جعلت الموسوعة البريطانية تورد قول الأسقف "بابياس" المتوفى سنة ١٣٠ أي المعاصر لكتابة الأناجيل عن وجود أكثر من يوحنا يوحنا بن زيدي، الحواري.. ويوحنا آخر، هو الكاهن في أفسس.

وفي داخل الإنجيل يفهم أنه كتب بواسطة حواري محبوب مجهول الاسم.

وبما أن الشواهد الداخلية والخارجية مشكوك فيها، فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هي: أن إنجيل يوحنا ورسائله حررت في مكان ما في الشرق، ربما في أفسس، كإنتاج لمدرسة أو دائرة متأثرة بيوحنا في نهاية القرن الأول الميلادي[١].

هذا إذا سلمنا بأن كُتّابها هم الذين نُسبت إليهم كتابتها!.. مع الأخذ في الاعتبار أن مرقس ولوقا لم يشهدا أحداث القصة التي كتباها.. وإنما كتبا ما سمعاه شفهياً من قصص تلك الأحداث، نقلا عن الجيل السابق عليهما!.

وكما يقول الأسقف "بابياس" المتوفى سنة ١٣٠ م أي المعاصر لكتبة هذه الأناجيل: "فإن مرقس الذي كان ترجماناً لبطرس، قد كتب القدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال يسوع وأقواله، ولكن دون مراعاة للنظام، لأن مرقس لم يكن قد سمع يسوع، ولا كان تابعاً شخصياً له، لكنه في مرحلة متأخرة.. قد تبع بطرس"[٢].

وفي هذا النص الخطير للأسقف "بابياس" تصريح بأن مرقس قد كتب "ما سمحت به ذاكرته"، و "دون مراعاة للنظام".. الأمر الذي ينفي نفياً قاطعاً عن هذه النصوص النصرانية صفة الوحي الإلهي.. فهي "ذكريات بشرية" أو مجرد "مذكرات"!..

– ثم كيف ينتفي التحريف اللفظي عن هذه النصوص، وهناك مغايرة بين اللغة التي كان يعظ بها المسيح وهي اللغة الآرامية وبين اللغة الإغريقية التي كتبت بها النسخ الأصلية لهذه الأناجيل ؟!.. الأمر الذي جعل الأب "كانينجسر" R.P.Kanenengesser الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس يقول: "لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل، إنهم حفظوا منها نصيباً، وإنهم حرَّفوا النصيب الذي أُتوه، وأنه أعطى عيسى الإنجيل، وقال في أتباعه مثل ما قال في اليهود: فهي كتابات ظرفية خصامية، حرر مؤلفوها تراث جماعتهم المسيحية". كما كتب مؤلفو كتاب (الترجمة المسكونية للعهد الجديد) وهم أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت فقالوا: "لقد جمع المبشرون وحرروا، كل حسب وجهة نظره الخاصة، ما أعطاهم إياه التراث الشفهي"[٣].

---

١ – المصدر السابق. المجلد الثاني. ص ٩٥٥.

٢ – د. أحمد عبد الوهاب (المسيح في مصادر العقائد المسيحية) ص ٥١ – طبعة مكتبة وهبة – القاهرة سنة ١٩٧٨م.

٣. د. موريس بوكاى (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) ص ٧٨ طبعة دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٧م – والنقل عن (حول موثوقية الأناجيل والتوراة) ص ٢٩.

– إن الأصول الأولى لكل الأناجيل المعتمدة عند الكنائس قد فقدت وأقدم المخطوطات لهذا الأناجيل الحالية يفصل بينها وبين المسيح وعصر من نسبت إليهم هذه الأناجيل ما يقرب من ثلاثمائة عام! وبشهادة الموسوعة البريطانية: "فإن جميع النسخ الأصلية للعهد الجديد التي كتبت بأيدي مؤلفيها الأصليين قد اختفت، وأن هناك فاصلاً زمنياً لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة سنة بين أحداث العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته الموجودة حالياً"[١]. وبعبارة دكتور موريس بوكاي: "فإننا لا نملك أي شهادة لشاهد عيان لحياة المسيح، وهذا خلافا لما يتصوره كثير من المسيحيين"[٢].

يقول د. روبرت تسلر: النص الذي يطلق عليه" النص الأصلي " أقدم النصوص" ، بين علامتي تنصيص حيث لا يوجد على الإطلاق نص أو مصدر أساسي، وكل ما لدينا هي فقط مخطوطات يدوية قديمة تشير فقط إلى نُسخ منقولة بدورها عن نسخ أخرى منقولة أيضًا أي منقولات من منقولات لكتابات أكثر قدمًا، ومن المحتمل أن تكون هذه المخطوطات أيضًا نسخًا منقولة بدورها عن نسخ أخر، هذا "النص الأصلي" لم يكن بداية قد كتب في كتاب كما تشير إليه كلمة الكتاب المقدس والتي نشأت فيما بعد، ولم يكن كتاباً واحدًا، ولكنه كان يتكوَّن من عدد كبير من الكتب المنفصلة عن بعضها البعض والتي لا يوجد في الأصل ارتباط بينها ، لذلك فإنه من الخطأ أن نتخيله ككتاب واحد، حيث إن الكتاب المقدس كما نقرأ في ترجمات اليوم قد قام بتجميعه العلماء من مخطوطات عديدة (حوالي ١٥٠٠) مخطوطة، ومخطوطات ناقصة والتي يحتوي القليل منها على تجميع كامل للكتب الإنجيلية ، كما أن هناك البعض من هذه الأعمال الناقصة عبارة عن قصاصات بالغة الصغر لأجزاء من الكتاب المقدس.

فأين هذه الكتابات التي تنسب لعيسى عليه السلام والتي سلمها الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدَّامًا للكلمة؟ أما المخطوطات التي لدينا قد كتبت بين القرنين الرابع والعاشر تقريبًا[٣] تخيل حقب زمنية تبلغ ٣٠٠ عام، فما بالكم إن وصل بعضه إلى ١٠٠٠ عام !وبالطبع فإن هناك مخطوطات أقدم من هذا ولكن كان يجب على العِلم أن يضع حدًا فاصلا لهذا.

يجب أن نؤكد قبل أي شيء أنه ليس لدينا ولو جزء صغير من أصل الكتاب المقدس فيؤكد الدكتور روبرت كيل تسلر قائلا :إنه ليس لدينا مطلقًا أية كتابات أثرت عن يسوع حيث إنه لا اختلاف على أن يسوع لم يخلف لنا شيئاً مكتوبًا، وربما لا يعرف الكثيرون أن الحواريين أيضًا لم يكتبوا شيئاً مطلقا باستثناء القليل من الفقرات، حتى بولس نفسه لم يكتب لنا شيئًا وما لدينا هي فقط نسخ منقولة.

فُقِدَ العديد من " المخطوطات الأصلية" وعلى الأخص أقدمهم وأحسنهم حالا تماماً مثل الأصول.

– بالإضافة لفقد المخطوطات الأصلية للأناجيل واختفائها.. ووجود فجوة زمنية تبلغ مئات السنين بين الأصول الأولى للأناجيل وبين المخطوطات التي أخذت عنها هذه الأناجيل الحالية.. فوق كل هذا فإن هناك أكثر من مائة وخمسين ألفا (١٥٠٠٠٠) من مواضع الاختلاف بين المخطوطات التي طبعت منها الأناجيل

---

١ – (الموسوعة البريطانية) المجلد الثاني. ص ٩٤١.

٢ – (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) ص ١١.

٣ – الموسوعة الواقعية Realencyklopädie ص ٧٣٩ عن روبرت تسلر.

المتداولة الآن!!.. وهذه الاختلافات ليست بين مخطوطات الأناجيل المختلفة فقط، بل وفي مخطوطات الإنجيل الواحد!

وبنص عبارة الموسوعة البريطانية: "فإن جميع نسخ الكتاب المقدس، قبل عصر الطباعة تظهر اختلافات في النصوص.. وإن مقتبسات آباء الكنيسة من كتب العهد الجديد، والتي تغطيه تقريباً، تظهر أكثر من مائة وخمسين ألفاً من الاختلافات بين النصوص"[1].

وهذه الحقيقة التي أشارت إليها الموسوعة البريطانية حقيقة الاختلافات بين نصوص الأناجيل التي اقتبسها آباء الكنيسة وبين صورة هذه النصوص في الأناجيل الحالية.. عليها شواهد ونماذج كثيرة.

فلقد كان انتقال التبشير بالمسيحية من الإطار الإسرائيلي الذي بُعث إليه المسيح إلى إطار الأمم، سبباً في تغيير وتعديل نصوص الأناجيل لتلائم التبشير بين الأمم، وذلك بحذف الكلمات التي تشير إلى اختصاص النصوص ببني إسرائيل، أو تشير إلى تراثهم.

وفي كتاب (الدسقولية: تعاليم الرسل) الذي وضعه الآباء الأول أدلة على اختلاف النصوص التي اقتبسها الآباء في هذا الكتاب عن أناجيلهم عنها في الأناجيل الحالية اليوم، راجع حسنى يوسف الأطير "عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية" ص ١٣٧، القاهرة سنة ٢٠٠٤م (وهو ينقل عن " الدسقولية تعاليم الرسل" الذي نشره: حافظ داود، ثم القمص مرقس داود.. ثم د. وليم سليمان قلادة".

– وغير الاختلافات والتناقضات في الأناجيل، هناك كثرتها بينما المفترض أن المسيح قد بشر بإنجيل واحد، فهناك غير الأناجيل الأربعة التي تقرر اعتمادها من قبل "الدولة الرومانية" وليس من قبل الله، الذي أوحى بالإنجيل إلى عيسى.. هناك أناجيل كثيرة جدا.. منها على سبيل المثال:

١– إنجيل متى غير الإنجيل الشهير بهذا الاسم.

٢– وإنجيل مرقس.

٣– وإنجيل نيقوديموس.

٤– وإنجيل يعقوب.

٥– وإنجيل لوقا في نصه اللاتيني.

٦– وإنجيل لوقا في نصه السرياني.

٧– وإنجيل الطفولة في نصه الأرمني.

٨– وإنجيل الطفولة في نصه السرياني.

٩– وإنجيل طفولة سيدنا في نصه الأرمني.

١٠– وإنجيل طفولة سيدنا في نصه العربي.

١– الموسوعة البريطانية. المجلد الثاني. ص ٩٤١.

١١– وإنجيل توماس الذي ذهب يبشر في أرض بابل.

١٢– وإنجيل فيلبس الذي ذهب يبشر في القيروان وقرطاجنة.

١٣– والنص العربي القديم لقصة يوسف النجار[١].

فإذا أضفنا إلى هذه الأناجيل:

١٤– إنجيل برنابا.

١٥– وإنجيل يهوذا.

١٦– وإنجيل العبريين.

١٧– وإنجيل الناصريين.

١٨– وإنجيل الحقيقة.

وكذلك الأناجيل التي اكتشفت ضمن "مخطوطات نجع حمادي" في صعيد مصر سنة ١٩٤٧ م، وفيها ٥٣ نصاً.. وتقع في ١١٥٣ صفحة.. والتي جمعت في ١٣ مجلدا وهي التي يرجع تاريخ كتابتها إلى ما قبل كتابة الأناجيل الأربعة المشهورة بعشرين عاما ومنها:

١٩– إنجيل مريم المجدلية.

٢٠– وإنجيل فليب.

٢١– وإنجيل بطرس.

٢٢– وإنجيل المصريين، إذا علمنا هذا العدد غير المحصور للأناجيل، والذي وصل في الموسوعة الأمريكية إلى ستة وعشرين إنجيلا، ووصل في بعض الدراسات إلى مائة إنجيل! ظلت شائعة معتمدة لدى طوائف نصرانية كبيرة وكثيرة حتى القرن الرابع الميلادي عندما قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م إلغاء الأناجيل التي لا تقول بألوهية المسيح!..[٢]. إذا علمنا ذلك، رأينا حقيقة غيبة الموثوقية عن هذه الأناجيل – التي هي قصص.. وتدوين لثقافة شفهية.. والتي اعتمد الرومان أربعة منها، فرضوها بقوة الدولة على المخالفين!.

– ثم هذا الكم الهائل من التناقضات والاختلافات التي شاعت وانتشرت حتى في الأناجيل الأربعة الشهيرة المعتمدة.. تلك التي قررت الموسوعة البريطانية أن في مخطوطاتها أكثر من ١٥٠٠٠٠٠ تناقض.

أنه بين كل هذه المخطوطات اليدوية لا توجد مخطوطة واحدة (!!) تتفق مع الأخرى ويقول القس شورر عن هذا إن هذه المخطوطات تحتوي على أكثر من (٥٠٠٠٠) إختلاف انحراف وحياد من الأصل(،) ويذكر البعض الآخر (١٥٠٠٠٠)، ويحددها يولشر من ٥٠٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠٠، بل إن عدد الأخطاء التي تحتويها المخطوطات اليدوية التي يتكون منها كتابنا المقدس هذا تزيد عن هذا بكثير، مما حدا بشميث أن يقول :**إنه لا توجد صفحة واحدة من صفحات الأناجيل المختلفة لا يحتوي" نصها الأصلي "على العديد من**

١– كتاب " المسيح في الإسلام" للدكتور ميشال الحايك.

٢– " المسيح في مصادر العقائد المسيحية" ص ٣٧، ٣٨ والنقل عن "حول موثوقية الأناجيل والتوراة" ص ٣٣.

الاختلافات، وفي بحث لاهوتي نشرته صحيفة Tagesanzeiger لمدينة زيوريخ السويسرية بتاريخ ١٩٧٢/٢/١٨ **ذكر فيه وجود ربع مليون إختلاف**.

إلا أن الموسوعة الواقعية (Realenzyklopädie) تذهب أكثر من ذلك فتقرر: أن كل جملة تحتويها المخطوطات اليدوية تشير إلى تغييرات متعددة ، وهذا ما دعا هيرونيموس إلى أن يكتب في خطابه الشهير إلى واماسوس شاكيًا إليه كثرة الاختلافات في المخطوطات اليدوية " tot sunt paene quot codicos "

ويعلق يوليشر في مقدمته قائلا إن هذا العدد الكبير الذي نشأ من المنقولات (المخطوطات) قد أدى إلى ظهور الكثير من الأخطاء ، ولا يدعو هذا للتعجب حيث إن تطابق شواهد النص يكاد نتعرف عليه عند منتصف الجملة، كما يتكلم بصورة عامة عن تغريب الشكل، وعن نص أصابه تخريب، وعن "أخطاء فادحة" "وعن إخراج النص عن مضمونه بصورة فاضحة " الأمر الذي تؤكده لنا كل التصحيحات (التي يطلق عليها مناقشات نقدية) التي قامت بها الكنيسة قديمًا جدًا

وكذلك يذكر كل من نستل ودوبشوتس في كتابيهما "إختلافات مُربكة في النصوص" ويؤكداه أيضًا في موسوعة الكتاب المقدس الجزء الرابع، ويعترف شميث بوجود الأخطاء في الكتاب المقدس إلا أنه يحاول تجميل الكتاب قليلا فيقول : "وبالطبع فإن كل هذه الأخطاء ليست على جانب كبير من الأهمية، ولكن من بينهم الكثير الذي يعد بجد ذا أهمية كبيرة" فهذا القول يجعلنا نجزم بأنه لا يعرف معنى كلمة كتاب مقدس، فكيف يكون كتاب الله ، ووحى الله، وكلمة الله وهو يحتوى على كل هذه الأخطاء، التي عددها البعض بربع مليون خطأ؟[١]

لذلك كله، كان حديث القرآن الكريم عن إنجيل عيسى الذي هو ذكر من الله وفيه هدى ونور هو حديث عن إنجيل لا وجود له الآن، وكان حديثه عن هذه الأناجيل التي كتبها النصارى بأيديهم.. فنسوا فيها حظا مما جاء به المسيح عليه السلام وساروا في ذلك على خطى اليهود في التحريف لكلمات الله، فقال القرآن الكريم:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة: ١٣، ١٤)

هذا عن التحريف.. الذي وقع للتوراة والإنجيل، والذي شهدت به وعليه وقائع هذه الكتب.. والعلماء الخبراء من أهلها.. كما شهد به القرآن الكريم. والذي، رغم ذلك، ينفيه وينكره مؤلفوا الجدل التنصيري![٢].

٢- المسيحية هل هي ديانة موحدة (تأليه المسيح من القرآن)

تتحدث المنشورات التنصيرية أن "كلمة الله"، التي هي المسيح، تعني "عقل الله" وقدرته على إعلان ذاته وتنفيذ إرادته"، فالكلمة هي العقل (اللوجوس)، وفي الحوار مع هذه الدعوة نقول:

---

[١] - عن كتاب د. روبرت كيل تسلر حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت ترجمة د. علاء أبو بكر والنقل من كتاب المترجم ماذا خسر العالم بوجود الكتاب المقدس ص: ١٣٤-١٤٠ الطبعة الثانية.

[٢] - راجع كتاب د. محمد عمارة، تقرير علمي ص: ٣٣- ٦٩.

إذا كان المسيح هو كلمة الله وإذا كانت الكلمة (المسيح) "تعني العقل الإلهي وقدرته على إعلان ذاته وتنفيذ إرادته"، وإذا كان المسيح (الكلمة) العقل قد ولد من مريم فهل قبل المسيح كان الله بلا عقل وبلا قدرة على إعلان ذاته وتنفذ إرادته ؟!.

وإذا قيل: إن عقل الله اتحد بالمسيح (أي بالناسوت) في رحم مريم فهل دخل الله بعقله في رحم مريم ؟! أم دخل عقله وحده رحم مريم، وبقى بلا عقل ؟! وإذا كان الله قد اتحد بالمسيح في رحم مريم اتحاد اللاهوت والناسوت فهل كان الله يدبر الكون، ويعلن ذاته وينفذ إرادته من داخل رحم مريم ؟!.

وذا كان الثلاثة الآب، والابن، والروح القدس، هم واحد لا ثلاثة مثل حرارة الشمس وضوئها، المتحدان بها كما يحلو لهم التمثيل بذلك في تفسير "وحدة الثالوث".. فإن الضوء وحده لا يقوم بوظيفة الشمس.. وكذلك الحرارة وحدها لا تقوم بوظيفة الشمس وإنما لابد من كل مكونات الشمس: الضوء والحرارة وغيرها للقيام بوظائف الشمس.

لكن المسيحيين يجعلون المسيح إلها كاملا يقوم بكل وظائف الإله، حتى لقد جعلوه بديلا للآب فهو عندهم خالق كل شيء وبه كان كل شيء وبدونه لم يكن شيء وهو الألف والياء، وبذلك سقط "تسويق" وحدة الثالوث، بالقياس على مكونات الشمس.

لقد تجاوزوا التثليث وتعدد الآلهة إلى الشرك، الذي حل فيه المسيح محل الله – الآب.

ولقد سبق للإمام الفخر الرازي أن سد الطريق على النصارى في هذا التخريج الذي حاولوا به جمع المتناقضات (التثليث والتوحيد) وذلك عندما عرض مذهبهم هذا فقال:

"إنهم يقولون: إن أقنوم لكلمة اتحد بعيسى عليه السلام، فأقنوم الكلمة إما أن يكون ذاتا أو صفة، فإن كان ذاتا فذات الله قد حلت في عيسى واتحدت بعيسى، فيكون عيسى هو الإله على هذا القول.

وإن قلنا: إن الأقنوم عبارة عن الصفة، فانتقال الصفة من ذات إلى ذات أخرى غير معقول.

ثم، بتقدير انتقال أقنوم العلم عن ذات الله تعالى إلى عيسى يلزم خلو ذات الله عن العلم، ومن لم يكن عالما لم يكن إلها.."[1].

٣–معنى كون المسيح في القرآن الكريم "كلمة الله"

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (النساء: ١٧١)

فمعناها: خلق الله له بكلمة "كن"، فكلمات الله لا نهائية، أي خلقة ومخلوقاته.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ (كَلِمَاتُ اللَّهِ) إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان:٢٨)، **﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾** (الكهف: ١٠٩)... **فكلمات الله هي خلقه.. ووحيه.. وقضاؤه.**

---

١ – "تفسير الرازي" جـ١١ ص١٩٥ – طبعة دار الفكر – القاهرة سنة ١٤٠١هـ ١٩٨٠م.

أما كون المسيح في القرآن هو روح من الله ﴿ **وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ (النساء: ١٧١).

فإنها لا تعني ألوهيته.. فلقد نفخ الله سبحانه وتعالى في آدم من روحه.. ولم يقل أحد إن آدم قد صار إلها بسبب احتوائه على روح من الله. ﴿ **ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ** ﴾ (السجدة: ٩)، ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (الحجر: ٢٩)

ثم إن هذا القرآن الكريم الذي يستشهد به المنصرون والدفاعيون النصارى، في هذه المواطن، وبهذه الآيات، ليوهم قراءه انحياز القرآن لعقائد النصرانية في ألوهية المسيح.. إن هذا القرآن هو ذاته الذي نفى نفيا قاطعا ألوهية المسيح وبنوته لله، وحكم على من قال ذلك بالكفر والشرك.

﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ (المائدة: ٧٢–٧٧)

هذا هو القرآن الكريم، الذي يحاول المنصرون أن يستشهدوا به.. يعلن أن المسيح: كلمة اله، أي خلقه، نفخ فيه من روحه، كما نفخ في آدم من روحه، وأن المسيح عبد الله ورسوله، كالخالين من الرسل وأن الذين ألهوه، وقالوا بالتثليث قد كفروا بالوحدانية، وسقطوا في مستنقع الإشراك بالله الواحد الأحد.

******

وأما تفويض القرآن الكريم للمسيح عليه السلام معجزات الخلق: ﴿ **أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ (آل عمران: ٤٩)، فهو معجزة بإذن الله، وليست خلقا ابتدائيا كخلق الله، وكذلك شفاؤه للمرضى.. وإحياؤه للموتى.. هو إعجاز بإذن الله: ﴿ **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ (آل عمران: ٤٩)

فهو إعجاز يظهره الله على يديه، وليس ثمرة لألوهيته، وإلا كان شريكا لله في الخلق والإحياء والإماتة، والشراكة تعني الشرك لا التوحيد ثم إن المسيح مخلوق لله بإعجاز دون إعجاز خلق آدم عليهم السلام.

واستدلالهم بآية سورة الزخرف: ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ (الزخرف: ٦١)، استدلال بجعل القرآن المسيح من علامات الساعة، يتجاهل أن هذه الآية مسبوقة بالآية٥٩ التي تقول: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ (الزخرف: ٥٩)، فهو عبد الله

ورسوله، جعله آخر أنبياء بني إسرائيل وعلامات الساعة مخلوقة لله الواحد الأحد، وليس من بينها علامة تشارك الله في الألوهية والخلق، ولم يقل عاقل إن علامات الساعة هي آلهة مع الله!.

وميلاد المسيح بلا اب بشري، لا يعني ألوهيته، وإلا لكان آدم عليه السلام أولى بذلك، فلقد خلق دون أب ولا أم، إنهم خلق الله، وكلمات الله، خلقوا بقدرة الله الواحد الأحد: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (آل عمران: ٥٩)، فهو معجزة، خلقه الله دون أب، والإعجاز في خلقه أقل من الإعجاز في خلق آدم، ولذلك عبر القرآن الكريم بلفظ: "كمثل آدم" والمشبّه "خلق المسيح" لم يبلغ في الإعجاز مبلغ المشبه به "خلق آدم".

وإذا كان المسيح قد جاء بمعجزات كثيرة، فإنما كان ذلك لغلاظة القلوب والعقول والرقاب في بني إسرائيل، وإلا فتكفي للداعي معجزة واحدة تتم بها المفارقة للواقع والخرق لقوانينه، والتحدي المعجز، المعلن عن صدق الرسول، ثم إن المسيح عليه السلام قد تألم.. وبكى.. وصرخ.. واستغاث.. وهي من نواقص البشر الممتازين فضلا عن الأنبياء وإن تكن نواقص خارجة عن نطاق التبليغ عن الله.

وقبل كل هذا وبعده.. فإن مصدر عقائد المسيحية في ألوهية المسيح وبنوته لله، وصلبه، مصدرها الأناجيل، التي ثبت بالعقل والنقل واستقراء واقعها افتقارها للشروط الضرورية التي تجعلها مصدر صدق لنظرية اجتماعية أو فلسفية، فضلا عن أن تكون مصدر صدق لدين من الأديان.

إن ألوهية المسيح وبنوته لله: ترفضها أسفار العهد القديم وترفضها اليهودية التي جاء المسيح عليه السلام ملتزما بشريعتها وعقيدتها ومضيفا إليها "التعاليم".

ويرفضها القرآن الكريم.. والإسلام.. ويعدها شركا بالله وكفرا بوحدانيته.

وإذا كانت الأناجيل التي ذكرت في دوائر المعارف والموسوعات والدراسات المسيحية، قد وصل عددها إلى مائة إنجيل فإنه لم يقل بألوهية المسيح، من بين تلك الأناجيل المائة، سوى إنجيل واحد هو إنجيل يوحنا!!.

فهل من الجائز: والمعقول أن تهمل كل الأناجيل الأخرى الإشارة إلى هذه العقيدة المحورية الألوهية وطبيعة الإله وينفرد بها إنجيل واحد من بين مائة إنجيل؟!.

بل لقد أنكرت هذه العقيدة ألوهية المسيح كثير من هذه الأناجيل، التي قالت إن المسيح مخلوق، كان بعد أن لم يكن، وهو عبد الله ورسوله.

بل لقد ظلت هذه العقيدة القائلة إن المسيح هو عبد الله ورسوله العقيدة السائدة في النصرانية إبان القرون الأولى من تاريخ المسيحية.

وإذا كان عمدة الأدلة المسيحية على ألوهية المسيح هو أنه "الكلمة" (كلمة الله) فإن كل أسفار التوراة تأتي فيها "الكلمة" بمعنى: الوحي.. أو الأمر الإلهي.. أو الرسالة النبوية، عند أنبياء العهد القديم.. ولم تشر هذه الأسفار بمصطلح "الكلمة" إلى المسيح ابن مريم أو أي مسيح آخر.

وكذلك صنع القرآن الكريم.. فكلمة الله هي: قوله... وحيه.. ووعده.. وقضاؤه.. وحكمه.. خلقه..

﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ (المؤمنون: ١٠٠)

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ (آل عمران: ٦٤)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود: ١١٩)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (الأعراف: ١٣٧)

﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ (التوبة: ٤٠)

﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ (التوبة: ٧٤)

﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ (الفتح: ٢٦)

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ (يونس: ١٩)

﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٣٩)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (آل عمران: ٤٥)

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾ (النساء: ١٧١)

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (الكهف: ١٠٩)

وفي الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى الكنائس النصرانية لم يرد مصطلح "الكلمة" في متى ومرقس، وورد في لوقا بنفس معناه في أسفار العهد القديم word "إسمعوا الكلمة التي تكلم بها الرب عليكم يا بيت إسرائيل" إرميا ١: ١.. وقال عن يوحنا المعمدان: "كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية" إصحاح ٢: ٣.. وعن يسوع: "إذا كان الجميع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله" إصحاح ٥: ١.

كما أطلق مصطلح "الكلمة" على تعليم تلاميذ المسيح للناس: "وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا" أعمال ٤:٤.. وعلى تعليم بولس: "هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة" أعمال ١٩: ٢٠.

هكذا اتفق التراث اليهودي (في أسفار العهد القديم) وأناجيل: متى ولوقا ومرقس وأعمال الرسل على أن معنى "الكلمة" هو التعليم.. أو الوحي.. أو الأمر الإلهي الصادر عن قصد واختيار من قبل الله تعالى إلى الناس عن طريق إنسان معين، هو النبي أو تابع النبي.

ومع العهد القديم وهذه الأناجيل وقف القرآن الكريم في معنى "الكلمة".

لكن الشذوذ الذي أوقع المسيحيين في تأليه المسيح قد جاء من الإنجيل الوحيد (إنجيل يوحنا) الذي فسر "الكلمة" (أي المسيح) بأنها العقل logos وهو المعنى اليوناني الذي ساد في الفلسفة الوثنية اليونانية.. فجعل المسيح (كلمة اله) عقل الله، ومن ثم فهو متحد به.. أي إله!!.

ولذلك، كان هذا الإنجيل هو الوحيد، من بين الأناجيل المعتمدة الأربعة وغير المعتمدة والتي يصل عددها في بعض الدراسات إلى مائة إنجيل كان هذا الإنجيل هو الوحيد الذي ادعى كاتبه ألوهية المسيح، لأنه "الكلمة" بمعنى "العقل" (عقل الله) ومن ثم كان هذا الإنجيل وحده هو المصدر لعقيدة الحلول والاتحاد والتثليث والتأليه للمسيح.

ففي هذا الإنجيل وحده جاء: "في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله" يوحنا ١:١.

وبعد هذا التصوير للكلمة بأنها هي الله، ذهب هذا الإنجيل وحده فجعل الكلمة كيانا مستقلا: "والكلمة صار جسدا، وحل بيننا" يوحنا ١: ١٤.. فدخل في الحلول والاتحاد والتعدد.

ثم ذهب هذا الإنجيل وحده فأوغل على درب الوثنية والشرك إلى حيث جعل الكلمة (المسيح) بديلا عن الله، قائما بكل وظائف الإله!.. "هذا كان في البدء عند الله، كل شئ به، كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان" يوحنا ١: ٢—٣.

وهكذا نجد هذا الإنجيل الذي انفرد بتأليه المسيح.. وانفرد بتبني المعنى اليوناني الوثني للكلمة (العقل) اللوجس، والنزعة الغنوصية اليونانية.. الحلولية.. نجده قد جمع كما هائلا من التناقضات.

فإذا كانت "الكلمة" هي الله، فكيف تصير الكلمة (الله) جسدا حل بيننا ؟!. هل خلق الله ذاته وجعلها جسدا ؟!.. أم أنه خلق جسدا كما يخلق كل المخلوقات ؟.

وإذا كان قد خلق وصّير جسدا حل بيننا.. فكيف يحل هذا المخلوق محل الخالق، فيكون به كل شئ كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان ؟!.

ولا مخرج لهؤلاء الذين اعتمدوا في الألوهية على عبارات شاذة انفرد بها وشذ إنجيل واحد على عكس الأناجيل التي اقترب عددها من المائة وعلى عكس معنى الكلمة في العهد القديم والتراث اليهودي وعلى عكس القرآن، والتراث الإسلامي وعلى عكس معناها في أناجيل أخرى لا مخرج لهم من هذه التناقضات، التي أدخلت الحلول والاتحاد والتعدد والشرك والوثنية إلى التوحيد النصراني لا مخرج لهم إلا العودة إلى المعنى الحقيقي للكلمة:

• وحي الله • ووعد الله • وقضاء الله • وحكم الله • وخلق الله.

بدلا من المعنى الوثني، الذي شاع في الفلسفة الوثنية اليونانية (العقل) (اللوجس) والذي تسرب إلى المسيحية عندما تروّمت، واتخذت صورتها الرومانية على يد بولس.

وبهذه العودة إلى أصول النصرانية الموحدة ومعاني الكلمة في التراث الديني التوحيدي، تعود المسيحية إلى حقيقتها: تعاليم المسيح عليه السلام وبشارته، في إطار دين الوحدانية والتوحيد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

***

أما تعلق القائلين بألوهية المسيح بما جاء في بعض الأناجيل من وصفه بأنه "الاب" أو ابن الله.. "يدعى ابن الله" لوقا ١: ٣٥.. فإن البنوة هنا مجازية، لا تعني الألوهية.

لقد زعمت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ** ﴾ (المائدة: ١٨)

ولم يزعم واحد منهم أن هذه البنوة تعني ألوهيتهم مع الله، أو من دون الله وفي المأثور الإسلامي: "الخلق عيال الله، وأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله".

ومثل ذلك مصطلح "الرب" الذي يطلق "حقيقة" على الله الواحد الأحد.. بينما يطلق "مجازا" على رب البيت وسيده ولقد قال يوسف عليه السلام عن سيده ورب البيت الذي يعيش فيه: ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾ (يوسف: ٢٣) فاستخدم مصطلح "الرب" بمعناه المجازي.. لكنها استخدمه بمعناه الحقيقي عندما قال: ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ (يوسف: ٩٨)

وغريب وعجيب أن يقود الخلط بين الحقيقة والمجاز إلى لشرك بالله العلي العظيم.

***

ولن يغني هؤلاء نفعا محاولات التلفيق بين التعدد وبين التوحيد، عن طريق المثل الذي يكررونه، فيقولون: إن الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، إله واحد، مثلما أن ضوء الشمس، وحرارتها، هما مع الشمس واحد.

ذلك أننا نسألهم: ولماذا الوقوف عند الثلاثة أقانيم؟

إن الشمس مع الحرارة والضوء لها أيضا استدارة ولمعانا، وخصائص كثيرة أخرى فلم لا نفتح الباب للمزيد من العدد في الأقانيم ؟!.

ثم إن الأقنوم إذا كان صفة استحال انتقاله من الذات إلى الآخر وإن كان ذاتا لزم التعدد، وانتفى التوحيد كما سبق وأوردنا كلام الإمام الفخر الرازي.

والحل إنما يكمن في نقاء التوحيد والتنزيه للذات الإلهية، عن مشابهة المحدثات فالله سبحانه ليس كمثله شيء وكل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك كما هو الحال في عقيدة الوحدانية والأحدية والتنزيه في عقائد الإسلام التي هي العقيدة في دين الله الواحد، من آدم إلى محمد، عليهم الصلاة والسلام.

وإذا كانت عقيدة المسيحيين في الخطيئة أي خطيئة آدم، عليه السلام بأكله من الشجرة، تقول إن البشرية كلها قد حملت لعنة هذه الخطيئة بأجيالها المتعاقبة من آدم إلى المسيح وأن فداء البشرية وخلاصها من هذه اللعنة قد اقتضى أن يقدم الآب ابنه المسيح ليموت على الصليب فداء وخلاصا للبشرية من هذه اللعنة وهذه الخطيئة.

فإن هذه العقيدة المسيحية في الخطيئة ولعنتها إنما تصل القمة في الظلم، والذروة في اللاأخلاق! بينما لا يتصور عاقل أن يقوم دين على أنقاض العدل والأخلاق.

فحتى لو افترضنا جدلا أن خطيئة آدم لم تتم توبته منها، وغفران الله له ذنبه، فإن العدل الإلهي يقتضي أن يكون الوزر ومن ثم العقاب على آدم، الذي اقترف الوزر، وارتكب الخطيئة وليس من العدل حتى الإنساني فضلا عن الإلهي أن تتحمل البشرية بأجيالها المتعاقبة اللعنة لوزر لم ترتكبه وخطيئة لم تكتسبها.

ثم.. أليس الله سبحانه وهو التواب الرحيم بقادر على أن يغفر الذنوب ويتجاوز عن الخطايا، دون أن يضحي بابنه الوحيد؟! إن القرآن الكريم يضع موازين العدل الإلهي عندما يقول: ﴿ **مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ (الإسراء: ١٥)

وعندما يقول: ﴿ **ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ (الأنعام: ١٦٤)

﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ** ﴾ (غافر: ١٧)

ثم ألم يُهلك الله في طوفان نوح عليه السلام كل العصاة وكتب النجاة للأبرار فما المبرر لبقاء لعنة الخطيئة عالقة بالبشرية البريئة حتى تحتاج إلى صلب وقتل وفداء ؟!.

بل إن في بعض نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ما يشهد للعدل الإلهي، الذي لا يحمل أي نفس إلا ما كسبت ومن ثم تنفي هذه النصوص الأسس اللاأخلاقية التي قامت عليها عقيدة الخطيئة والصلب والفداء وتأليه المسيح وبنوته لله..

ففي سفر التثنية ٢٤: ١٦ "كل إنسان بخيطئته يُقتل"..

وفي حزقيال ١٨: ٢٠ "النفس التي تخطئ هي تموت"..

وفي إنجيل متى ١٢: ٣٦، ٣٧ "لا لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان".

فهذه النصوص مع القرآن الكريم مع العدل والمنطق تنسف الأسس اللاأخلاقية التي أقام عليها المسيحيون عقيدة الخطيئة.. والتي ربتوا عليها عقائدهم في ألوهية المسيح وبنوته لله والصلب والفداء والخلاص.

***

ثم.. أليس غريبا وعجيبا بل ومريبا أن يُعتمد في الألوهية على إنجيل تحف به الكثير من الشبهات ؟..

فضلا عن شذوذه، في تأليه المسيح، عن غيره من الأناجيل؟! لقد قال الأب روجي في كتابة "مقدمة إلى الإنجيل" إنجيل يوحنا:

"إن عالم آخر!!.. فهو يختلف عن الأناجيل الأخرى في ترتيب واختيار المواضيع والروايات والخطب، كما فيه اختلافات في الأسلوب والجغرافيا والتعاقب الزمني للأحداث، وفي متنه أكثر من عنوان معارض، وزيادة على ذلك فإن فيه اختلافا في الآفاق اللاهوتية، كما يقول "أ.كولمان": "إلى درجة أن أقوال المسيح تساق بشكل مختلف لدى كل من يوحنا والمبشرين والآخرين..".

وكما انفرد هذا الإنجيل (يوحنا) بتأليه المسيح كذلك انفرد بالاختلاف مع الأناجيل الأخرى في العديد من الوقائع والأحداث

– فهو الوحيد الذي يذكر حضور أم يسوع لصلبه.

– وهو ينكر أن تكون أم المسيح اسمها مريم!.. ويقول إن مريم هي أخت أمه وزوجة كلوبا!.

– وهو وحده الذي يذكر وجود يوحنا الحواري واقفا عند يسوع وقت صلبه.. ثم يعود فيقول إنه كان مختبئا مع سائر تلاميذ المسيح!.

– كما ينفرد بجعل مريم المجدلية تقف مع أم يسوع وخالته – مريم – وتلميذه يوحنا عند الصليب.

– وينفرد بأن مريم المجدلية هي الوحيدة التي شهدت بأنها رأت يسوع بعينيها وتكلمت معه بعد قيامته من الموت، وهو بعد عند قبره لم يصعد إلى السماء.

– ويعتقد "أ.كولمان" أن الإصحاح ٢١ من هذا الإنجيل هو من عمل أحد التلاميذ، الذي أضاف أيضا بعض اللمسات إلى متن الإنجيل.

– وهناك اتفاق على أن الفقرات من الإصحاح ٧: ٥٣ إلى الإصحاح ٨: ١١ "هي نص مجهول الأصل"، ألحق فيما بعد بهذا الإنجيل.

– كما أن هذا الإنجيل (ويالللدهشة) لم يذكر شيئا عن رواية تأسيس القربان والذي أصبح ركنا من أركان الطقوس الكنسية "القداس".. [1].

كما امتلأ هذا الإنجيل (يوحنا) بالتناقضات..

– ففي ٧: ٦ تعليم المسيح ليس من عنده.

وفي ١٠: ٣٠ التعليم من عنده.

– وفي ٣: ٢٢، ٢٦ أن المسيح تُعَمَّد.

– وفي ٤: ١–٣ المسيح لا يُعَمَّد.

ولأن هذا هو حال هذا الإنجيل.. فلقد قالت عنه "دائرة المعارف البريطانية" وهي أكثر موسوعات الغرب المسيحي موضوعية ومصداقية.. والتي تصدرها دولة ملكتها هي رئيسة الكنيسة فيها.. قالت:

"إن إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد الذي نص بكل صراحة على ألوهية المسيح، حيث نقل عنه أنه قال: "أنا والآب واحد" ١٠: ٣٠ و"الذي رآني فقد رأى الآب" ١٤: ٩ و "أنا في الآب والآب فيّ" ١٤: ١٠.

ويتعارض هذا الإنجيل مع الأناجيل الأخرى في أمور مهمة جدا وحاسمة:

– فهو يذكر أن المسيح صلب يوم ١٤ نيسان "أبريل"، بينما يفهم من بقية الأناجيل أن الصلب كان يوم ١٥ نيسان.

– ولا يذكر يوحنا في إنجيله تفاصيل رواية القربان المقدس، أو العشاء الأخير، التي أصبحت فيما بعد شعيرة من شعائر المسيحية.

---

١ – جعفر حسن عتريس "التوراة والإنجيل والقرآن بين الشهادات التاريخية والمعطيات العملية" ص ١٦٣ – ١٨٠ طبعة دار الهادي – بيروت سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

– ولا يذكر أن المسيح تعمّد بواسطة يوحنا المعمدان.

– وفي حين يفهم من إنجيل يوحنا أن رسالة المسيح استغرقت ثلاثة أعوام، فإنه يفهم من الأناجيل الأخرى أنها استغرقت عاما واحدا.

– ويوحنا هو الوحيد الذي ذكر أن المسيح أخبر تلاميذه قبل صلبه أنه سيرسل "الفارقليط".

– ولقد أوردت الموسوعة البريطانية قول الأسقف "بابياس" المتوفى سنة ١٣٠ م أي المعاصر لمرحلة كتابة الأناجيل عن وجود أكثر من يوحنا يوحنا بين زبدي، الحواري.. ويوحنا آخر هو الكاهن في "أفسس"[١].. وفي داخل إنجيل يوحنا يفهم أنه كتب بواسطة حواري مجهول الاسم.

وبما أن الشواهد الداخلية والخارجية مشكوك فيها، فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هي:

"أن إنجيل يوحنا ورسائله حررت في مكان ما في الشرق، ربما في أفسس، كإنتاج لمدرسة أو دائرة متأثرة بيوحنا في نهاية القرن الأول الميلادي"[٢].

***

تلك هي الحقائق حول إنجيل يوحنا.. الحقائق التي تطرح السؤال المنطقي:

هل هناك منطق يبرر أخذ العقيدة الأم عند الكنائس النصرانية عقيدة ألوهية المسيح عن مثل هذا الإنجيل، الذي لا علاقة له ولا لكاتبه بعصر المسيح ولا اتساق بينه وبين غيره من الأناجيل المعتمدة منها.. فضلا عن غير المعتمدة التي ترفض وتنقض تأليه المسيح عليه السلام ؟!.

إن في أناجيل أخرى غير إنجيل يوحنا نصوصا تشهد على التوحيد وتعلن أن المسيح عليه السلام سيتبرأ يوم الحساب من الذين ألهوه وعبدوه واستعانوا به، بدلا من عبادة الله الذي في السموات.

ففي متى ٧: ٢١–٢٣ "ليس كل من يقول يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم".

ففي هذا النص يعلن المسيح براءته من الذين توسلوا باسمة بدلا من اسم الله الواحد الذي في السماء..

ونحن عندما نتأمل هذا النص نتذكر على الفور ما جاء في القرآن الكريم:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٦–١١٨)

---

١ – مدينة قديمة في آسيا الصغرى، على بحر إيجة.. من عواصم المسيحية في القرون الأولى.

٢ – "الموسوعة البريطانية" المجلد الثاني ص٩٥٥.

***

تلك هي قصة السقوط المسيحي في تأليه المسيح، والكفر بالوحدانية والأحدية.. واستبدالهم التثليث بالتوحيد.. وهذا هو المصدر الوحيد (إنجيل يوحنا) الذي انفرد بتأليه المسيح.. وهذا هو حال هذا الإنجيل ومكانه من المصداقية في هذا الأمر الخطير.

الأمر الذي يطرح هذا السؤال، الذي ندعو عقلاء المسيحيين إلى التفكير الجدي في الإجابة عليه.. لأن القضية قضية دين.. وليست عصبية للباطل.. وقضية آخرة وحساب وجزاء.. وجنة ونار.. وليست مغالبة على حطام الدنيا الفانية التي لا خير فيها ولا قيمة لها إذا لم تكن وعاء لطاعة الإله الواحد الحق والسبيل إلى السعادة الأبدية في يوم الدين.. يوم لا ينفع الناس ولا يغني عنهم شيئا أ؛د من الأحبار الذين ضلوا وأضلوا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣٤)

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣٠–٣٤)

٤–حول العصمة.. والخطيئة.. والمعجزات

وحتى تسوّق الكتابات التنصيرية عقيدة النصارى في ألوهية المسيح.. تذهب لنفي العصمة عن كل الأنبياء والمرسلين.. وإلصاق الخطيئة بكل البشر بمن فيهم الأنبياء والمرسلون واعتبار طبيعة البشر "طبيعة ساقطة" وذلك باستثناء شخص واحد هو المسيح ليكون متفردا وحده دون البشرية جمعاء وليكون من ثم إلها، وليس عبدا لله ورسولا!.. ولهذا، قال صاحب كتاب مستعدين للمجاوبة ص ٢٢، ٣٦:

"إنه حتى الأنبياء لم يكونوا معصومين من الخطيئة.. وأن كل البشر – حتى الأنبياء المرسلين – ليس فيهم من له خلاص كامل من عقاب الخطية... استثناء شخص واحد هو المسيح، فهو الكامل كمالا مطلقا بلا أية خطية فعلية أو أصلية، فهو غير مولود وارثا لطبيعة الخطية الأصلية من أبينا آدم".

وذهب في نفي العصمة وإثبات الخطيئة على الأنبياء والمرسلين، إلى محاولة تأويل القرآن الكريم تأويلا فاسدا كي تشهد لدعواه ذهب ليستشهد على نفي العصمة من الأنبياء:

بدعاء نوح عليه السلام: ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ** ﴾ (نوح: ٢٨)

ودعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾ (إبراهيم: ٤١)

كما ذهب فاستشهد بالعهد القديم على أن نوح عليه السلام قد سكر وتعرّى تكوين ٩: ٢١..

وأن إبراهيم عليه السلام قد كذب، وفرط في زوجته تكوين ٢٠: ٤٢.

ونحن نقول: إن عقيدة العصمة للأنبياء والمرسلين: ضرورة عقلية لكمال الله سبحانه ولحكمته، في اصطفاء الأنبياء والمرسلين ولمصداقية الرسالات التي أرسلهم الله بها إلى الناس.

فمن العبث الذي يتنزه عنه عقلاء البشر أن يختار الإنسان رسولا يبلغ رسالة وأمانة دون أن يكون هذا الرسول جديرا بجذب المصداقية إلى هذه الرسالة وهذه الأمانة، وإذا كان ذلك عنوانا لحكمة البشر الأسوياء، فما بالنا بحكمة الحكيم العليم، الذي هو أعلم حيث يجعل رسالته؟

ثم إن هذه العصمة للأنبياء والمرسلين هي عصمة فيما يبلغون عن الله وعما ينفّر أو يشين وليست عصمة من مطلق الاجتهادات التي قد لا توافق الأولى والصواب فهم في الاجتهادات غير معصومين، لكن الله لا يقرّهم على الاجتهادات التي تخالف الأولى والصواب، وذلك حتى لا يكونا قدوة وأسوة فيها.

ومن ثم فإن إتيان أي من الأنبياء والمرسلين لاجتهادات تخالف الأولى في غير التبليغ عن الله ودعاء هؤلاء الأنبياء والمرسلين ربهم كي يغفر لهم هذه الأخطاء، لا ينافي العصمة الواجبة لهم فيما يبلغون عن الله، والتي هي من مقتضيات الحكمة الإلهية، وانتفاء النقص والعبثية عن ذاته المتصفة بكل صفات الجلال والكمال.. كما أنها من ضرورات المصداقية للرسالات والأمانات التي حملوها إلى الناس.

وفي الإسلام تقرر أن العصمة للأنبياء والمرسلين فيما يبلغون عن الله عقيدة من العقائد التي كفر منكرها لأنها من العقائد التي تستلزم صفات الحكمة والكمال والجلال الواجبة لله ولقد تحدث الأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده عن عقيدة العصمة هذه، وعن معانيها وأبعادها فقال:

"إن من لوازم الإيمان الإسلامي: وجوب الاعتقاد بعلو فطرة الأنبياء والمرسلين، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عُهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه المسيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تنبوا عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يضاد شيئا من هذه الصفات المتقدمة.

وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية.. إن لنفوسهم من نقاء الجوهر، بأصل الفطرة، ما تستعد به، من محض الفيض الإلهي، لأن تتصل بالأفق الأعلى، وتنتهي من الإنسانية إلى الذروة العليا، وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها إلى تعقله أو تحسسه بعصى الدليل والبرهان، وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحا على ما يتلقاه أحدنا من أساتذة التعاليم، ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم ما علمت دعوة الناس إلى ما حُملت على إبلاغه إليهم.

فهؤلاء الأنبياء والمرسلون من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص.. يعلّمون الناس من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به، مما لو صعب على العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده.

يميزهم الله بالفطر السليمة، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يطيقون للاستشراق بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها.

ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله بما خفي من العقول من شئون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه، وما قدّر أن يكون له مدخل في سعادتهم الأخروية، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لابد لهم من علمه، معبّرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم، ولا يبعد من متناول أفهامهم، وأن يبلغوا عنه شرائع عامة، تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم، وكبح شهواتهم، وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله، اللاحق علمه بأعماق ضمائرهم في إجماله، ويدخل في ذلك جميع الأحكام المتعلقة بكليات الأعمال، ظاهرة وباطنة.

ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات، حتى تقوم لهم الحجة، ويتم الإقناع بصدق الرسالة، فيكونا بذلك رسلا من لدنه إلى خلقه مبشرين ومنذرين.."[1].

تلك هي النظرة القرآنية، والعقيدة الإسلامية في اصطفاء الله للأنبياء والمرسلين.. وفي تميزهم.. وامتيازهم.. وعصمتهم عن كل ما ينفر أو يشين.

لذلك.. فإننا نجد أنفسنا في عقيدة العصمة للأنبياء والمرسلين أمام مدرستين، في الفكر الديني:

---

١ – محمد عبده "الأعمال الكاملة" جـ٣ ص٤٠٠، ٤٠١، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٠٦ – دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م، وطبعة دار الشروق – القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

١– المدرسة القرآنية: التي تقرر العصمة للأنبياء والمرسلين فيما يبلغون عن الله ومما ينفر أو يشين وذلك انطلاقا من عقيدة التنزيه للذات الإلهية عن العبثية ووجوب بالحكمة والكمال لذاته فيما يصطفي من الأنبياء والمرسلين.

٢– ومدرسة أسفار العهدين القديم والجديد: التي تزدري الأنبياء والمرسلين، عندما تجردهم من العصمة وتصفهم بالأوصاف الرديئة التي يتنزه عنها الناس الأسوياء، فضلا عن المختارين المصطفين من الأنبياء والمرسلين، الذي صنعهم الله على عينه.

فأبو الأنبياء إبراهيم الخليل في هذه المدرسة اليهودية النصرانية يخطئ في تقدير أخلاق المصريين عند دخوله إلى بلادهم ويتواطأ مع زوجه سارة على الكذب وعلى الدياثة وإسلام زوجه الجميلة لمن يعاشرها في الحرام طمعا في بقائه حيا وطمعا في الغنم والبقر والحمير والجمال والعبيد يعطيها له فرعون مصر لقاء زوجته الجميلة! تكوين١٢: ١٠–٢٠.

بينما صورته في القرآن الكريم، هي صورة أبي الأنبياء الأمة والإمام والصالح المصطفى في الدنيا والآخرة والأواب.. الحليم.. المنيب.. الصدّيق.. خليل الرحمن.. والأسوة الحسنة.. والناظر في الملكوت ليقيم الدليل العقلي على التوحيد.. ومحطم الأصنام.. ومطهر البيت الحرام، ورافع قواعده والذي صارت النار بردا وسلاما عليه.. والممتثل لأمر ربه أن يذبح ولده البكر الحبيب والوحيد.. والذي عليه سلام الله.

وكذلك الحال مع نبي الله لوط عليه السلام، فصورته في العهد القديم صورة الذي سكر وزنى بابنتيه تكوين ٩: ٣٠–٣٨، بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة العبد الصالح.. صاحب العلم والحكمة والناهي عن الفحشاء والمنكر والمتطهر الذي نجاه الله.

وكذلك الحال مع نبي الله داود عليه السلام، فصورته في العهد القديم هي صورة الفاسق المتلصص على عورات الناس والزاني والمتآمر والقاتل والمغتصب للنساء والزوجات– صموئيل الثاني ١١: ١–٢٦، بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة الخليفة.. الأواب الذي سبّحت معه الطير والجبال وصاحب الزلفى وحسن المآب.

وكذلك الحال مع نبي الله سليمان عليه السلام، فصورته في العهد القديم هي صورة زير النساء الخارج عن أوامر الرب الباني النُّصُب لعبادة الأوثان من دون الله والعابد لهذه الأوثان – الملوك الأول ١١: ١–١١، بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة صاحب العلم والفضل الذي علمه الله منطق الطير وأعطاه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده والشاكر لأنعم الله.

وإذا كان هذا الازدراء للأنبياء والمرسلين في مدرسة العهد القديم قد طال الكثير من الأنبياء والمرسلين فإن تبنّي النصارى للعهد القديم، ولما جاء فيه عن ازدراء الأنبياء ونفي العصمة عنهم قد ورط هؤلاء النصارى فيما لا يحبون وضد ما يدعون.

إن تبني منهاج الازدراء للأنبياء ونفي العصمة عنهم قد قاد إلى القول بأن مريم عليها السلام التي ولدت المسيح هي من نسل خطيئة الزنا! فهي من نسل داود الزاني وداود هذا هو من نسل يهوذا الزاني والذي من نسله توالى أبناء الزنا حتى مريم عليها السلام – تكوين٣٨: ١–٢٩.

إنها مدرسة الازدراء للأنبياء والمرسلين النافية للعصمة والتي أساءت وتسئ إلى حكمة الله سبحانه وتعالى في اصطفاء هؤلاء الأنبياء والمرسلين[1].

بل لقد تصاعد هذا الازدراء في هذه المدرسة حيث طال الذات الإلهية تعالى الله عما يصفون، فنسبوا إلى الله الحزن والأسف "فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه" تكوين ٦: ٦، ونسبوا إليه سبحانه– نقض العهد "نقضت عهد عبدك" المزامير ٨٩: ٣٩، ونسبوا إليه البداء وتغيير الرأي والرجوع عن التدبير والقضاء "غير الرب رأيه" خروج ٥: ١.

كما كان الهدف من وراء تنقيص الأنبياء والمرسلين هو إبراز فرادة وتفرّد المسيح عليه السلام وصولا إلى تأليهه بدعوى أنه "الوحيد الكامل كمالا مطلقا بلا أي خطية فعلية أو أصلية، فهو غير مولود وارثا لطبيعة الخطية الأصلية من أبينا آدم".

تفرد المناشير والكتابات التنصيرية إعجاز المسيح تفرده بنوعية وطبيعة معجزاته وأنها تدل على الطبيعة الإلهية للمسيح، ومن هذه المعجزات: إحياؤه الموتى، وشفاؤه المرضى، وعلمه للغيب إلخ.. إلخ ونحن في الرد على دعاوى توظيف معجزات المسيح عليه السلام لتأليهه، ودعاوى تفرده في الإعجاز كيفا وكما نقول:

إن المعجزة هي علامة وآية خارقة للعادة يظهرها الله سبحانه على يد مدعي النبوة والرسالة لتقوم دليلا معجزا على صدق دعوته يتحدى بها الرسول الذين لا يصدقون دعوته ورسالته.

وواحدة من هذه المعجزات تكفي للبرهنة على صدق الرسول، أما كثرة المعجزات فلها علاقة بمستوى التكذيب لدى القوم، ومستوى الغلظة التي هم عليها، ولا علاقة لكثرة المعجزات بمستوى التكريم للرسول ولا بمنزلته، و إلا فمعجزات موسى أكثر في العدد والإدهاش من معجزات أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

ومن معجزات موسى التي استدعتها غلظة قلوب بني إسرائيل وعتو فرعون:

١– إنقاذه من الذبح وهو وليد.

٢– وإنقاذه من الغرق في اليم.

٣– وإيحاء الله إلى أمه.

٤– وإرجاعه إلى أمه لترضعه.

٥– ونجاته من فرعون.

٦– وتجلي الله له.

٧– وتكليم الله إياه.

٨– والعصا التي أصبحت حية تلقف ما صنع الساحرون، وإحياء العصا أبلغ من إحياء الميت.!

٩– وفلق البحر له ولبني إسرائيل كالطود العظيم.

١– انظر كتابنا " الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس بين العصمة والازدراء" طبعة مكتبة الشروق الدولية – القاهرة سنة ٢٠٠٩م.

١٠– وهلاك فرعون وملئه.

١١– ونتوء الجبل.

١٢– والتقلبات التي حدثت ليده.

١٣– وإنزال المن والسلوى له ولمن معه.. إلخ.. إلخ

ومثل كثرة المعجزات على يد رسول من الرسل، كثرة الرسل في قوم من الأقوام ليست علامة تكريم للقوم ورفعا لشأنهم بقدر ما هي دليل على غلظة قلوبهم وكثرة خروجهم على هدي الشريعة الإلهية كما هو الحال في بني إسرائيل، فكثرة المعجزات ككثرة الرسل في قوم من الأقوام هي ككثرة القوانين في مجتمع من المجتمعات ليست دليلا على الامتياز بقدر ما هي دليل على غلظة القوم وكثرة عصيانهم وخروجهم على الهدي والقانون.

لقد قال المسيح عليه السلام عن يوحنا المعمدان عليه السلام: "الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان"، ومع ذلك فليس ليوحنا المعمدان معجزات!.

ولقد كان إحياء المسيح الموتى إعجازا من الله بإذن الله وأعظم منه في الإعجاز، تلك الحياة التي دبت في عصا موسى حتى صنعت المعجزات.

وإذا كان المسيح عليه السلام قد أشبع الجوعى بمعجزة من الله، فإن موسى عليه السلام قد أطعم بني إسرائيل المن والسلوى بمعجزة من الله – الخروج ١٦: ٤–٣١.

وأعجب من معجزة المسيح شفاء الأبرص.. معجزة موسى عندما أخرج يده من جيبه سليمة صحيحة ثم أدخلها في عبه فلما أخرجها إذا هي برصاء بيضاء كالثلج فلما رده إلى عبه مرة أخرى ثم أخرجها إذا هي صحيحة سالمة.

وكذلك معجزة اليشع (اليسع) الذي جاءه نعمان رئيس جيش ملك آرام ليشفيه من البرص فطلب منه اليشع الاغتسال في نهر الأردن سبع مرات متتالية فبرئ من البرص فور فعله لذلك.

ومعجزة تشكيل عيسى من الطين كهيئة الطير ثم النفخ فيها لتصبح حية بإذن الله أعجب منها تحول عصا موسى وهي كما هي دون تشكيل إلى حية تسعى وتلقف ما صنع الساحرون.

ومعجزة عيسى إحياء الموتى بإذن الله لها نظائر مثلها وأكثر منها وأسبق في معجزات أنبياء بني إسرائيل.. فالنبي إيليا (إلياس) تخبره امرأة بقرية صرفة بموت ولدها فيرده "إيليا حيا معافى ويقول للمرأة انظري ابنك حي"!

وأعجب من هذه المعجزة معجزة اليشع (اليسع) الذي بشر المرأة الشوغية بمولود تلده ويكون في حضنها في مثل هذا الوقت من العام القادم ولما تحققت هذه المعجزة وكبر الولد ومرض ومات سافرت المرأة إلى اليشع وأخبرته بموت ولدها فجاء إلى قريتها وأحيا الولد بإذن الله.

ومثل هذه المعجزات إحياء الميت قصة ذلك الميت الذي كان يحمله أهله في النعش ليدفنوه، فلما أبصروا الغزاة قادمين ذعروا وألقوا الميت فسقط على قبر النبي "اليشع" وبنص العهد القديم الذي يؤمن به النصارى فلما

مس جسد الميت عظام اليشع عاش وقام على رجليه! – سفر لملوك الثاني ١٣: ٢١ – أي أن اليشع قد أحيا الموتى وهو ميت!! فكان في المعجزات أبلغ وأكثر إدهاشا من المسيح عليه السلام!

ومعجزة المسيح تكثير الطعم القليل أسبق منها وأعجب ما صنعه اليشع عندما جاءته امرأة من بني الأنبياء كان زوجها تقيا، فسألته ماذا تفعل وهي فقيرة لا تملك سوى قطرات قليلة من الزيت، مع المرابي الذي يطالبها بسداد الدين الذي عليها، فطلب منها اليشع أن تذهب فتستعير من جميع الجيران كل ما لديهم من الأوعية الفارغة، وقال لها: ثم ادخلي وأغلقي الباب على نفسك وعلى بنيك وصبي في جميع هذه الأوعية زيتا ثم قال لها اليشع "اذهبي بيعي الزيت وأوفي دينك وعيشي أنت وبنوك بما بقى"! – سفر الملوك الثاني ٤: ٧.

ومثل هذه المعجزات كذلك ما صنعه اليشع بالأرغفة العشرين عندما أمر خادمه أن يقدمها طعاما للشعب ليأكلوا منها فلما قال له الخادم:

– ماذا؟! هل أجعل هذا أمام مائة رجل؟!

– قال للخادم: أعط الشعب ليأكلوا لأنه هكذا قال الرب: ياكلون ويفضل عنهم فأكلوا وفضل عنهم حسب قول الرب. سفر الملوك الثاني ٤: ٤٢، ٤٣.

وأعجب من ذلك في الإعجاز والإدهاش ما صنعه النبي إليا "إلياس" مع المرأة في قرية صرفة عندما طلب منها طعاما وشرابا إبان القحط والجفاف فلما أخبرته بأن كل ما في بيتها لا يتعدى ملء كف من دقيق، بشرها بأن ما عندها لن ينفد أبدا، وسيكفيها وأسرتها ثلاثة أعوام حتى يجئ المطر فتحققت المعجزة. سفر الملوك الأول ١٧: ٤–٦.

ومثل هذا وأعجب معجزة "إليا" "إلياس" الذي كانت تأتيه الغربان بقوته، وتطعمه في اليوم مرتين، فتأتيه بخبز ولحم صباحا، وتأتيه بمثلها مساء، ويشرب من ماء النهر. سفر الملوك الأول ١٣: ٤–٦.

وعندما هرب إلياس من ملك الإثنيين مخافة أن يقتلوه ونام في مكان مهجور في انتظار الموت من شدة الجوع والعطش "إذا بملاك مسه وقال: قم وكل لأن المسافة كثيرة عليك فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب ودخل هناك المغارة وبات فيها. سفر الملوك الأول ١٩: ٥–٩[1].

ففي هذه المعجزات وأمثالها لأنبياء كثيرين من الذين بعثوا في بني إسرائيل والتي ورد ذكرها في الكتاب المقدس الذي يؤمن به النصارى فيها ما هو أعجب من معجزات المسيح ومع ذلك لم يقل أحد حتى من النصارى بألوهية الأنبياء الذين تفوقوا على المسيح في هذه المعجزات، فلا المسيح قد تفرد بالإعجاز ولا كثرة الإعجاز وإدهاشه دليل على ألوهية من ظهرت على يده هذه المعجزات.

١– أنظر في ذلك: حسني يوسف الأطير "تقويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين" ص٢٦٧– ٢٧٢ – طبعة مكتبة النافذة – القاهرة سنة ٢٠٠٥م.

إن كثرة المعجزات وشدة إدهاشها لا علاقة لها بتفاضل مراتب الأنبياء والمرسلين، وإنما هي تابعة لغلاظة قلوب القوم الذين بعث فيهم هؤلاء الأنبياء ثم إنها جميعا خلق الله الواحد الأحد الذي خلقها وأظهرها تأييدا لعباده الأنبياء والمرسلين[1].

وهكذا تسقط حجة المنصرين التي توسلوا بها لتأليه المسيح عليه السلام عن طريق دعوى تفرده وتميزه في المعجزات وعن طريق تنقيص الأنبياء والمرسلين في العصمة والإعجاز.

لكن في النهاية طريقتهم هي طريقة الفكر اللاعقلاني مثل: "اعتقد وأنت أعمى"!! أو أغمض عينيك واتبعني!! "وإننا نصدق ونؤمن حتى ولو لم يكن ما نؤمن به معقولا"!![2].

وكما قال القديس أغسطين (٣٥٤–٤٣٠م): "أومن بهذا لأنه محال أو غير معقول"!!

وقال عنها القديس أنسيلم (١٠٣٣–١١٠٩م): "يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر فليس الإيمان في حاجة إلى نظر عقل"!![3]

وهنالك في ثنايا الفصل القادم زيادة في التفصيل والشرح حول جدل القضايا التنصيرية في اتهام القرآن والاسلام أنه يؤيد مزاعم تأليه المسيح وأزليته وصحت الكتب المسيحية والتثليث وقضايا أخرى زعموها فكان هذا الفصل مقدمة للتفصيل في مضامين هذا الشبهات ونقدها ليس أكثر، وسنقوم في الفصل القادم بالرد على ٢٩ قضية وشبهة ونقدها بشكل تفصيلي منهجي تسلسلي والله الميسّر.

---

[1] أكثر فقرات هذا البحث عن كتاب تقرير علمي للدكتور محمد عمارة ص: ٧١-١٣٦ باختصار وتصرف.

٢– د. أحمد شلبي: "مقارنة الأديان" جـ٢ ص١٢٤ – طبعة القاهرة.

٣– المصدر السابق جـ ٣ ص٢٧٩.

هل صحيح إن آيات القرآن الكريم تدعم النصرانية والتثليث.

١.القرآن وألوهية المسيح.

٢.هل الضمير نحن في القران المقصود به عيسى (التثليث له وجود في القرآن)!!.

٣.هل نسب القرآن إلى المسيح صفة الخالقية؟.

٤.ادعاء ثبوت صور للتثليث في العقيدة الإسلامية.

٥.ادعاء أن القرآن الكريم يقرر ألوهية المسيح عليه السلام.

٦.دعوى تناقض القرآن حول تصوره للمسيح عليه السلام.

٧.هل امتدح القرآن النصارى؟.

٨.أتباع المسيح موعودون بالظفر على الكافرين؟.

٩.سؤال أهل الكتاب فيما يشكل على النبي.!!

١٠.إن القرآن يقر الإنجيل بصورته الحالية ويوجب على أهل الأديان جميعا الإيمان به وفيه حكم الله.

١١.الزعم أن القرآن يقر عقيدة الفداء النصرانية.

١٢. هل الذكر المحفوظ هو كتب أهل الكتاب؟.

١٣. الكتاب الذي لاريب فيه هو الإنجيل وليس القرآن؟؟!.

١٤. كيف يمكن القول بأن عيسى لم يمت في الوقت الذي يؤكد فيه القرآن وفاته في سورة آل عمران؟.

١٥. روح القدس في القرآن المؤيّد للمسيح؟.

١٦. لم تنزل مائدة من السماء.!!

١٧. الاستدلال بالآية ١٤٦ من سورة البقرة على عدم تحريف الإنجيل.

١٨. ما معنى {حتى يقيموا التوراة و الإنجيل} ؟؟.

١٩. معنى الإحتكام لكتب القوم في قوله: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك } (يونس : ٩٤).

٢٠. دعوى عدم حسم القرآن مسألة صلب المسيح عليه السلام.

٢١. إنّ القرآن ينكر صلب المسيح والأناجيل تثبته، فهل كان الصلب أولا ثم القتل أم القتل ثم الصلب.

٢٢. ادعاء أن الوضوء مأخوذ من التعميد في المسيحية.

٢٣. توهم أن التكبير في الصلاة مأخوذ عن المسيحية، وعادات الجاهلية.

٢٤. توهم أن المسلمين يرسمون الصليب في صلاتهم.

٢٥. ادعاء أن القرآن والإنجيل يثبتان أفضلية المسيح على محمد صلى الله عليه وسلم.

٢٦. ادعاء أن القرآن الكريم أقر أزلية المسيح.

٢٧. الزعم أن القرآن ينص على أن المسيح ابن الله.

٢٨. ادعاء أن بنوة المسيح عليه السلام لله سبحانه وتعالى لا تنافي التوحيد.

٢٩. قالوا إن المسلمين يثبتون العصمة للمسيح وينفونها عن محمد صلى الله عليه وسلم.

تمهيد:

قال ابن تيمية: (فتبين أنهم (أي النصارى) يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة ، وأن كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الإلهية من جنس واحد) [1].

وقال رحمه الله في شأن ما يستدل به النصارى من آيات الذكر الحكيم : (ان جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها ، فهو حجة عليهم لا لهم ، وهكذا شأن جميع أهل الضلال إذا احتجوا بشيء من كتاب الله وكلام أنبيائه ، كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم ، وذلك لعظمة كتب الله المنزلة على أنبياؤه ، فإنه جعل ذلك هدى وبيانًا للخلق وشفاء لما في الصدور ، فلابد أن يكون في كلام الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين من الهدى والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل ، والصدق والكذب ، لكن الناس يؤتون من قبل أنفسهم ، لا من قبل أنبياء الله تعالى)[2]. فالأمر كما قال الله: {وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ }(المائدة:١٣) !

فمن دعواهم إقرار القرآن بأن النصارى على حق، فيزعمون أن القرآن أقر أن النصارى على حق، ويستدلون على هذا بقوله سبحانه وتعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} (العنكبوت: ٤٦)، حيث أمر بجدالهم وليس بمخالفتهم، وهذا يدل على الاتفاق مع شيء من الاختلاف في الرأي.

الجواب: لو كان أهل الكتاب على حق لما كان الجدال من أساسه إن قوله سبحانه وتعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} (العنكبوت: ٤٦) لا يدل على أن أهل الكتاب على الحق، ولو كانوا على الحق لأمر القرآن باتباعهم والاستجابة لهم وعدم مخالفتهم في دعوتهم، فهذا فهم خاطئ واستدلال لا وجه له، بل هو تحريف للكلم عن مواضعه، إنما الذي تأمر به الآية، هو جدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن؛ لأنهم قد يكونون أقرب إلى الإسلام من غيرهم من المشركين، وأقرب فهما لطبيعته، وأعلم بحقيقته من غيرهم، لما عندهم من بقايا دياناتهم، وإن كتموا وحرفوا؛ ولأن القرآن يسعى إلى الارتقاء بأسلوب الحوار وعملية الجدال إلى أعلى مستوى – أمر بأن يكون الحوار بالتي هي أحسن معتمدا على الحجة والبرهان، ومتجنبا الإساءة والخداع والادعاء الباطل، وسائر أدوات ووسائل الجدل العقيم والنقد الهدام، فتلك دعوة قرآنية لإقامة الحق وإظهاره، والكشف عن الباطل وبيان ضعفه وتفاهته دون سب أو تجريح، أو إساءة.

الأمر بالجدال في الآية لا ينفي بطلان ما هم عليه، ولا يعني أن الاختلاف مجرد اختلاف في الرأي، إن القرآن وقف من أهل الكتاب موقف الناقد البصير، والمعلم الذي يصوب لهم أخطاءهم، ويصحح لهم عقائدهم، ويبين لهم إثم كتمان الحق وجريمته، وشناعة تحريف الكلم عن مواضعه وقبحه، وخصوصا في الأمور الجوهرية عند أهل الكتاب، وهي الأمور التي تمس صلب العقيدة، إذ أظهر القرآن في صراحة ووضوح بطلان ما يعتقده أهل الكتاب من العقائد الفاسدة، وشدد النكير وأكد الرفض لكل عقائدهم الشركية الفاسدة في مواضع

---

[1] – الجواب الصحيح ٢٧٤/٣ لابن تيمية ، الناشر: دار العاصمة، السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

[2] – الجواب الصحيح ٤٣/٤ مرجع سابق

عديدة، منها قوله سبحانه وتعالى: {وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠)} (التوبة).

وقوله سبحانه وتعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢)} (المائدة) وقوله سبحانه وتعالى: {يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (٧١)} (آل عمران). وقال عن النصارى: {ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (١٤)} (المائدة). وقال أيضا: {يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير} (المائدة: ١٥).

والآيات التي تنتقد أهل الكتاب في صلب عقائدهم وتشنع عليهم جرائمهم وضلالاتهم سواء تحريفهم الكلم عن مواضعه أو كتمانهم الحق وإخفائهم إياه عن الناس كثيرة كثرة ظاهرة، فالخلاف مع أهل الكتاب خلاف جوهري مبدئي، باتساع الفجوة بين عقائد المسلمين وعقائدهم الفاسدة التي حرفوها وغيروها.

فالبون في التصورات الدينية بين الديانة الإسلامية ودياناتهم بعد تحريفها بون شاسع، فكيف يدّعي هؤلاء المدّعون أن القرآن يثبت أن النصارى على حق، وأن الخلاف معهم مجرد خلاف في الرأي؛ مستدلين بآية العنكبوت: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} زاعمين أنه لم يأمر بقتالهم طالما أنه قد أمر بجدالهم بالتي هي أحسن، فلماذا يكون الجدال إذن ما داموا على حق؟ وهل تعني مجادلتهم بالتي هي أحسن عدم قتالهم، عندما يعتدون أو يخونون العهود والمواثيق؟ وبماذا يسوّغ هؤلاء قتال النبي لليهود في المدينة عندما خانوا العهود ونبذوا المواثيق، وإخراجهم فرقة تلو الأخرى ثم قتاله لهم في خيبر؟ وماذا يقول هؤلاء عندما يسمعون أو يقرءون الآيات التي تحضّ على قتال المشركين من أهل الكتاب وغيرهم إذا استلزم الأمر ذلك، ومنها قوله سبحانه وتعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢٩)} (التوبة)، وبهذا البيان بطل زعم هؤلاء المدّعين أن القرآن يثبت كون النصارى على حق، فذلك زعم لا سند له ولا دليل عليه، بل هو وهم من بنات خيال من افتراه.

١ – القرآن وألوهية المسيح.

قالوا: القرآن وافق المسيحية في معتقداتها وبخاصة تأليه المسيح، فقد ذكر بأنه كلمة الله وروحه: { إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه } (النساء:١٧١)، فهذا عين ما يقوله النصارى عنه، فكلمة الله ليست مخلوقة، بل هي كلمة أزلية، وكذلك روحه هي حياته، وإذا كان كذلك فالمسيح أزلي، والأزلية من لوازم الربوبية والألوهية. وذلك بجعل (مِنْ) للتبعيض (روح من الله) وكلمته التي تجسدت وصارت إنساناً. كما يقول فندر: "توجد بعض الآيات الأخرى التي تعطي له (لعيسى) أعظم الألقاب التي لم تعط لغيره فيه (في القرآن) البتة، منها: كلمة الله وهذا اللقب لا يصح أن يسمى به أي مخلوق كان"[١]، هكذا يزعم المنصرين والقسس.

ومضى بعضهم إلى القول: إن القرآن المكي كان يمتدح النصارى ويتقرب إليهم بسبب علاقة النبي ﷺ بخديجة ابنة عم ورقة بن نوفل وبالنجاشي الذي آوى المسلمين في الحبشة، وأن القرآن المدني هو الذي سجل موقفاً رافضاً للمسيحية، خلافاً للقرآن المكي.

وفي الجواب نقول: تتكامل الآيات المكية والمدنية في رفض مظاهر الشرك المسيحية المتمثلة في عبادة المسيح عليه السلام والقول بالثالوث. ولعله يحسن أن نبدأ بما جاء في السور المكية حول هذا الموضوع، ثم ننتقل إلى المدنية منها. ففي الحبشة وقف المسلمون الملتجئون إلى النجاشي بين يديه فسألهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول "[٢]، وهذا القول مصداق ما أنزل الله: { قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم } (مريم: ٣٠ – ٣٧)، فهذه الآيات المكية ناطقة بعبودية المسيح لله، وأنه مخلوق بكلمة (كن)، وأن الله متوعد بعذابه الذين خالفوا الحقيقة وتنكبوها في شخص المسيح.

ومن أراد مزيد بيان فليصخ السمع إلى التقريع الذي ترتجف لقوته الأفئدة وتهتز القلوب، تقريع يشنع فيه القرآن المكي على من زعم أن لله ولداً { وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا } (مريم: ٨٨ – ٩٥).

لقد كان القرآن الكريم صريحاً في التشنيع على أقوال النصارى في المسيح، وإثبات عبوديته لله في الآيات المكية والمدنية على السواء، ففي المكي يقول: { ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا

---

[١] – عبد الرحمن الجزيري: "أدلة اليقين في الرد على ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين " ص (٣٥٩) .الطبعة الاولى ١٩٣٤/١٣٥٣.
[٢] – أخرجه أحمد ح (٤٣٨٦).

خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل} (الزخرف:٥٧– ٥٩)

ثم تمضي الآيات لتقول: { ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم } (الزخرف: ٦٣ – ٦٥).

وفي المدني يقول الله: { لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملآئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا} (النساء:١٧٢)، وفي سورة المائدة: { وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد } (المائدة: ١١٦ – ١١٧)، فأي فرق يجده القارئ بين القرآني المكي والمدني؟!

وكما كان القرآن المكي صريحاً في اعتبار المسيح رسولاً من رسل الله الكرام { يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد } (الصف: ٦)، فإن القرآن المدني كان كذلك :{أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم} (المائدة: ٧٥ – ٧٦).

وهكذا تبين بطلان الدعوى باختلاف حديث القرآن المكي عن المدني في المسيح عليه السلام، فالكل من عند الله علام الغيوب ،إذا كان كذلك، فكيف يتوافق القول بعبودية المسيح مع القول بأنه كلمة الله وروح منه؟!

وبداية ننبه إلى أن هذا الاستدلال المغلوط قديم، قاله نصارى نجران بين يدي النبي ﷺ حين سألوه: " ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ فقال: «بلى». قالوا: فحسبنا. فأنزل الله عز وجل: { فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله } (آل عمران: ٧)[1]، فهذا القول من الفتنة لما فيه من التلبيس اعتماداً على المتشابه من القول، أي ما يحتمل معاني مختلفة.

ولو قرؤوا الآية بتمامها لوجدوا فيها بيان ما تشابه عليهم، فهي تنعى عليهم غلوهم في شخص المسيح، وقولهم بأنه ابن الله، وأنه مشترك مع الله في الثالوث { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملآئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا } (النساء:١٧١–١٧٢)، فالمسيح عبد الله ورسوله، وهو أيضاً كلمته وروح منه.

[1] – (الطبري في تفسيره (٣/ ١٧٧).) مرجع سابق

فماذا يعني قولنا: المسيح كلمة الله؟ هل يعني أنه عليه السلام صفةُ الكلام الأزلية لله؟ بالطبع: لا، فالمسيح كلمة الله المخلوقة، لا الكلمة التي يخلق الله بها خلقه [كن]، وهذا صريح القرآن { إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون } (آل عمران: ٤٥ – ٤٧)، فصرحت الآيات أن المسيح {كَلِمَةٍ مِنْهُ}، وأكمل السياق القرآني فوصفه بأنه مخلوق {الله يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ}.

فكيف تكون كلمة الله مخلوقة مع يقيننا بأن القرآن كلام الله المنزل غير المخلوق؟

ولتقريب معنى "كلمة الله" نضرب مثلاً بعبارة "اضطهاد اليهود"، فهي تدل على معنيين متغايرين صحيحين:

الأول: "اضطهاد النازيين لليهود"، أي أنها تدل على المفعول.

الثاني: "اضطهاد اليهود للفلسطينيين"، أي أنها تدل على الفاعل.

وهكذا اختلفت دلالة العبارة بين هذين المعنيين.

ومثلها قولنا: "كلمة الله" فيمكن أن تدل على كلمة الله التي خلق بها الأشياء { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون } (يس: ٨٢)، كما يمكن أن تدل على ما خُلق بهذه الكلمة { إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون } (آل عمران: ٥٩)، والباحث عن الحق يختار منهما ما وافق السياق، وانسجم مع المعاني المحكمة؛ خلافاً لأصحاب القلوب المريضة الذين يختارون من المعاني ما يوافق أهواءهم؛ ولو خرج بالنصوص عن مساقها: { فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله } (آل عمران: ٧).

وسبب اختصاص المسيح بهذا الاسم الشريف دون غيره من المخلوقين بكلمة الله؛ أنه خلق من غير تدخل أبوي، خلق بأمر الله وكلمته التكوينية (كن)، ولما لم يكن للمسيح سبب بشري قريب ينسب إليه من جهة أبيه كغيره من الناس؛ فقد نُسب إلى السبب البعيد، وهو تخليقه بكلمة الله، التي تخلّق وفق إرادة الله تبارك وتعالى ([1]). ومما يؤكد أن مقصود القرآن بالكلمة؛ كلمة الله التي كانت سبباً في وجوده، لا المعنى الفلسفي الذي يزعمه النصارى (اللوغس) (logos) وهو مصطلح لاهوتي مسيحي، يطلق على المسيح كلمة الله، بمعنى أنه عقل الله الناطق. قوله تعالى: {إِنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} (آل عمران: ٤٥)، فهو كلمة من الله، وليس صفة الله الأزلية.

وأما قوله تبارك وتعالى عن المسيح {وروح منه} فلا يفيد أن المسيح روح الله أو حياته كما نطق بذلك فلاسفة المسيحية، لأن قوله: {منه} ليست للتبعيض، بل لابتداء الغاية، بمعنى صادرة عنه، فهي كقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} (الجاثية: ١٣)، أي خلقت منه.

---

[1] – الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، أبو حامد الغزالي، ص (١٦٦)، والداعي إلى الإسلام، ابن الأنباري، ص (٣٧٦).نقلا عن كتاب منقذ السقار ، " تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٧٦ ، مرجع سابق .

ويجدر هنا التنبيه إلى أنه ليس من المسلمين أحدٌ يعتقد أن الروح صفة من صفات الله القائمة بذاته، بل الأرواح جميعاً مخلوقاته تبارك وتعالى، ونسبتها إليه من باب نسبة المخلوق إلى خالقه وموجده، وهو من باب التشريف، كقولنا: بيوت الله، شعب الله، وأمثالهما.

ولا يختص المسيح بأنه روح الله، فقد قال الله عن الصديقة البتول مريم: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} (مريم: ١٧)، فالمراد بالروح في الآية جبريل عليه السلام، كما سماه الله عز وجل في آية أخرى روح القدس: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ} (النحل: ١٠٢)، وفي آية أخرى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} (الشعراء: ١٩٣)، وسبب تسميته بالروح أنه مخلوق روحي غير مادي .وقد تمثل جبريل (روح الله) للعذراء في صورة رجل {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً} (مريم: ١٧)، فنفخ في جيبها، فسرى المسيح في أحشائها، فالمسيح خلق بنفخة منه {فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا} (الأنبياء: ٩١).

وهذا المعنى الشريف ورد في حق آدم أيضاً الذي خلق من طين، ثم: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي} (الحجر: ٢٩)، فإضافة روحه عليه السلام إلى الله إضافة تشريف وتكريم، ولو أوجبت هذه الإضافة معنىً خارجاً عن الإنسانية؛ لكان آدم أولى بذلك من المسيح {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (آل عمران: ٥٩).[١] يقول الإمام أحمد المعنى في قوله جل ثناؤه {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم} (النساء:١٧١) الكلمة التي ألقاها إلى مريم : حين قال له كن، فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن، ولكن بكن كان . فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقا. وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى. وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة" [٢].

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام: "وأما المسيح فالمراد أن الله خلقه بكلمة لا أنه هو الكلمة لقوله {ألقاها إلى مريم} ولم يقل ألقاه ويدل عليه قوله تعالى {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} " [٣] ف "ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى .. قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل" .[٤]

أما زعم المنصرين والنصارى أن (من) في قوله تعالى {بكلمة منه} للتبعيض فإنه خطأ فاحش ،ولكنها لابتداء الغاية وهو الغالب عليها حتى ادعى جماعة [كما يذكر ابن هشام الأنصاري] . أن سائر معانيها راجعة إليه" [٥] كما في الآية{وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه} (الجاثية : ١٣)، يقول الشنقيطي: "ولكن من هنا لابتداء الغاية يعني أن مبدأ ذلك الروح الذي ولد به عيسى حيا من الله تعالى لأنه هو الذي أحياه به. ويدل لما ذكرنا ما روي عن أبي بن كعب أنه قال: خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم

---

[١] – تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، منقذ بن محمود السقار ص ١٧١ – ١٧٧

[٢] – الرد على الجهمية والزنادقة ص ٤٣ "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله: أحمد بن محمد بن حنبل. قام بتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والأفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

[٣] – فتح الباري ج (١٣) ، ص (٤٩٨) .) مرجع سابق .

[٤] – ابن كثير ج (٢) ص (٤٧٨) . مرجع سابق .

[٥] – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ج (١) ص (٣١٨) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

الميثاق ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى عليه السلام " [1].

فلو افترض أن من للتبعيض لكان المعنى كالتالي: إن الله يبشرك بعيسى بعض من الله ولأصبح المعنى فاسدا فسادا بينا من ناحية نصرانية فضلا عن بطلانه قبل ذلك من ناحية إسلامية ولغوية ، فعيسى يصبح جزءا وبعضا من الإله. والبعض ليس مساويا للكل عقلا، والنصارى يعتقدون أن المسيح (الابن) بزعمهم إله مساو للأب في الجوهر وليس جزءا منه بل يعتقدون أن الكلمة وهي عيسى هي الله فعيسى ليس بعضا من الله سواء كان هو الروح أو هو الكلمة بحسب اعتقادهم. وهذا مبطل لكون (من) للتبعيض، فضلا من استخدام (من) لابتداء الغاية في كتبهم على نحو يمنع من خلال السياق أن تكون للتبعيض وهو ما يماثل ما ههنا. ولذلك أول من يجب عليه إبطال أن (من) للتبعيض كما ترى هم النصارى أنفسهم وبحسب اعتقاداتهم الباطلة ومن الأمثلة التي لا يجوز استخدام من للتبعيض في كتبهم في مثل قوله "امتحنوا الأرواح هل هي من الله نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا وكل من يحب فقد ولد من الله" (١ يوحنا ٤: ١-٧). ولكنهم يحاولون التلبيس على المسلمين لتحقيق أغراضهم ولو كانت حقيقة اعتقاداتهم تناقض دعاواهم وافتراءاتهم على كتاب الله.

وعلى كل حال إذا قيل لعيسى عليه السلام كلمة الله أو كلمة منه أو روح الله أو روح منه فإنه لا يغير من حقيقته البشرية شيئاً لما مر من الآيات المحكمة القاطعة في القرآن والنصوص الكثيرة في الأناجيل الدالة على أن عيسى عليه السلام بشر مخلوق من تراب تطرأ عليه عوارض الحدوث والتغير من حال إلى حال بل من حال الضعف في الطفولة إلى حال القوة في الكهولة ثم الموت بعد ذلك إلى غير ذلك من أمور.

لكن الذين في قلوبهم مرض وزيغ يغمضون أعينهم عما عظم من المتشابه عندهم كتسمية موسى إلهاً بنص التوراة الحالية [2]، ويأخذون من القرآن "بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لإحتمال لفظه لما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى {ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} أي الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الإحتجاج بقوله {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ} وبقوله {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله".

– أما قوله تعالى {رُوحَنَا} في مثل قوله {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا}: يعني جبرائيل عليه السلام" وكذلك روح القدس في مثل قوله تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} (النحل: ١٠٢) .. يذكر ابن كثير أنه جبريل.

---

[1] – أضواء البيان ج١ ص ٣٢٣-٣٢٤ الشنقيطي دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت –لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م

[2] – جاء في التوراة الحالية فيما نسب إلى الله مخاطباً موسى أنه قال له "وانت تكون له [لهارون] إلهاً" الخروج [٤: ١٦] وجاء قوله "أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك" [الخروج (٧: ١)]

ويقول ابن تيمية "من أقسام المضاف إلى الله مملوك لله مخلوق له بائن عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من بين البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق ومن هذا الباب قوله تعالى {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها بشراً سوياً وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقياً، وأنه قال: إنما أنا رسول ربك. وهذا كله يدل على أنها عين قائمة بنفسها"[1]، "فأخبر هذا الروح الذي تمثل لها بشراً سوياً أنه رسول ربها فدل الكلام على أن هذا الروح عين قائمة بنفسها ليست صفة لغيرها وأنه رسول من الله ليس صفة من صفات الله ولهذا قال جماهير العلماء: إنه جبريل عليه السلام فإن الله سماه الروح الأمين وسماه روح القدس وسماه جبريل"[2]. وهذا يوضح أنه ليس لهم أدنى شبهة في هذا إذ المقصود بالروح القدس (وروحنا) : جبريل عليه السلام وليس المسيح بل إن البعض جعل معنى الروح في قوله تعالى {وَرُوحٌ مِنْهُ} أيضاً جبريل عليه السلام يقول ابن جرير "وقال آخرون معنى الروح ههنا: جبريل عليه السلام قالوا: ومعنى الكلام: وكلمته ألقاها إلى مريم وألقاها أيضاً إليها روح من الله قالوا: فالروح معطوف به على ما في قوله "ألقاها" من ذكر الله بمعنى أن إلقاء الكلمة إلى مريم كان من الله ثم من جبريل عليه السلام ".

– الروح أو الروح القدس أو روح الله عند النصارى هو الأقنوم الثالث في ثالوثهم الوثني وهذا مبطل لادعاء النصارى على القرآن فيما يتعلق بقوله وروح منه أو روحنا من أساسه. لأن القرآن قال عن عيسى عليه السلام إنه روح من الله سبحانه وتعالى أو سماه بذلك بينما المسيح عند النصارى هو الابن أو "الأقنوم الثاني" بزعمهم وليس هو روح الله، لأن روح الله، أو الروح، أو الروح القدس عندهم ليس عيسى عليه السلام وإنما هو الأقنوم الثالث ولكل أقنوم بحسب اعتقاداتهم وظائف وأعمال ومهمات لا يقوم بها الأقنوم الآخر فجعلهما أقنوماً واحداً لاشك أنه مبطل للتثليث النصراني جملة وتفصيلاً.

وقد جاء في الأناجيل ما يوضح أن عيسى كان يخرج الشياطين بروح الله مما يعني أن عيسى شيء والمقصود بروح الله شيء آخر إذ ينسب إلى عيسى قوله "ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله"متى (١٢: ٢٨) وفي نص آخر يقول: "وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس ومن قال كلمة على ابن الإنسان [عيسى] يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي" متى (١٢: ١٣ – ٣٢) وفي نص آخر "لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس" متى (١:٢٠) وفي غيره "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيا عليه" متى (٣ : ١٦)، فروح الله أو الروح أو الروح القدس الواردة في النصوص السابقة لاشك أن المقصود بها غير عيسى والمقصود بذلك عند النصارى: الأقنوم الثالث (الروح القدس) والذي هو غير عيسى مما يبطل كل شبههم التي يحاولون من خلالها تأليه عيسى استناداً إلى كتاب الله القرآن العظيم منطلقين من إنزال بعض معتقداتهم الفاسدة على قوله تعالى "وروح منه" أو "روحنا" ومخفين بعضاً.

---

[1] – الجواب الصحيح ج٢ ص (١٥٦-١٥٧) .
[2] – المرجع السابق ج١ ص (٢٤٠) .

والعجيب أن في الأناجيل ما يدل على أن المقصود بالروح أو الروح القدس أو روح الله إنما هو الملك جبريل عليه السلام وليس ما افتروه من أقنوم ثالث أو رابع فإنجيل لوقا يوضح ويشرح النص الآنف الذكر وهو "لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس" فيبين لمن يعقل أن هذا الروح القدس إنما هو جبريل عليه السلام حيث يقول في قصة حمل مريم بعيسى: "وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصره إلى عذراء" لوقا (١ : ٢٦-٢٨) ويقص قصة حمل مريم عليها السلام بعيسى إلى أخرها.

فالمنصرون والنصارى ينظرون بمنظارين فاعتقاداتهم المعتمدة لديهم تبطل أن يكون الروح أو روح الله أو الروح القدس (الأقنوم الثالث) هو المسيح لأنه عندهم الابن وهو الأقنوم الثاني لكنهم إذا جاؤوا للقرآن أخفوا معتقداتهم هذه تلبيساً على المسلمين وزعموا أن القرآن يدل على ألوهية عيسى استنتاجاً بزعمهم من أنه قال عنه أو جعله روح الله أو روحاً منه وهو عين ما ترفضه معتقداتهم لأن جمعهما في أقنوم واحد مبطل حسب اعتقاداتهم لأقانيم النصارى وتثليثهم من أصوله وهو تناقض بيِّن بين ما يّدعونه على القرآن وما يعتقدونه فهم يسيرون وفق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة[1].

[1] - راجع: افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح، د. علي الحربي ص: ٦٥-٧٠ مجمع الملك فهد.

٢- الضمير نحن في القران المقصود به عيسى (التثليث له وجود في القرآن) ؟

فقد كان نصارى نجران "يقولون عن عيسى عليه السلام: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة ويحتجون بأنه ثالث ثلاثة بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا وقضينا فيقولون: لو كان الله واحدا ما قال إلا فعلت، وقضيت وأمرت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم"[١]، كما احتجوا على الرسول ﷺ بقوله تعالى: {إنا نحن} (الحجر: ٩) قالوا: وهذا يدل على أنهم ثلاثة"[٢]، ويقول المنصر فندر إن "مما لا يصح إغفاله إن القرآن يتفق مع الكتاب المقدس في إسناد الفعل، وضمير المتكلم في صيغة الجمع إلى الله. وفي القرآن ما ورد في سورة العلق حيث يقول: {سندع الزبانية} وإنما أوردنا ذلك إشعارا بأننا لا نخطئ إذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لإسناد ضمير الجمع إلى الله في القرآن"،[٣] فالتثليث عند النصارى هل له وجود في الاسلام ؟ فلماذا يستخدم القرآن لفظ نحن في الآيات؟ كثير من غير المؤمنين يقولون إن هذا إشارة إلى عيسى....؟

الجواب : ورد بطلانه والمنادة على صاحبه بالكفر والشرك ، بقوله تعالى: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (المائدة / ٧٣) والتثليث الذي اخترعه النصارى المتأخرون لا يستدل عليه بشيء من العقل والفطرة ولا بشيء من الكتب الإلهية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى . قال ابن القيم : وهذا شأن جميع أهل الضلال مع رؤسائهم ومتبوعيهم ، فجهَّال النصارى إذا ناظرهم الموحِّد في تثليثهم وتناقضه وتكاذبه قالوا : الجواب على القسيس ، والقسيس يقول : الجواب على المطران ، والمطران يحيل الجواب على البترك، والبترك على الأسقف، والأسقف على الباب، والباب على الثلاثمائة والثمانية عشر أصحاب المجْمَع الذي اجتمعوا في عهد " قسطنطين "، ووضعوا للنصارى هذا التثليث والشرك المناقض للعقول والأديان "[٤].

ومن حيث اللفظ فإنه لم يأت في القرآن ولا في السنة ، بل جاء لفظ " التثليث " في كلام العلماء عند كلامهم على التثليث في " الاستجمار بالحجارة ، الوضوء ، الغسل ، غسل الميت ، التسبيح في الركوع والسجود ، الاستئذان للدخول للبيت ، وغير ذلك .

١ -قال تعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم } ، فذكر سبحانه في هذه الآية " التثليث والاتحاد "، ونهاهم عنهما وبيَّن أن المسيح إنما هو {رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}، وقال: { فآمنوا بالله ورسله }، ثم قال: { ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم }[٥]. وقد ظن بعض النصارى لجهلهم أن ضمير الجمع الدال على التعظيم في نحو قوله تعالى : (إنا فتحنا لك) ، (إنا أنزلناه) أنه يدل على عقيدتهم الفاسدة عقيدة التثليث .

---

[١] - "السيرة النبوية". ج٢ ص: (١٦٠) . لابن هشام الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة ، المحقق: طه عبد الرءوف سعد

[٢] - ابن تيمية "الجواب الصحيح" ج٣، ص: (٤٤٨) . المرجع سابق .

[٣] - عبد الرحمن الجزيري: "أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحين في الإسلامص (٢١٩) .

[٤] - مفتاح دار السعادة " (٢ / ١٤٨) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت بلا تاريخ نشر .

[٥] - " الجواب الصحيح " (٢ / ١٥) مرجع سابق .

و قال: وأما قوله { نتلوا } و { نقص } { فإذا قرأناه } : فهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعوان يطيعونه ، فإذا فعل أعوانه فعلاً بأمره قال: نحن فعلنا، كما يقول الملك: نحن فتحنا هذا البلد، وهزمنا هذا الجيش، ونحو ذلك لأنه إنما يفعل بأعوانه، والله تعالى رب الملائكة وهم لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهو مع هذا خالقهم وخالق أفعالهم وقدرتهم، وهو غني عنهم ، وليس هو كالمِلك الذي يفعل أعوانه بقدرة وحركة يستغنون بها عنه، فكان قوله لِما فعله بملائكته: نحن فعلنا: أحق وأولى من قول بعض الملوك .

وهذا اللفظ هو من " المتشابه " الذي ذكر أن النصارى احتجوا به على النبي ﷺ على التثليث لما وجدوا في القرآن { إنا فتحنا لك } ونحو ذلك ، فذمَّهم الله حيث تركوا المحكَم من القرآن أن الإله واحد ، وتمسكوا بالمتشابه الذي يحتمل الواحد الذي معه نظيره ، والذي معه أعوانه الذين هم عبيده وخلقه ، واتبعوا المتشابه يبتغون بذلك الفتنة ، وهي فتنة القلوب بتوهم آلهة متعددة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . "[1].

من أساليب اللغة العربية أن الشخص يعبر عن نفسه بضمير " نحن " للتعظيم ويذكر نفسه بضمير المتكلم الدال على المفرد كقوله"أنا" وبضمير الغيبة نحو " هو " وهذه الأساليب الثلاثة جاءت في القرآن والله يخاطب العرب بلسانهم.

ويقول: " فالله سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهراً أو مضمراً، وتارة بصيغة الجمع كقوله: " إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً " وأمثال ذلك. ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط، لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك " ولفظ (إنا) و (نحن) وغيرهما من صيغ الجمع قد يتكلم بها الشخص عن جماعته وقد يتكلّم بها الواحد العظيم ، كما يفعل بعض الملوك إذا أصدر مرسوما أو قرارا يقول نحن وقررنا ونحو ذلك وليس هو إلا شخص واحد وإنّما عبّر بها للتعظيم ، والأحقّ بالتعظيم من كلّ أحد هو الله عزّ وجلّ فإذا قال الله في كتابه إنا ونحن فإنّها للتعظيم وليست للتعدّد ، ولو أنّ آية من هذا القبيل أشكلت على شخص واشتبهت عليه فيجب أن يردّ تفسيرها إلى الآيات المحكمة ، فإذا تمسك النصراني مثلا بقوله : {إنا نحن نزلنا الذكر} ونحوه على تعدد الآلهة ، رددنا عليه بالمحكم كقوله تعالى: {إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم}، وقوله: {قل هو الله أحد}، ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحداً، وعند ذلك يزول اللبس عمن أراد الحقّ، وكلّ صيغ الجمع التي ذكر الله بها نفسه مبنية على ما يستحقه من العظمة ولكثرة أسمائه وصفاته وكثرة جنوده وملائكته.

٢ – من العجيب ان عبد المسيح الكندي نفسه في رسائله التبشيرية التي ترد على القرآن استخدم ضمير الجمع للدلالة على المفرد على نفسه هو في عرض شبهته نفسها حيث قال: "وشبيه بما ذكرنا" . وهذا في رسالته كثير فهل هو ثالث ثلاثة؟ وهكذا القسيس فندر حيث قال: "وإنما أوردنا ذلك إشعارا باننا لا نخطئ

[1] – مجموع الفتاوى " (٥ / ٢٣٣ ، ٢٣٤) مرجع سابق .

[1]" إن هذا دليل على أن هذا الأسلوب شائع مستخدم بكثرة ولاسيما في الكتب وعند الكتاب ويجري في سليقة العرب وسنن العربية قديما وحديثا وليس فيه أدنى غرابة أو شبهة لكن النصارى قوم ملبسون.

٣ – من الشواهد الإنجيلية لاستخدام ضمائر المتكلمين التي تدل على الفرد: قول بولس: "كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو فماذا نقول ألعل عند الله ظلما حاشا" رومية (٩: ١٣-١٤). ويقول أيضا: "إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أفنبطل الناموس بالإيمان حاشا بل نثبت الناموس" رومية (٣: ٢٨-٣١). ويقول أيضا: "فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد" المصدر نفسه (٤: ١) ويقول: "فماذا نقول إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر الذي بالإيمان" المصدر نفسه (٩: ٣٠). بل قال بولس: "لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان" (ا) تسالونيكي (٢: ١٨). فقوله: (فماذا نقول) و (نحسب) و (أفنبطل) و (نثبت) و (أردنا) و (نأتي) و (عاقنا) تشتمل على ضمائر جمع مستترة وجوبا أو ضمائر ظاهرة أسندت إلى أفعال وهي تدل على مفرد هو بولس وحده وليس ثلاثة هو ثالثهم.

وهكذا نرى أن من الأساليب المعهودة في اللغة العربية التي نزل بها القرآن وترجمت إليها التوراة والإنجيل استخدام ضمائر الجمع للدلالة على المثنى أو على المفرد فقط وقد استخدمت لتعود إلى غير الله مما يبين فساد دعوى النصارى والمنصرين في أن ضمائر الجمع المسندة لله سبحانه وتعالى في القرآن تدل على ألوهية عيسى عليه السلام بزعم دلالتها على التثليث، وإنما هو أسلوب من أساليب التعظيم أولى به الخالق سبحانه وتعالى من كل مخلوق، واستخدامه جرى على لسان العرب كثيرا حتى النصارى كما مر وهو إلى اليوم معهود غير مستغرب سواء في مخاطبات الملوك أو غيرهم.

فهذا أسلوب سائغ لغة كما يقول ابن قتيبة[2] وابن فارس رحمه الله: "ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجمع فيقال للرجل العظيم: انظروا في أمري وكان بعض أصحابنا يقول: إنما يقال هذا لأن الرجل العظيم يقول: نحن فعلنا: فعلى هذه الابتداء خوطبوا في الجواب"[3]. فهل هناك من هو أعظم من مالك الملك وأولى منه بمثل هذا الأسلوب؟

يقول ابن تيمية إن ضمير الجمع يقع "على من كان له شركاء وأمثال وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه فيمتنع أن يكون له شريك أو مثيل والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى. فإذا كان الواحد من الملوك يقول: إنا ونحن ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء ومليكه هو أحق بأن يقول: إنا ونحن مع أنه ليس له شريك، ولا مثيل بل له جنود السموات والأرض"[4].

---

[1] – رسالة عبد المسيح الكندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية"، طبعت في مصر سنة ١٨٩٥م، ص ٥ وص ٦

[2] – مسلم ابن قتيبة "تأويل مشكل القرآن ص٢٩٣.

[3] – أحمد بن فارس: "الصاحبي" ص: ١٦٠ الناشر: محمد علي بيضون ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

[4] – ابن تيمية "الجواب الصحيح" ج٣ ص (٤٤٨) مرجع سابق .

٤ – كما أن اللغة العربية مليئة بالشواهد على خروج ضمائر الجمع عن ظاهرها للدلالة على المفرد ومن ذلك ما في الشعر الجاهلي: يقول امرؤ القيس حين رأى قبر امرأة في سفح جبل عسيب الذي مات عنده:

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ههنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصلينا فالقرابة بيننا ... وإن تصرمينا فالغريب غريب

أجارتنا ما فات ليس يؤوب ... وما هو أت في الزمان قريب"[١]

ويقول عمرو بن كلثوم متغزلا:

قفي قبل التفرق يا ظعينا ... نخبرك اليقين وتخبرينا

قفي نسألك هل أحدثت صرما ... لوشك البين أم خنت الأمينا[٢]

ويقول زهير بن أبي سلمى مخاطبا هرم بن سنان والحارث بن عوف:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ... ومن اكثر التسآل يوما سيحرم .[٣]

ويقول الحارث بن حلزة متغزلا: آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء[٤]

ويقول الجميح: منقذ بن الطماح في زوجته:

أمست أمامة صمتا ما تكلمنا ... مجنونة أم أحست أهل خروبي

فإن تقري بنا عينا وتختفضي ... فينا وتنتظري كري وتغريبي[٥]

فضمائر المتكلمين في: أجارتنا، وتصلينا، وتصرمينا، ونخبرك، وتخبرينا، ونسألك وسألنا وعدنا وآذنتنا، كلها ضمائر جمع للمتكلمين قصد بها الواحد كما هو واضح من السياق.

٥– من الشواهد اللغوية في القرآن التي استخدمت فيها ضمائر الجمع للدلالة على غير الجمع مع أن الضمائر فيها تعود إلى غير الله سبحانه وتعالى ما يأتي: قوله تعالى {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين} (الأنبياء: ٧٨) . وقوله تعالى {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} (فصلت: ١١) فالضمير في قوله (لحكمهم) ضمير جمع يدل على المثنى وليس على الثلاثة فأكثر ولا على الواحد وكذلك ياء الجماعة في (طائعين) ومثل ذلك قوله (أتينا) هذه بعض أمثلة استخدام ضمائر الجمع للدلالة على المثنى، أما استخدام ضمائر الجمع في القرآن للدلالة على المفرد فشواهدها:

---

[١] – ديوان امرئ القيس" دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص (٧٩)

[٢] – الحسين بن أحمد الزوزني: "شرح المعلقات العشر" طبعة (١٩٨٣م) دار مكتبة الحياة، بيروت ص (٢٠٢)

[٣] – المرجع السابق ص (١٥٥)

[٤] – المرجع السابق ص (٢٦٣) .

[٥] – المفضل بن محمد الضبي: "المفضليات" ص (٣٤–٣٥) الناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السادسة تحقيق شاكر وهارون

قوله تعالى عن الخضر {وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما} (الكهف: ٨٠-٨١) .. وقال تعالى {قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا} (الكهف: ٨٦-٨٨) . وقال تعالى {وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين} (النمل: ١٦) .

فالضمائر في: (فخشينا) و (فأردنا) و (نعذبه) و (سنقول) و (أمرنا) و (علمنا) و (أوتينا) ضمائر جمع تدل على واحد وليس على اثنين أو ثلاثة أو أكثر.[1]

[1] – افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح، د.علي بن عتيق الحربي ٤٣ – ٥٥ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة.

٣- هل نسب القرآن إلى المسيح صفة الخالقية؟

ثالثة الأثافي عندهم في دعم الخالقية للمسيح قالوا: القرآن يعتبر المسيح خالقاً محيياً للموتى { أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله} (آل عمران: ٤٩)، ولم يشهد بمثل ذلك لغيره من المخلوقات، فالخلق صنعة الله التي لا يشاركه فيها إلا المسيح، وفي هذا دليل ألوهيته واستحقاقه للعبادة، ويوافق ما ذكره العهد الجديد عن المسيح "الله خالق الجميع بيسوع المسيح" (أفسس ٣/ ٩)، وفي إنجيل يوحنا "كان في العالم، وكوّن العالم به، ولم يعرفه العالم" (يوحنا ١/ ١٠). وهذا ما زعمه المنصر المشهور فندر أن ما ورد في القرآن من أن عيسى خلق طيرا من الطين إنما هو من صفات الله وحده ذاهبا إلى أن القرآن يؤيد بذلك ألوهية المسيح ،[١] وكذلك المنصر المعاصر يوسف يقول: "إن القرآن يقرر بصورة عامة أن المسيح آية في حداثته، آيه في رسالته، آيه في قداسته وكماله، آية في شخصيته، آية في انفراده، وأن هذه الشخصية في القرآن تسمو على جميع الأنبياء، وأن الآيات بمجملها لا يمكن إلا أن تترك في نفس القارئ فكرة عظيمة عن سمو المسيح حتى لتخرج به عن طبقة البشر وتترك الباب مفتوحا لاعتقاد النصارى بألوهيته[٢].

هذه الشبه الثلاثة أبرز الإدعاءات التي زعم المنصرون قديما وحديثا إستنادا إليها أن القرآن يؤيد اعتقادهم بألوهية المسيح وقد بدأت منذ عصر الرسول على يد نصارى وفد نصارى نجران كما مرّ سابقا وفي هذه قالوا : في قولهم عن عيسى بأنه هو الله بأنه كان يحي الموتى ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ثم تبعهم فيما بعد عبد المسيح الكندي، وغيره.

والجواب: هذه المعجزات لم يرد فيها شيء البتة في الأناجيل الحالية ولا يعلم النصارى عنها شيئا من خلال الأناجيل إلا ما اطلعوا عليه من خلال القرآن الكريم، وذلك مثل: كلام عيسى في المهد وكهلا ، خلقه من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله، ومثل: إنبائه لهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . وإن كان قد ورد أنه أنبأهم ببعض الأمور المستقبلية كتهدم الهيكل مثلا . وهذا يدل على جهل النصارى بكثير من أحوال عيسى سواء معجزاته أو حياته قبل الثلاثين من عمره أو غير ذلك حيث "لا نجد ذكرا لعيسى عنهم إلا حينما كان طفلا لا يتجاوز عمره ثمانية أيام عند ختنه ثم لا تدلك الأناجيل على شيء من حياته عليه السلام حتى يبلغ اثنتي عشرة سنة فتذكر أنه (لما كانت له اثنتا عشرة سنة صعد إلى أورشليم كعادة العيد) ثم لا تتكلم الأناجيل عن شيء من أحوال عيسى عليه السلام حتى يبلغ الثلاثين من عمره فتذكر أنه بعث آنذاك" [٣].

كما ذكرت الأناجيل أنه ذهب إلى مصر وهو صبي هو وأمه مع يوسف النجار إضافة إلى ما زعمت الأناجيل أنه نسب للمسيح ذلك النسب المضطرب اضطرابا كبيرا كما هو معروف متى (١: ١-١٧) ولوقا (٣: ٢٣-٣٨) . هذا هو أغلب ما يعرفه النصارى من تاريخ عيسى عليه السلام إلى مبعثه انطلاقا من الأناجيل الحالية ولذا فإن القرآن الكريم {يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون} (النمل:٧٦) .

---

[١] - الجزيري، أدلة اليقين ص: (٣٦٣) مرجع سابق .

[٢] - محمد عزة دروزة: "القرآن والمبشرون" الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ، ص: (٣٩٩))

[٣] - علي الحربي، نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس دراسة مقارنة من أسفار العهد الجديد" بحث ماجستير (١٤٠٧هـ). ص ٣٣.)

١- حين تحدثت الآيات القرآنية عن معجزات عيسى عليه السلام؛ ما فتئت تذكر أن هذه المعجزات عطية الله تعالى لنبيه المسيح عليه السلام {قد جئتكم بآيةٍ من ربكم}، وقد صنعها وغيرها من المعجزات بإذن الله {أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله}، فمعجزاته عليه السلام ومعجزات غيره من الأنبياء لا تنفك عن مشيئة الله وإقدارهم عليها.

فهل نسب القرآن الخالقية المطلقة للمسيح حين قال {أخلق لكم}؟

والجواب بدون ريب ولا تلكؤ: لا. ولفهم الآيات يحسن الوقوف على معنى لفظة (الخلق) في لغة العرب، إذ تطلق هذه اللفظة على معان؛ ويهمنا منها معنيان:

الأول: الإيجاد من العدم، والإبداع من غير مثال سابق، فالله {بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولدٌ ولم تكن له صاحبةٌ وخلق كل شيءٍ وهو بكل شيءٍ عليمٌ} (الأنعام: ١٠١)، فهذا خلق يختص به الله وحده.

الثاني: التصوير لما أوجده الله وخلقه، ومنه قول الله: {فتبارك الله أحسن الخالقين} [المؤمنون: ١٤]، فقد وردت في سياق الحديث عن تصوير الإنسان ونقله من طور إلى طور {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٤].

قال القرطبي: «أتقن الصانعين. يقال لمن صنع شيئاً خلقه؛ ومنه قول الشاعر:

ولأنت تقري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري

ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع؛ وإنما هي منفية بمعنى الاختراع وإيجاد من العدم»[١]. وبمثل هذا المعنى تحدث القرآن عن صنع عيسى من الطين كهيئة الطير { أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله} (آل عمران: ٤٩).

قال أبو حيان الأندلسي: «والخلق يكون بمعنى الإنشاء وإبراز العين من العدم الصرف إلى الوجود. وهذا لا يكون إلاَّ لله تعالى. ويكون بمعنى: التقدير والتصوير، ولذلك يسمون صانع الأديم ونحوه: الخالق، لأنه يقدّر، وأصله في الأجرام، وقد نقلوه إلى المعاني، قال تعالى: {وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً} (العنكبوت: ١٧)، ومما جاء الخلق فيه بمعنى التقدير قوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} أي المقدّرين»[٢].

ومن هذا المعنى أيضاً ما يقال يوم القيامة للمصورين، قال ﷺ :

«إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم»[٣]، أي ما صورتموه من الصور، فهذا معنى الكلمة في لغة العرب لمن أراد تدبراً وحقاً.

وفي الآية {أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} أي جئتكم بعلامة من ربكم ولو كان هو ربهم لكانت العلامة منه وليس من غيره .

---

[١]- الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١١٠). مرجع سابق .
[٢]- البحر المحيط (٣/ ١٦٣) مرجع سابق .
[٣]- أخرجه البخاري ح (٥١٨١)، ومسلم ح (٢١٠٧).

قالوا إنه قال: {بآية من ربكم} ولم يقل ربي فيستدل بذلك على كونه إله أو ابن إله !! رد تعالى :عليهم بالآية التالية مباشرة من نفس السورة قول عيسى: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} (آل عمران:٥١) ، يستدلون بأن الذي يخلق إنما هو إله واستدلالهم بذلك يدل على جهلهم فقد يُستدل بجزء من الآية بما يتنافى مع آخرها فهو يقول بإذن الله أي أنني أفعل شيئا ليس بإذني ولا بقدرتي ولكنه بإذن الله الذي أرسلني وعليه فيكون مفهوم الآية أنني أحمل لكم ما يدل على أن الذي أرسلني هو الله.

لم ينفرد عيسى عليه السلام بهذه المعجزات ولو انفرد لما كان دليلا على ألوهيته لأنه أوتيها بإذن الله تعالى كما مر آنفا. فكيف وقد شاركه غيره من الرسل والأنبياء في أنواع المعجزات التي أنعم الله بها عليه، إضافة إلى من ليس بنبي ولا رسول، وإن من أول ما شورك به: إحياء الموتى كما شاركه بها العديد من أنبياء الكتاب المقدس فقد أحيوا الموتى بإذن الله.

ذكر القرآن الكريم معجزات عدة لإحياء الموتى إنعاما من الله على بعض رسله ، فقد أخذ إبراهيم عليه السلام طيوراً أربعة بأمر الله له بعد دعائه الله أن يريه كيف يحيي الموتى ومزقهن وفرق أجزاءهن على كل جبل منهن جزءا ثم دعوته لهن أن يأتينه، فأتينه سعيا (البقرة: ٢٦٠) وقد ألقى موسى لعصاه الجماد التي لا روح فيها، ثم تحولها إلى ثعبان عظيم عند فرعون والملأ من قومه فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين} (الأعراف: ١٠٤-١٠٧). وقوله تعالى {وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون} (الأعراف: ١١٧). فهذه معجزة عظيمة أنعم الله بها على موسى ﷺ إذ أحيا الله هذه القطعة الصغيرة من الخشب الجماد التي لا حياة فيها وجعلها حية عظيمة تسعى وتبتلع بفيها ما وضعه السحرة من عصي وحبال. إلخ. كما أحيا الميت الذي قتل في بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام بإذن الله بعد أمر الله لهم أن يضربوا الميت ببعض البقرة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن يقول تعالى {وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون} (البقرة: ٧٢-٧٣). فهؤلاء الذين ضربوا الميت ببعض لحم البقرة فقام حيا بإذن الله ليسوا من الرسل على ما يظهر وعلى الرغم من هذا حدثت على أيديهم هذه المعجزة بإذن الله فهل كان هذا مدعاة لتأليه أحد منهم؟ أو تأليه موسى عليه السلام؟

إن النصارى زعموا أن علة تأليه عيسى هي إحياؤه للموتى ولو فرض أنها علة لتأليه أحد ما من البشر، لكان العقل موجبا أن يؤله كل من اشترك في هذه العلة فقام العديد بمثل هذه المعجزات أو الأمور الخارقة للعادة كما سنذكر لاحقا، وقالوا : بما أن عيسى خلق فهو إله لأن الخالق حتما ولابد أن يكون إلها كما قال : { أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ } (النحل:١٧).

لكن عيسى لم يخلق خلقا سويا باقيا متناسلا من تلقاء نفسه بل كان خلقا مؤقتا ليبرهن لهم على صدق نبوته مع ذكر من أذن له بذلك وهو الله والآية الكريمة ليتأكد لنا نسبة الفعل إلى الله وليس إلى عيسى عليه السلام ، وإذا كان عيسى قد صنع من الطين كهيئة الطير فصار طيرا بإذن الله فمن قبله موسى رمى عصاه فصارت حية تسعى أيضا بإذن الله ولم يقل أحد أنه إله والحية مخلوق له روح كالطائر الذي ذكر في شان عيسى بل أن الحية كانت اكبر من الطائر وابتلعت حبال وعصي السحرة التي أوهموا الناس أنها تتحرك .

إن الله يؤيد أنبياءه بمعجزات ولكي تكون معجزة لابد أن تكون أمرا خارقا للعادة وأن تكون من جنس ما نبغ فيه القوم المرسل إليهم هذا النبي ومن ذلك موسى عليه السلام أرسل على قوم انتشر فيهم السحر فكانت معجزته أن أيده الله بشيء عجز عنه السحرة بل لم يقفوا عند حد العجز ولكنه تيقنوا أن ما جاء به موسى عليه السلام من العصا التي انقلبت إلى حية والتهمت ما قدموه من سحر وكان متمثلا في حبال وعصي أعلنوا إيمانهم بالله رب العالمين ، وثمة معجزة أخرى لموسى بن عمران عليه السلام فقد حدث أن رجلا قتل من بني إسرائيل ولم يعرفوا من قتله فأحياه الله على يد موسى وأخبر عن قاتله وفي ذلك أشار القرآن الكريم (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ{٧٢} فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{٧٣}(البقرة)

ومع أنها إحياءٌ للموتى مثل إحياء الموتى عند عيسى عليه السلام فقد وقفت عند كونها معجزة أيد الله بها نبوته فقط ، و لم يقل أحد أن موسى إله أو ابن الله[1].

وفي زمن عيسى عليه السلام كان الناس قد اشتغلوا بالطب ولكنهم عجزوا عن أمور منها إبراء الأكمه وهو الذي ولد أعمى والأبرص وهو المرض الجلدي المعروف وكذلك أن يتكلم ميت بعد موته فأيده الله بما عجز عنه قومه وهم يعلمون أنه لم يدرس الطب ولا غيره ليعلموا أن هذا الإعجاز من عند الله فيكون أدعى لإيمانهم .

وحجة النصارى تكمن في كون معجزة عيسى لا يقدر عليها بشر فإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى مما يعجز عنه بشر وطالما أن عيسى فعله فهو إله .إن كانت عندهم بقية عقل كل المعجزات التي أتى بها الأنبياء يعجز عنها البشر ولا يمكن لبشر أن يأتي بمثلها . فهل كل الأنبياء آلهة ؟ فمعجزة صالح عليه السلام الناقة { هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }(الأعراف:٧٣) ،أخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة كما سألوا، {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ }(هود:٦٤)

ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدلُّ على صدقي فيما أدعوكم إليه، فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها، ولا تمسُّوها بعَقْر، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عَقْرها.

{فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }(الأعراف:٧٧) ، فنحروا الناقة استخفافا منهم بوعيد صالح، واستكبروا عن امتثال أمر ربهم، وقالوا على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا صالح ائتنا بما تتوعَّدنا به من العذاب، إن كنت مِن رسل الله.

فهل يقدر بشر أن يأتي بناقة من الجبل أو من الصخر كناقة صالح ؟

[1] – افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام ، الدكتور علي بن عتيق الحربي ص ٧١– ٨٥ وتنزيه القرآن عن مطاعن الرهبان للسقار ، من زيادات المؤلف عن النص المطبوع في النسخة الإلكترونية وهي موجودة في المكتبة الشاملة

٤- لقد جاء في التوراة والأناجيل معجزات كمعجزات المسيح عليه السلام ولاسيما إحياء الموتى. وقبل ذكرها لابد من الإشارة إلى أن معجزات المسيح عليه السلام التي وردت في الأناجيل إنما هي بنص الأناجيل بإذن الله تعالى هذه بعض النصوص :

١) - قوله "فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا أعلم أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم: لعازر هلم خارجا فخرج الميت" يوحنا (١١: ٤١-٤٣) رفع عيسى بصره إلى السماء ودعا الله ومجده، وأوضح النص أن هذه المعجزة إنما هي من أجل أن يصدقوا به رسولا من عند الله، وقد استجاب الله دعاءه فخرج الميت حيا بإذن الله.

٢) - قوله "فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الآب" **يوحنا (٥: ١٩)**. وينسب إلى عيسى أنه قال: "والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك" **يوحنا (١٧: ٧)** فكل ما أوتيه المسيح عليه السلام من إحياء للموتى، ومن إنباء بالغيب إلى غير ذلك من معجزات إنما هو بنص أقوال المسيح عليه السلام من عند الله وبإذن الله سبحانه وتعالى وهذا مثبت أنه ليس له من الأمر شيء ومبطل لدعوى ألوهية المسيح من خلال الأناجيل

٣) - جاء في نص آخر: "فقالت مرثا ليسوع: يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي لكن الآن أعلم أن كل ما تطلبه من الله يعطيك إياه" **يوحنا (١١: ٢١-٢٢)** فهذه المرأة تعلم أن الأمر ليس بيده وإنما إذا دعا الله أعطاه الله سؤله فإحياء الموتى الذي حدث على يد المسيح إنما هو بإذن الله سبحانه وتعالى.

٤) - وفي نص آخر: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل [!] قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون" **أعمال الرسل (٢: ٢٢) وانظر: أعمال الرسل (١٠: ٣٨)** . فالأمر بدهي عند المؤمنين بعيسى آنذاك من بني إسرائيل: أن المعجزات التي جاء بها إنما أوجدها وصنعها الله وليس عيسى عليه السلام وإنما حصلت على يد عيسى فهي من (قبل الله) أو من عند الله وبإذن الله وأوجدها الله سبحانه وتعالى وما عيسى إلا (رجل) أو عبد من عبيد الله ورسول من رسله ثبت صدقه بما أنزله الله على يديه من المعجزات (القوات والعجائب) .

ولذا على الرغم من إحياء عيسى للموتى بإذن الله، لم يجعل ذلك منه عند الجموع التي قام بالمعجزات في وسطها إلا أنه نبي فقط فلم يتجاوزوا به طور البشرية. جاء في الأناجيل "فقال (أي عيسى) أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه فأخذ الجمع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه" **لوقا (٧: ١٤-١٦)**

وهذه بعض المعجزات التي تشبه معجزات عيسى عليه السلام من التوراة والأناجيل:

١- جاء في سفر الملوك الأول:"قال (إيليا) يا رب إليه لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. وقال إيليا (لأم الولد) انظري ابنك حي فقالت المرأة لإيليا

هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق" (**١٧: ٢١-٢٤**) فأقصى ما قالته المرأة لإيليا بعد أن أحيا الله على يديه ابنها "إنك رجل الله" أي نبي الله. ولم تغل فيه فتقول له: إنك إله.

كما جاء في التوراة قوله "ودخل أليشع البيت وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريره فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه. فدعاها (أي أم الصبي) ولما دخلت إليه قال احملي ابنك" الملوك الثاني (٤: ٣٢-٣٦) فما اتخذ اليسع إلها لذلك الإحياء الذي هو بإذن الله وهو كمعجزات عيسى عليه السلام. كما جاء فيها قوله "ومات أليشع فدفنوه وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر أليشع فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجليه" الملوك الثاني(١٣: ٢٠-٢١) فاليشع فيما تروي التوراة حتى وهو ميت تحيي عظامه بإذن الله ميتا وجاء عن حزقيال أنه أحيا جيشا عظيما جدا جدا بإذن الله كانت عظام أفراده رميما حزقيال (٣٧: ١-١٠)

فهؤلاء أحيوا بإذن الله أمواتا وبعضهم أحيا جيشا عظيما من الأموات فلم لم يكونوا آلهة مثل عيسى – تدرجا مع زعم النصارى؟ علما أن العلة التي ادعاها النصارى والمنصرون لتأليه عيسى هي: إحياء الموتى، وهؤلاء اشتركوا مع عيسى عليه السلام في العلة نفسها وقاموا بالأفعال أو المعجزات نفسها. مما يوجب على النصارى عقلا الاشتراك مع عيسى في النتيجة نفسها وهي الألوهية فعدم تأليه النصارى لمن شارك عيسى في الفعل والعلة (المقدمة الصغرى والكبرى) مكابرة ومعاندة يرفضها العقل فهي من باب التفريق بين المتماثلات والمتطابقات لأن تطابق المقدمات مفض لتطابق النتائج. ومنطقيا كل من شارك عيسى عليه السلام بإحياء الموتى فهو إله كعيسى بجامع إحياء الموتى وتأليه هؤلاء البشر نتيجة كاذبة يكذبها النصارى قبل غيرهم ولما كانت النتائج كاذبة والمقدمات (الصغرى) مسلمة – ولاسيما المقبول منها عند المسلمين والنصارى – ثبت عقلا أن العلة – أو المقدمة الكبرى في قياس الشمول – هي سبب بطلان النتائج وكذبها. وهذا ما تدل عليه آيات القرآن ونصوص التوراة والأناجيل من أن حصول معجزة إحياء الموتى على يد أحد من البشر وإن كان نبيا أو صالحا ليس دليلا على ألوهيته. مما يسقط دعوى النصارى في تأليه عيسى لأنه أحيا موتى إذ تبين أن هذا ليس علة للألوهية حيث قام بهذا الإحياء من ليس بإله من الرسل والأنبياء بإذن الله بل ومن ليس من الأنبياء أو الرسل.

١- وبقي في جواب هذه الأبطولة أن ننبه القائلين بها إلى أن المسيح لم يدع في الإنجيل المنسوب إلى تلاميذه وتلاميذهم أنه خالق، وأن غاية ما ذكره بولس أن الله هو الخالق، ولكنه خلق الخلائق به "الله خالق الجميع بيسوع المسيح" (أفسس ٣/ ٩)، فهو واسطة الخلق، وليس الخالق، يقول القس جيمس أنِس: " الآب خلق العالم بواسطة الابن" .[1]

[1] – علم اللاهوت النظامي، القس الدكتور جيمس أنس، ص (١٧٨) مراجعة القس منيس عبد النور. الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة. القاهرة ، وللمزيد من البيان انظر كتاب "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟ ". وانظر تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين له . وكتاب افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام ، الدكتور علي بن عتيق الحربي ص ٧١- ٨٥

٤ – ادعاء ثبوت صور للتثليث في العقيدة الإسلامية

إن الإسلام إن يكن رد عقيدة التثليث النصرانية ظاهرا، فإنه في حقيقة الأمر قد ألمح إلى صور ومظاهر لها تتجلى في البسملة التي يرددها المسلمون، وفي الصفات الإلهية العديدة التي أسندها الإسلام إلى الله لا سيما اسم "الودود" الذي يستدعى ضربا من التآلف في الذات الإلهية بين أقانيمها المكونة لحقيقتها، وربما أضافوا إلى ذلك ما يشيع في القرآن الكريم من إسناد الأفعال إلى الله بضمير الجماعة كقوله سبحانه وتعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩)} (الحجر).

ويرون أن عقيدة التثليث التي جاء بها عيسى بزعمهم هي التصور الوحيد الذي يسد الفجوة بين الرب وعباده بروابط الحب التي أقامها تجسده ثم صلبه فداء لهم وتكفيرا عن خطاياهم، والتثليث فيها لا يعني الكثرة والتعدد، فالمراد بالآب الذات، وبالابن النطق الذي هو قائم بتلك الذات، وبروح القدس الحياة، والثلاثة واحد، ويدعون أن الإسلام يؤمن بهذا الثالثوث، ويستدلون على ذلك بقوله سبحانه وتعالى: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} (النساء: ١٧١)،

الجواب:

– العقيدة النصرانية في عيسى عقيدة متناقضة مضطربة، لا يستسيغها عقل أو يطمئن إليها ضمير.

– المحاولات الكثيرة التي أقدم عليها بعض كتاب النصارى لإثبات أن الإسلام أقر بعض مظاهر التثليث هي من التكلف والعنت على نحو يسقط قيمتها ويجعلها غير جديرة بالاعتبار.

– تعلق بعض النصارى بتعدد الصفات الإلهية في الإسلام للقول بضرب من التعديد في الإسلام يخالف ما يعرفه المسلمون من دينهم وما يفهمونه من هذه الصفات.

– لم يدع عيسى عليه السلام كغيره من الرسل إلا توحيد الله عز وجل، وكثير من العقائد النصرانية إنما مرجعه إلى بولس الذي لا تخلو سيرته من شبهات وشكوك.

– عقيدة التثليث في النصرانية قد فشلت في طمأنة الضمير المسيحي وبخاصة في العصر الحديث؛ وهذا يفسر إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام.

– القرآن الكريم صريح في نفي عقيدة التثليث النصرانية وذلك في غير آية من آياته.

– ما يزعمونه من شواهد إسلامية تقر عقيدة التثليث أو تدانيها هو زعم متهافت لا يعرفه المسلمون، ولا يحسونه في كلامهم.

– عقيدة التوحيد هي دعوة الأنبياء جميعهم، ولقد وجد لها شواهد في العهدين القديم والجديد، على ما حل بهما من تبديل وتغيير.

أولا. التناقض في عقيدة التثليث: يستهلون شبهتهم بسرد بعض آيات القرآن الكريم التي تدعو إلى توحيد الله، ونبذ التثليث الذي مهما حاولوا أن يقنعوا الناس بأنه توحيد فلا بد أن يردهم إلى أنه تعدد وتثليث، ويعقبون على الآيات المذكورة في مضمون الشبهة وهي قوله سبحانه وتعالى: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم

أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦)} (المائدة)، وقوله سبحانه وتعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٧١)} (النساء)، وقوله سبحانه وتعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا} (المائدة: ١٧)، ويقولون: إن هذه الآيات توضح أن محمدا سمع من بعض أصحاب البدع من النصارى أنه يوجد ثلاثة آلهة، هم الله ومريم وعيسى، فرد على هذه البدعة، وكرر المرة بعد الأخرى أن الله واحد.

وإذا كانوا ينقلون عن التوراة والإنجيل هذا النص: "الرب إلهنا رب واحد". (التثنية ٦: ٤، ومرقس ١٢: ٢٩)، فلماذا يجعلون هذا الواحد من الثلاثة يتميز عن الآخر، فهما ذاتان، لا يفهم العاقل من هذا التعبير إلا ذلك، ومع ذلك فهما عند النصارى إله واحد!!

يقول د. عبد الحليم محمود: "لقد سمعت مرة وكدت لا أصدق أذني بطريرك أقباط مصر عند تتويجه يقول عن السيد المسيح عليه السلام: يجلس عن يمين أبيه على العرش، وهما واحد"! وإذا كانت تصريحات كتابهم المقدس يأتي فيها أحيانا القول بالإله الواحد، وتعتمدون بعد ذلك على التثليث فهذا يعني تناقضهم في تصور الإله الواحد، وخروجهم على ما صرح به كتابهم، وقد ثبت للعلماء أن عقيدة التثليث عند النصارى عقيدة مقتبسة من الديانات الوثنية القديمة، مثل ديانة البراهمة والبوذية، ووثنية قدماء المصريين، والفرس واليونان والرومان"[1].

ومهما حاول النصارى الجمع بين التوحيد والتثليث، فهي محاولة غير موفقة، كالذي يجمع بين النقيضين، ويعبر هؤلاء عن تناقضهم وتناقض أبناء ملتهم بقولهم: المسيحيون لا يعبدون ثلاثة آلهة، بل إلها واحدا في وحدانية جامعة هو: الآب، والابن، والروح القدس، فالوحدانية في العقيدة النصرانية ليست هي عبادة إله واحد، بل مجموعة مركبة، وهي إله واحد سواء فهمت ذلك أم لم تفهمه!!

إنكارهم ألوهية مريم قولا، وعبادتهم لها فعلا:

يقول هؤلاء المدعون: "ولم يقل مسيحي حقيقي إن العذراء مريم إله، مع كل التقدير والمحبة لها". وليتهم في إنكارهم ألوهية مريم يعبرون عن كل النصارى، فلسنا هواة خلاف، وقد دعانا المولى إلى أن نلتقي مع أهل الكتاب على كلمة سواء، فطائفة البروتستانت من فرق النصارى وهي فرقة ظهرت متأخرة هي وحدها التي تنكر ألوهية مريم، أما ما عداها من الفرق، فالجميع يقول بألوهية مريم، والنصارى وإن عبدوا مريم إلا أنه لم يثبت أنهم أطلقوا عليها إلها، كما أطلقوا على عيسى ومن هنا ندرك دقة التعبير القرآني عندما قال عن مريم وعيسى مجتمعين: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} (المائدة: ١١٦)،

[1] – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ج٦، ص٣٣.

والاتخاذ غير التسمية، فهو يصدق بالعبادة، وهي واقعة قطعا، بينما قال الله تعالى في عقيدتهم في عيسى خاصة: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} (المائدة: ٧٢).

فهم عبدوه وسموه إلها، وهذا موافق لواقع النصارى {ومن أصدق من الله حديثا (٨٧)} (النساء)، وعن عبادة النصارى لمريم يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "إن هذه العبادة التي يوجهها النصارى لمريم، والدة المسيح منها: ما هو صلاة ذات دعاء وثناء واستغاثة واستشفاع، ومنها: صيام ينسب إليها ويسمى باسمها، وكل ذلك يقرن بالخشوع، والخضوع، فالخشوع، لذكرها ولصورها وتماثيلها، واعتقاد السلطة الغيبية لها التي تمكنها بها في اعتقادهم أن تنفع وتضر في الدنيا والآخرة بنفسها أو بواسطة ابنها، وقد صرحوا بوجوب العبادة لها[1].

فظهر أن ما يدعيه هؤلاء بعد ذلك هو موافقة للبروتستانت وخروج على إجماع الكنيستين الشرقية والغربية، أو هو نوع من التضليل ظنا منهم أن الناس سيصدقونهم في كل ما يقولون؟! قال سبحانه وتعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو} (التوبة:٣١)، وإن كنا وجدنا بعض فرق النصارى تنكر قصد السيدة مريم بالعبادة كما هو الحال بالنسبة للبروتستانت فذلك كان في مراحل متأخرة، ولا يقدح ذلك في عبارة القرآن؛ فإن المعبود في القرآن وكذلك المتبوع اتباعا كاملا يسمى إلها، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم} (التوبة: ٣١)، وقوله سبحانه وتعالى: {أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٣)} (الجاثية)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطى رضي، وإن لم يعط لم يرض»[2].

ثانيا. استحالة عقيدة التثليث وموقف القرآن منها:

إن ما حاولوا أن يلتمسوه لعقيدة التثليث من مسوغ عقلي لم يزدها إلا استحالة عقلية، وبعدا عن الواقع، وتعقيدا يعلمه زعماؤهم أكثر من غيرهم، فالآب ذات، والابن ذات كذلك بدليل انفصاله عنه ودخوله في جوف أمه مريم، ولا مهرب لهم من هذا، فالمسيح مكث في جوف أمه، ثم خرج منه، ثم عاش بين الناس يأكل الطعام مثل أمه، وتداعيات أكل الطعام كثيرة، كلها تقول إنه إنسان كبقية البشر، إنه مخلوق كبقية الخلق، له متطلباته، له حاجاته كأي واحد منا، ثم تنتهي حياته نهاية مأساوية، حسب اعتقادهم، يقتل ويصلب ولا يدفع عن نفسه ضرا، فأين ألوهيته؟ وأين بنوته للإله؟ وإذا لم يدفع عن نفسه الأذى فكيف يملك الخلاص لغيره؟! ولمن؟ للعالمين؟!! نريد عقولا غير العقول لتصدق ما تقولون!!! وكيف يتحول النطق إلى ذات؟!! أرونا نموذجا واقعيا يصدق ما تقولون، وكيف تكون هذه الثلاثة واحدا؟! إنها ثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس، لكل حقيقته، واستقلاليته، وصفاته، وخصائصه، فكيف يكون مجموع الثلاثة واحدا، وإلها واحدا؟!! من أين تأتي بعقل يصدق بهذا؟!

---

[1] – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ج٧، ص٢٦٣.

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال (٦٠٧١)، وفي موضع آخر.

وليس في الإنجيل نص صريح على أن الآب والابن والروح القدس شيء واحد، على الرغم من أننا لا نعترف بأن هذه الأناجيل كتاب موحى به من عند الله، ويشاركنا في ذلك عقلاؤهم غير المتعصبين وكل عاقل منصف، فقد ثبت أن إنجيلهم ليس نصا صحيحا يعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل، ولا يوثق به في الدين.

والقرآن الكريم ينص صراحة دون أدنى شك على نفي التثليث وكفر معتقده، والنهي عن القول به، يقول الله سبحانه وتعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد} (المائدة). وقال تعالى: {ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (٩١)} (المؤمنون).

والآية التي احتجوا بها وهي قوله سبحانه وتعالى: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} حجة عليهم لا لهم؛ فهي تؤكد كغيرها من آيات كثيرة على أن عيسى ابن مريم وليس ابن الله، وهي تنص صراحة على أنه رسول الله وليس إلها، ثم هي تنهى صراحة عن التثليث ولو بالقول فضلا عن الاعتقاد {ولا تقولوا ثلاثة} (النساء: ١٧١).

وهي تؤكد النهي عن ذلك القول مرة أخرى: {انتهوا خيرا لكم} (النساء: ١٧١)، وتأمر بالاعتقاد الحق في الله ورسله بمن في ذلك عيسى: {فآمنوا بالله ورسله}، وهي تبرهن على خصائص الألوهية وتنزه أن يكون الإله مخلوقا من المخلوقات، وتطرح هذا الاستفهام التعجبي الاستنكاري، لعل الغافلين يفيقون: {سبحانه أن يكون له ولد} (النساء: ١٧١)، والآية تبرهن على أن من له ملك السماوات والأرض ليس بحاجة أن يتخذ واحدا من خلقه إلها معه أو ابنا له.

والآية تحرر العقل والقلب من التوكل على أي عبد مخلوق من دون الله {وكفى بالله وكيلا (١٧١)} (النساء) وقبل ذلك كله تعد الآية هذا الاعتقاد الفاسد، وهو التثليث، غلوا في الدين، وخروجا عن النهج القويم، وتنهى عن هذا الغلو {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم}، كما تنهى عن التقول على الله بغير الحق، وهو هذا الاعتقاد الفاسد الذي يبرأ منه الله ورسوله عيسى وأن يلزموا الحق {ولا تقولوا على الله إلا الحق}.

ثم تأتي الآية التالية لهذه الآية لتعلن أن عيسى عبد الله، ولن يتكبر عن عبادة ربه لا هو ولا الملائكة المقربون: {لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون} (النساء: ١٧٢). أبعد هذا كله يبقى وجه للاستدلال بهذه الآية الكريمة على هذه العقيدة الباطلة، عقيدة التثليث، وكل كلمة فيها تنطق ببطلانها وتبرهن على ذلك، وما يتلوها من آيات يؤكد بطلان هذا الزعم؟

فإذا كانت الجمل الآتية في الآية وهي: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} تدل على التثليث النصراني، فأين الآب في الآية المتمم للثالوث النصراني؟ أهو المسيح؟ هم لا يقولون بذلك، وأين الابن؟ لم تصرح الآية بل تقول الآية: {إنما المسيح عيسى ابن مريم} فتذكر المسيح على أنه ابن مريم، بشر من بشر، رسول الله، فهو رسول الله إذن وليس الله، وليس ابنا لله كما زعم هؤلاء.

ثالثا. محاولات التماس صور التثليث عند المسلمين وتهافتها:

التثليث عند من يعتقده هو اعتقاد بأن الإله مجموع ثلاثة كل منهم مستقل عن الآخرين وهذا بعيد كل البعد عن اعتقاد المسلمين جميعا، عوامهم وخواصهم، فالتثليث عندهم هو اعتقاد بأن الإله مجموع ثلاثة، وكل واحد من الثلاثة منفصل مستقل عن الآخرين، وهم يقولون: باسم الآب والابن والروح القدس، والعطف يقتضي المغايرة، الآب عندهم يختلف عن الابن، وقد انفصل الابن عن الآب وخاطبه ودعاه، مما يدل على أن الابن غير الآب، وكذلك القول الروح القدس.

واستدلالهم على صحة التثليث بالبسملة، فهذا مما لا صحة فيه، فالبسملة توحيد في مقابل تثليث؛ لأن الله تعالى في البسملة ذات موصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال، والرحمن الرحيم وصفان له باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته، فإن صفات الله تعالى منها: "صفات ذات، وصفات فعل، وضابط صفات الذات هي التي لا تنفك عن الله، وضابط صفات الفعل هي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة.

ومثال صفات الذات: النفس والحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه واليد والرجل والملك والعظمة والكبرياء والإصبع والعين والغنى والقدم والرحمة والحكمة والقوة والعزة والوحدانية والجلال، وهي التي لا تنفك عن الله.

ومثال صفات الفعل: الاستواء والنزول والضحك والمجيء والعجب والفرح والرضى والحب والكره والسخط والإتيان والمقت والأسف، وهذه يقال لها: قديمة النوع حادثة الآحاد، ويصلح أن تقول قبلها: إذا شاء"[1].

وأين هذه الافتتاحية الربانية الحقة في البسملة من هذا الهراء الذي لا يقبله دين قويم ولا عقل سليم، فكيف يلتقي تثليث وتوحيد في عبارة واحدة؟ كيف يكون الثلاثة واحدا؟ كيف يكون الآب والابن والروح القدس وكل منهم له استقلاليته بحكم سرد الأحداث التي سطرتها أناجيلكم المحرفة إلها واحدا كما يتردد في شعائركم؟!

ما أبعد الفارق بين التسمية باسم الله الواحد الذي أخص صفاته الرحمة، وبين الافتتاحية بإعلان الوثنية المسروقة من جاهليات موغلة في القدم، لا يقبلها عقل ولا دين!

وأما الاستدلال بما يقوله العامة نحو: والله العظيم ثلاثا، أو أنت طالق ثلاثا وما إلى ذلك، ففي الحق أن هذه حجة مضحكة، يسيء صاحبها إلى نفسه وعقله، ولا يضير المسلمين بذلك في شيء؛ فإن القسم بالله ثلاثا إنما يعني به المقسم ثلاث مرات لا أنه يقسم بثلاثة آلهة، وهم يؤكدون بلفظ الثلاثة كما يستعلمون غيره من ألفاظ العدد كالستين والسبعين ونحوهما، وليس العدد ثلاثة "خصوصية في الإسلام، وإنما يشيع في مثل الإيمان والكفارات على سبيل التدريج والإمتهال، أو على سبيل التوكيد والتوثيق، وأما أن هذا أمارة على التثليث النصراني فقول طائش شاذ لا يعرفه المسلمون، ولا يحسونه في كلامهم، ولا يذهب إليه في تحقيقه باحث جاد وإن كان نصرانيا فيما نظن.

من هذا الزعم دعواهم أنه "من العسير أن تستخلص من القرآن نفسه مذهبا في العقيدة موحدا متجانسا خاليا من المتناقضات؛ فالتوحيد مذهب ينطوي على النقائض العسيرة الفهم، أما التثليث فمذهب واضح في

[1] - الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، السلمان، مكتبة الرياض الحديثة، ص٤٢٩، ٤٣٠.

فهم الألوهية[1]، وهذه أحكام مبيتة لا تستند إلى بحث علمي ولا إلى برهان، يكذبها واقع الإسلام وواقع النصرانية، ويشهد لذلك العقلاء من الباحثين المنصفين، فالإله في الإسلام واحد لا يعبد سواه؛ لأنه لا يستحق أحد أن يعبد إلا هو عز وجل، فهو وحده الخالق المدبر المهيمن، الذي يرجع الأمر كله إليه، وكل معبود من دونه لا يملك من أمر نفسه فضلا عن غيره شيئا؛ فكيف يعبد مع الله؟!

والإله الواحد لا يشبه خلقه؛ فللخلق صفات تخصهم، ولا توجد في الإله الحق، وإلا كان الإله الخالق مخلوقا، وللإله الخالق صفات تخصه لا توجد في المخلوق وإلا لكان المخلوق إلها خالقا، أين هذا الموضوع من عقيدة التثليث الغامضة المعقدة، التي تقف أمام العقل، ولا يستطيع العاقل أن يجمع بينها وبين عقله، فإما أن يتخلى عنها إذا احترم عقله، وإما أن يتخلى عن عقله إذا تمسك بها؟!

رابعاً. محاولات فاشلة لإقحام التثليث في القرآن الكريم:

من العجب أن يحاول فريق من هؤلاء المدعين أن يقحموا التثليث في القرآن الكريم، مع أنهم لا يعترفون بأن القرآن منزل من عند الله.

١. يحاول هذا الفريق أن يقابل بين معتقدهم في الأقانيم الثلاثة، وبين ما يتوهمونه من عبارة القرآن: **الله، وكلمته، وروح منه، قائلا: والكل في ذات واحدة**، وهذه سفسطة واضحة، فالآية القرآنية تقول: {يا أهل الكتاب لا تغلوا} إلى قوله سبحانه وتعالى: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} ولم تقل: الله وكلمته، وروحه في ذات واحدة، كما يفتري هؤلاء على كتاب الله تعالى، وإنما **وصف عيسى بن مريم في الآية بثلاث صفات: أنه رسول الله، وأنه كلمته وأنه روح منه**، فهي أوصاف ثلاثة للمسيح، وليس الله والكلمة والروح القدس ذاتا واحدة في زعمهم، وتأكيد الآيات على نسبة عيسى إلى مريم "عيسى بن مريم" رد على النصارى الذين ينسبونه إلى الله فيزعمون أنه ابن الله.

ووصفه بأنه رسول الله تأكيد على أنه عبد لله طائع له بالقيام ببلاغ رسالته، ووصفه بأنه كلمته إشارة إلى ميلاده غير المعتاد، فهو نفاذ لكلمة الله، وهي قوله تعالى: "كن" وهذا الفهم لكلمة "كن" أظهر وأشهر ما قيل في تفسيرها.

واستدل بعض القسس في إثبات التثليث في الإسلام بقوله سبحانه وتعالى: {بسم الله الرحمن الرحيم}فإن فيه ثلاثة أسماء فيدل على التثليث، ونحن نقول: لهم لقد قصرتم، عليكم أن تستدلوا بالقرآن على التسبيع، ووجود سبعة آلهة بمبدأ سورة "غافر" وهو هكذا: {حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٢) غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير (٣)} (غافر)، بل عليهم أن يقولوا إنه يثبت وجود سبعة عشر إلها من القرآن بثلاث آيات من آخر سورة الحشر التي ذكر فيها سبعة عشر اسما من الذات والصفات متوالية.

[1] - الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه، د. محمد الدسوقي، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٧٩.

وأسماء الله الحسنى تسعة وتسعون فهل يعني ذلك تعدد الآلهة في الإسلام؟!، الإسلام حرص أكثر ما حرص على تعميق عقيدة المسلم في التوحيد الخالص، قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما (٤٨)} (النساء)، أما التثليث فقد رفضه الإسلام وندد به، كما نبذه القرآن الكريم على النحو السابق، وعلى هذا فدعواهم أن البسملة تدل على التثليث إنما هو إسقاط؛ فلم يخطر في بال المسلمين أنهم يعبدون ثالوثا، أحد "أقانيمه" محمد كما أن عند النصارى ثالوثا أحد أقانيمه "يسوع"، وقد قال الله تعالى مخاطبا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد}، وحين وفاة الرسول نزل نبأ وفاته على الصحابة كالصاعقة، ولم يكد بعضهم يصدق بهذا النبأ فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه: «من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» هذه عقيدة المسلم لا ما يدعون![1]

ومعنى قوله سبحانه وتعالى: {وروح منه} أي بتخليقه وتكوينه كسائر الأرواح المخلوقة، وإنما أضافه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم، كما يقال: بيت الله، وناقة الله.

٢. محاولة جر القرآن للاعتراف بالتثليث، ولو بفرضها على القرآن الكريم فرضا، بل بفرضها على العقل ولغة القرآن العربية، ولو خالفت الواقع الذي نطق به القرآن الكريم!!

يقولون: وقد اتفق القرآن مع الكتاب المقدس في إسناد الفعل وضمير المتكلم في صيغة الجمع إلى الله، ولم يرد في الكتاب المقدس ولا في القرآن كلام مخلوق، كائنا من كان، تكلم عن نفسه بصيغة الجمع، مما يدل على وحدة الجوهر مع تعدد الأقانيم في الذات العليا، فمثلا ورد في قوله تعالى: {نزلنا على عبدنا} (البقرة: ٢٣) بصيغة الجمع، وفي قوله تعالى: {الله الذي نزل الكتاب} (الأعراف: ١٩٦) بصيغة المفرد، فتشير الصيغة الأولى إلى جمع الأقانيم، وتشير الصيغة الثانية إلى توحيد الذات، وهذه التفرقة بين ما جاء بصيغة الجمع وصيغة المفرد في الآيتين السابقتين هي افتراء على الله عز وجل، فليس في القرآن الكريم أن الله واحد في جوهره جمع من حيث الأقانيم، وكل أقنوم متميز عن الآخر، ولكن اختلاف التعبير حسب اختلاف المقام، فلكل مقام مقال، فإذا كان المقام يقتضي التعبير بالجمع عبر بالجمع، وإذا كان المقام يقتضي التعبير بالإفراد عبر بالإفراد.

فالتعبير بنون المضارعة في الفعل المضارع، مثل: {وننزل} و{إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (٤)} (الشعراء)... إلخ، وبـ "نا" التي في أصل استعمالها لجماعة المتكلمين قد يأتي للمفرد المعظم نفسه كما يصدر القانون بجملة: نحن رئيس الجمهورية، والله أحق بالتعظيم وأولى.

وقد يتطلب المقام في التعبير بالإفراد ليثبت أنه وحده الذي ينتسب إليه الفعل في مواجهة من يشركون مع الله غيره فيكون الإفراد في مثل هذا أدل على ذلك المعنى، وقد يكون التعبير بصيغة الجمع إشارة إلى أن الفعل المعبر عنه، وإن كان بأمر الله إلا أنه جرى وصدر بأسباب، وعلى أيدي جنوده من الملائكة الذين ينفذون أمره في خلقه.

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه، (١١٨٥) أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، شوقي أبو خليل، ليبيا، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ١٩٩٩م، ص٢٥٠.

بهذه الصيغة يعبر المولى عن نفسه وعن جنوده المنفذين لأمره، كقوله تعالى: {إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين (١٢)} (يس)، وقوله تعالى: {وإنا له كاتبون (٩٤)} (الأنبياء)، وقال: {ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (٨٥)} (الواقعة)، ومعلوم أن ملائكة الموت قريبون من الميت.

خامساً. التعلق بالصفات الإلهية في إثبات التعدد:

وقد سلك بعض هؤلاء مسلكا آخر لإثبات أن الإسلام أقر عقيدة التثليث ولو في صورة من صورها، وذلك بتفسير بعض الصفات الإلهية الثابتة لله أزلا على نحو يحتم افتقارها إلى أطراف أخرى متعددة، وأن الوحدة التامة للذات الإلهية لا تستقيم مع هذه الصفات.

وهنا يلجأون إلى تفسير القرآن تفسيرا وثنيا، ويالله العجب! فقد أصبح منكرو القرآن مفسرين له، وأصبح من لا يعرف أساليب العرب في لغتهم حجة فيها، وهو يفتقد أبجديتها!! وقد زعم هؤلاء أن: من أسماء الله الحسنى أنه الودود، فالود صفة من صفاته، ومعرفتنا أن هذه الصفة أزلية تستدل أن هناك تعدد أقانيم في الوحدة الإلهية، لتبادل الود بينها قبل أن يخلق شيء، وإلا ففي الأزل اللانهائي كانت صفة الود عاطلة عن العمل، وابتدأت تعمل فبدأ الله "يود" بعد أن خلق الملائكة، والناس، وحاشا لله أن يكون قابلا للتغيير.

والحق أن الودود من أسماء الله الحسنى يدل على صفته، وهي الود، ومعنى الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق، فيحسن إليهم ويثني عليهم (بمعنى: يذكرهم لما يقربهم منه، ويحببهم فيه) وهو قريب من معنى الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو المحتاج والمضطر، وأفعال الرحيم تستدعي مرحوما ضعيفا، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود[1].

وصفة الود في الله لا تتطلب الود المتبادل بينه وبين غيره، حتى يلزم القول بأقانيم يتبادل الود بينها في الأزل، كما توهموا، ولكن الود إرادة الإحسان والإنعام إلى الخلق، فهو يريد الإحسان إلى خلقه أزلا إرادة قديمة قدم وجوده ولكن تنفذ إرادته بتحقق الإحسان، والإنعام إلى الخلق حين يوجد الخلق فيما بعد، وهذا معنى قول علماء التوحيد في هذه الصفة وغيرها من الصفات، إن الصفة قديمة ومتعلقها حادث، ولو كان ما يقولون حقا من أن قدم وأزلية الصفة الإلهية مما تستدعي أزلية الخلق كما زعموا من أن أزلية ود الله التي تستدعي أزلية المودود لكان جميع الخلق يتصفون بالأزلية!

وإذا كان هؤلاء يعترفون بود الله لهم، فهم أزليون إذن! والصواب أن صفة الله "الودود" أزلية ولكن نفاذ الود وثماره بالإحسان والإنعام متأخر بحدوث الخلق، وإذا ضربنا أمثلة توضيحية زال هذا اللبس عند طلاب الحقيقة، فمثلا: إذا تعلم الإنسان مهنة الطب أو الهندسة أو التجارة أو أية مهنة من المهن فإنه يصير بهذا التعلم متصفا بهذه الصفة، فيكون طبيبا أو مهندسا أو تاجرا، أو غير ذلك سواء مارس هذا الأعمال فعلا، أو لم يمارسها.

---

[1] – المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة، ص١١٤، ١١٥.

فالله يتصف بصفة الود أزلا؛ لأنه يعلم أنها فيما بعد تتحقق آثارها عند خلق الخلق، فالله لم يتغير، فالصفة أزلية ومستمرة فيه ولكن أثرها ظهر عندما ظهر المخلوق المنعم عليه، فالتغير في المخلوق لا في الخالق.

فلا وجه لزعم أن وجود ثلاثة أقانيم في إله واحد يحل مشكلة تتعلق بالإيمان بصفات الله الأزلية التي لها أثرها كالسمع والكلام، فهذه الصفات إلهية وإن كانت لها متعلقات حادثة، فآثارها ونتائجها تحدث فيما بعد عند حدوث الخلق، ولا تناقض في ذلك ولا لبس، وعلى هذا فلا حاجة إلى الاعتقاد بأقانيم متميزة يتشخص كل أقنوم منها ليكون ذاتا مستقلة عن الآخر، فالآب عندهم شيء يغاير الابن، والروح القدس يغايرهما معا، ومع ذلك فالثلاثة إله واحد، فالإله مجموع الثلاثة، فهل بعد ذلك غموض وتعقيد وتناقض؟! فالإله واحد وله صفات الكمال ما لا يخفى مما نعلمه وما لا نعلمه كما أخبرت بذلك الشرائع السماوية فلا لبس ولا إشكال، على أن المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ما دعت إلى التثليث، ولكن اخترعتها المجامع النصرانية البشرية.

سادساً. فشل عقيدة الأقانيم في هداية الضمير المسيحي:

إن كثيرا من مروجي النصرانية يعمدون إلى المقارنة بين صلة الإنسان بالله في النصرانية والإسلام، ويصورون إله النصرانية رحيما ودودا يتنزل من عليائه في صورة الإنسان الفادي الذي يتحمل عن البشر خطاياهم التي ورثوها عن أبيهم الأول القديم، وأن هذا التجسد للإله مما يقارب بين الإنسان وخالقه، ويصل بينهما بروابط الود والمحبة، هذا على عكس إله المسلمين العلي المتكبر الذي لا يقنع من عباده إلا بالركوع والخضوع.

وهذا الذي يزعمونه زيف كله، فإن المحبة المدعاة لا يتوسل إليها بالخلط بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، وهما حقيقتان مستقلتان لا سبيل إلى المزج بينها إلا بالردة إلى تصورات الوثنيين الذين أحسوا روحا إلهية تسري في كل شيء حتى دعاهم ذلك إلى تقديس مظاهر الطبيعة وصنوف الحيوان والحجارة.

إن الإله عند المسلمين غفور ودود، يدعو عباده إلى طاعته بالحب كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١)} (آل عمران)، هكذا يدعوكم في غير تعقيد أو دخول في متاهات الأقانيم والتجسد من أجل التقريب بينه وبين عباده.

وليسأل العاقل نفسه عندما تملى عليه هذه العقيدة الوثنية، ما الذي يعود علي وعلى علاقتي بربي إذا اعتقدت أن الإله عبارة عن مجموعة أو شركة مكونة من ثلاثة، كل واحد من الثلاثة متميز عن الآخر؟ هل استقامت علاقتي بالله بهذه العقيدة؟ أو أن الفجوة بسببها تزداد اتساعا؟ ألا يتكل الإنسان أن ابن الله سيخلصه من الخطايا الموروثة فيغريه ذلك بالخطأ والبعد عن الله بمعصيته؛ فتزداد العلاقة بينه وبين ربه سوءا والفجوة المدعاة اتساعا؟

عقيدة التثليث عقيدة وثنية غامضة معقدة، وهي دخيلة على دين الله، فالله سبحانه منزه عن أن يشبهه شيء أو يشبه هو سبحانه شيئا آخر. يقول سيد سابق: عقيدة التثليث أساسها الثالوث الأقدس، أي المركب من ثلاثة أقانيم أو أصول هي: الآب والابن وروح القدس، وهي جواهر ثلاثة، وكل جوهر منها مستقل عن الآخر، والثلاثة مع ذلك إله واحد، والتثليث ليس خاصا بالنصارى، فقد جاء في دائرة معارف القرن التاسع

عشر الفرنسية قولها في تحديد الدين لفظة ثالوث: "إنه اتحاد ثلاثة أشخاص متميزة مكونة لإله واحد في عقيدة الديانة النصرانية وبعض الديانات الأخرى، فيقال، مثلا، الثالوث النصراني والثالوث الهندي".

وقال الأستاذ محمد فريد وجدي: "نعم كان الثالوث موجودا في ديانة قدماء المصريين بالنسبة لآلهتهم الوطنية، وقد اندثرت تلك الديانة الآن، والثالوث الهندي موجود للآن لدى الملايين من الناس في الهند والصين، وهو أن البراهمة يعتقدون أن الخالق تجسد أولا في "برهما" ثم في "فيشنو" ثم في "سيفا"، ويصورونهم ملتصقين إشارة إلى هذا التجسد الثلاثي، ويعتقد البوذيون أن الإله فيشنو الذي هو أحد أركان الثالوث الهندي تجسد مرارا عديدة لتخليص العالم من الشرور والذنوب، وكان تجسده في بوذا للمرة التاسعة[1].

إن عقيدة التثليث غامضة معقدة، تقف أمام العقل دون أن يستطيع العاقل أن يجمع بينها وبين عقله، فإما أن يتخلى عنها إذا احترم عقله، وإما أن يتخلى عن عقله إذا تمسك بها؟! وهذا اعتراف جوستاف لوبون أحد قادة الفكر في أوربا يتحدث عن بساطة التوحيد، وغموض العقائد في الديانات الأخرى قائلا: "إذا رجعنا إلى القرآن الكريم في عقائده الرئيسية أمكننا عد الإسلام صورة مبسطة عن النصرانية، ومع ذلك فإن الإسلام يختلف عن النصرانية في كثير من الأصول ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي، وذلك أن الإله الواحد الذي دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء، ولا تحف به الملائكة والقديسون وغيرهم ممن يفرض تقديسهم.

وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم، وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض، وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام، فالإسلام إدراكه سهل، خال مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم غالبا من المتناقضات والغوامض، ولا شيء أكثر وضوحا وأقل غموضا من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله، وببضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها، ويدخل النار من يعرض عنها.

وإنك ما اجتمعت بأي مسلم من أية طبقة إلا رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثا عن التثليث والاستحالة، وما شابه ذلك من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل[2].

إقبال الغربيين على اعتناق التوحيد والإسلام:

فمن خلال البحوث والدراسات تطلع أتباع المسيحية في هذا العصر إلى الإسلام، فوجدوه دينا يتلاءم مع الفطرة، يتوافق مع العلم، يتآخى مع العقل، دين لا يجسد الإله، ولا يرفع البشر إلى درجة الألوهية، دين يكره التعدد وينبذ الثالوث، ويدعو إلى الاعتقاد بإله واحد في أفعاله لا شريك له، كل شيء قائم بأمره، وكل شيء خاضع له، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه، وهو فوق كل شيء، وليس دونه شيء، هو مالك كل شيء، والشواهد على ذلك كثيرة:

---

[1] – انظر: العقائد الإسلامية، السيد سابق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.

[2] – حضارة العرب، جوستاف لوبون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص١٢٥ بتصرف يسير.

ففي جريدة الرأي العام، جاء خبر أن ثلاثين شخصا يعلنون الإسلام في دولة الإمارات العربية خلال شهر يناير ١٩٨٨م، وفي المملكة العربية السعودية واحد وخمسون شخصا من مختلف الجنسيات العالمية يعلنون إسلامهم، ويشهر أحد عشر ألفا من المسيحيين إسلامهم في سنتي ١٩٨٧م ١٩٨٨م في كوريا الشمالية، وفي فرنسا وصل عدد المسلمين إلى ١. ٥ مليون مسلم، وفي أمريكا وصل تعدادهم إلى ٧. ٥ مليون مسلم في عام ١٩٨٨م، وفي لندن، معقل المسيحية، اعتنق الإسلام حوالي ٧٦ ألف موحد في ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم[١].

والمسيو "أتين دينيه" الفرنسي يقول عن الإسلام: "إن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلا بشريا، أو ما إلى ذلك من الأشكال، أما في المسيحية فإن لفظ "الله" تحيطه تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن، وقد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة، والانحلال، فمن تجاعيد في الوجه غائرة إلى لحية بيضاء، مرسلة مهملة، تثير في النفس ذكرى الموت والفناء.

الكاتبة الأمريكية مريم جميلة ترى أن التجسد موروث عن الأديان البدائية الوثنية، أما الادعاء بأنه أوحى به من قبل السماء، فلا نصيب له من الصحة، وقد وجدت من الأساقفة من يقول: إن المسيحية يجب أن تخضع لناموس التطور والتغيير، وتقول الكاتبة أيضا: قرأت عن حفلات راقصة داخل الكنيسة بواشنطن، وعن كاهن في مدينة نيويورك يعين مستشارا لبعض الفرق الموسيقية، ويطوف معها في الملاهي الليلية، وعن مجموعة من القسس الشبان تقيم خدمة استشارية للشواذ جنسيا في سان فرنسيسكو، وعن هذه العقيدة تقول: "إن العقيدة الصافية النفيسة في الإسلام ترفض كل أشكال القومية والعنصرية والتثليث، وعبادة القديسين وتقديس الصور، والكهنوت وتجعل المؤمن يتعاطف مع كل المخلوقات التي أوجدها الإله، ويقيه الخوف من غير الله، ويدفعه إلى التقوى وعدم اليأس، إذن ففي ظل الإيمان بعقيدة التوحيد، الانتحار والتشاؤم والقنوت أمور لا محل لها في نفس المؤمن[٢][٣].

---

[١] – جريدة الرأي العام، القاهرة.

[٢] – المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٣٠: ٣٣٢.

[٣] – راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط١/٢٠١٢.

٥–ادعاء أن القرآن الكريم يقرر ألوهية المسيح عليه السلام

إن القرآن الكريم يقرر أن المسيح إله، ويستدلون على ذلك بقوله عن المسيح: {وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} (النساء: ١٧١)، وقوله حكاية عن عيسى عليه السلام: {أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم} (آل عمران: ٤٩)، فيستدلون بالآية الأولى على أن المسيح ابن الله، والآية الثانية على أنه يشارك الله بصفات منها: صفة الخلق وإحياء الموتى وعلم الغيب، كما يزعم هؤلاء أن المسيح قال عن نفسه: أنا ابن الله، وأن الإسلام لا ينكر عقيدة المسيحيين في ألوهية المسيح، مستدلين على ذلك بما جاء في تفسير أبي السعود من قول السدي: إن أم يحيى قابلت أم عيسى، ثم قالت لها: إن ما في بطني يسجد لما في بطنك والسجود لا يكون إلا لإله. وهم بهذا التقول على القرآن الكريم وعلى علماء المسلمين يهدفون إلى إثبات الألوهية للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

الجواب: **أولا: الفهم الصحيح لمعنى الكلمة في الآية:**

لا بد من تفصيل القول في جزأين رئيسين في الآية، الجزء الأول قوله سبحانه وتعالى: {وكلمته ألقاها إلى مريم}، والجزء الثاني قوله سبحانه وتعالى: {وروح منه}، ولنبدأ بالجزء الأول، فنقول:

إن "كلمة الله" مركبة من جزأين: مضاف "كلمة"، ومضاف إليه "الله"، وإذا كان الأمر كذلك، فإما أن نقول: إن كل مضاف لله هو صفة من صفاته، أو نقول: إن كل مضاف لله ليس صفة من صفاته، وبعبارة أخرى، إما أن نقول: إن كل مضاف لله مخلوق، أو إن كل مضاف لله غير مخلوق، وإذا قلنا: إن كل مضاف لله صفة من صفاته وهو غير مخلوق؛ فإنا سنصطدم بآيات في القرآن، وكذلك بنصوص في الإنجيل، يضاف فيها الشيء إلى الله، وهو ليس صفة من صفاته، بل هو مخلوق من مخلوقاته.

كما في قوله سبحانه وتعالى: {ناقة الله} (الأعراف: ٧٣) وكما نقول: بيت الله، وأرض الله وغير ذلك، وإذا عكسنا القضية، وقلنا: إن كل مضاف لله مخلوق؛ فإننا كذلك سنصطدم بآيات ونصوص أخرى، كما نقول: علم الله، وحياة الله، وقدرة الله. إذن لا بد من التفريق بين ما يضاف إلى الله؛ فإذا كان ما يضاف إلى الله شيئا منفصلا قائما بنفسه، كالناقة، والبيت، والأرض فهو مخلوق، وإذا كان ما يضاف إلى الله شيئا غير منفصل، أي: صفة من صفاته، فيكون من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، ومن البدهي أن يكون هذا غير مخلوق، إذ الصفة تابعة للموصوف ولا تقوم إلا به، فلا تستقل بنفسها بحال.

أما الجزء الثاني، فهو "كلمة الله"، وهي من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فـ"الكلمة" هي صفة الله تعالى، وليست شيئا خارجا عن ذاته حتى يقال: إن المسيح هو الكلمة، أو يقال: إنه جوهر خلق بنفسه كما يزعم النصارى.

فخلاصة هذا الوجه أن "كلمة الله" صفة من صفاته وكلامه كذلك، وإذا كان الكلام صفة من صفاته فليس شيئا منفصلا عنه، لما تقرر آنفا من أن الصفة لا تقوم بنفسها، بل لا بد لها من موصوف تقوم به، وأيضا فإن "كلمة الله" ليست بداهة جوهرا مستقلا، فضلا عن أن تتجسد في صورة المسيح كما يزعم النصارى.

إن أبي المغرضون ما سبق، وقالوا: بل المسيح هو "الكلمة" وهو الرب، وهو خالق وليس بمخلوق، إذ كيف تكون الكلمة مخلوقة؟ فالجواب: إذا سلمنا بأن المسيح هو "الكلمة" وهو الخالق، فكيف يليق بالخالق أن يلقي إلى مخلوق (السيدة مريم)، إن الخالق حقيقة لا يلقيه شيء، بل هو يلقي غيره.

فلو كان خالقا ما ألقي، ولما قال الله: {وكلمته ألقاها} (النساء: ١٧١) أي: المسيح عيسى، ومن ثم كان لزاما علينا أن نبين المراد بكلمة الله الواردة في الآية موضوع النقاش: {وكلمته ألقاها إلى مريم}، والجواب على ذلك أن نقول: إن المراد من "كلمة الله" يشتمل على معنيين كلاهما صحيح، ولا يعارض أحدهما الآخر:

المعنى الأول: أن قوله: "وكلمته" الكلمة هنا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، ومعنى الآية على هذا: أن كلمة الله التي هي صفته ألقاها إلى مريم لتحمل بعيسى وهذه الكلمة هي الأمر الكوني الذي يخلق الله به مخلوقاته وهي كلمة "كن"؛ ولهذا قال تعالى في خلق آدم عليه السلام: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩)} (آل عمران) فكما أن آدم خلق بكلمة "كن"، فكذلك خلق عيسى، فـ "الكلمة" التي ألقاها الله إلى مريم هي كلمة "كن"، وعيسى خلق بهذه "الكلمة" وليس هو "الكلمة" نفسها. .

المعنى الثاني: أن قوله "كلمته" هو من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، فـ"الكلمة" هنا عيسى وهو مخلوق؛ لأنه منفصل، وقد بينا سابقا أن إضافة الشيء القائم بذاته إلى الله، هو من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، فيكون المراد بـ "الكلمة" هنا عيسى وأضافه الله إلى نفسه تشريفا له وتكريما. فإن قلتم: كيف يسمي الله عيسى "كلمة"، والكلمة صفة الله؟ فالجواب: أنه ليس المراد هنا الصفة، بل هذا من باب إطلاق المصدر، وإرادة المفعول نفسه، كما نقول: هذا خلق الله، ونعني: هذا مخلوق الله؛ لأن خلق الله نفسه فعل من أفعاله، لكن المراد هنا المفعول، أي المخلوق، ومثل قولنا: أتى أمر الله، يعني المأمور به، أي ما أمر الله به، وليس نفس الأمر، فإن الأمر فعل من الله تعالى.

والمعنى الثاني للآية راجع عند التحقيق إلى المعنى الأول؛ فإننا إذا قلنا: إن عيسى "كلمة الله" بمعنى أنه نتيجة "الكلمة"، ومخلوق بـ "الكلمة"، فهذا يدل على "الكلمة" أساسا، وهو فعل الله، ويدل على عيسى وهو الذي خلق بـ "الكلمة".

فحاصل هذا الجزء من الآية أن "كلمة الله" تعالى التي ألقاها إلى مريم هي أمر التكوين، أي قوله (كن)، فكان عيسى ومن هنا صح إطلاق الكلمة على عيسى من باب إطلاق المصدر على المفعول، وكما يسمى المعلوم علما، والمقدور قدرة والمأمور أمرا، فكذلك يسمى المخلوق بالكلمة كلمة.

هذا جواب ما يتعلق بالجزء الأول من الآية، أما الجزء الثاني، وهو قوله سبحانه وتعالى: {وروح منه} فليس فيه أيضا دلالة على ألوهية المسيح أو بنوته لله، فضلا عن أن يكون فيه أي دليل لما يدعيه النصارى عن طبيعة عيسى وبيان ذلك فيما يلي:

١. أن قول الله سبحانه وتعالى: {وروح منه} ليس فيه ما يدل على أن عيسى جزء من الله تعالى، أو أن جزءا من الله تعالى قد حل في عيسى، وغاية ما في الأمر هنا أننا أمام احتمالين لا ثالث لهما: فإما أن نقول: إن هذه "الروح" مخلوقة، وإما أن نقول: إنها غير مخلوقة؛ فإذا كانت الروح مخلوقة، فإما أن يكون خلقها الله في ذاته، ثم انفصلت عنه، ولهذا قال عنها: "منه"، أو خلقها الله في الخارج؛ فإذا كانت هذه الروح غير مخلوقة فكيف يصح عقلا أن تنفصل عن الله تعالى لتتجسد في شخص بشري؟ وهل هذا إلا طعن في الربوبية نفسها، لتجويز التجزؤ والتبعض على الخالق وإذا كانت الروح مخلوقة، وخلقها الله في ذاته، ثم انفصلت عنه، فهذا معناه تجويز إحداث الحوادث المخلوقة المربوبة في ذات الإله سبحانه، وهذا عين الإلحاد والزندقة، أما إذا كانت الروح مخلوقة، وخلقها الله في الخارج، فهذا يدل على أن الله خلق الروح ونفخها في مريم، ليكون بعد ذلك تمام خلق عيسى ومولده، هذا هو عيسى في التصور الصحيح، أما ما سوى ذلك فهو مجرد ترهات تأباها الفطر السليمة، فضلا عن العقول المستقيمة.

٢. ما دمتم تقرون أنه ليس ثمة أحد يحمل صفات الألوهية، أو البنوة لله إلا المسيح وتستدلون على ذلك بقوله سبحانه وتعالى: {وروح منه}، فحينئذ يلزمكم أن تقولوا: إن آدم أحق بالبنوة من عيسى، حيث قال الله في آدم: {فإذا سويته ونفخت فيه من روحي} (الحجر: ٢٩)، ولا شك أن القول بهذا حجة عليكم لا لكم، فإذا كان قوله سبحانه وتعالى: (من روحي)في حق آدم معناه الروح المخلوقة، وأن هذه الروح ليست صفة لله فهي كذلك في حق عيسى؛ إذ اللفظ واحد، بل إن الإعجاز في خلق آدم بلا أب ولا أم أعظم من الإعجاز في خلق عيسى بأم بلا أب، وحسب قولكم يكون آدم حينئذ أحق بالبنوة والألوهية من عيسى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ولو سلمنا بأن الروح في الآية هو جزء من الإله، فهذا يقتضي أن يكون في الإله أقنومان حسب اعتقاد النصارى أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح، وفي هذا تناقض في موقف النصارى؛ إذ إنهم لا يقولون إلا بأقنوم "الكلمة"، ولا يقولون بأقنوم "الروح".

٣. لو كان معنى "منه" أي: جزء من الله، لكانت السماوات والأرض وكل مخلوق من مخلوقات الله جزءا من الله، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: {وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه} (الجاثية: ١٣)، وقال عن آدم: {ونفخت فيه من روحي}، وقال سبحانه وتعالى: {وما بكم من نعمة فمن الله} (النحل: ٥٣)، إن معنى "منه" وفق السياق القرآني، أي: منه إيجادا وخلقا، فـ "من" في الآية لابتداء الغاية، وليس المعنى أن تلك الروح جزء من الله تعالى.

وبعد ما تقدم نقول: إن القرآن الكريم في هذا الموضع وفي غيره، يقرر بشرية المسيح وأنه عبد الله ورسوله، وأنه ليس له من صفة الألوهية شيء، وقد قال الله في نفس الآية نفسها: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول

الله} فهو ابن مريم وليس ابن الله، وهو رسول الله وليس هو الله، وقال سبحانه وتعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} وقال سبحانه وتعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة} (المائدة: ٧٣-٧٢)[1]، فهل بعد هذا الاستدلال العقلي؛ والبيان القرآني يبقى متمسك بشبهات أوهى من بيت العنكبوت؟ أو يلصق بالقرآن ما ليس منه؟

ثانيا. إن الله هو الذي أوجد المعجزات وأظهرها على يد عيسى تأييدا وتصديقا له في نبوته ورسالته:

إن الاستدلال على ألوهية المسيح بالمعجزات التي جسدت على يديه باطل؛ فعيسى لم يوجد هذه المعجزات، وإنما الله هو الذي أوجدها وأظهرها على يديه، وعيسى لما نفخ في الأموات، أو ناداهم كما أمره الله، فكان عقب هذا أن أحياهم الله فنسب الإحياء إلى عيسى على اعتبار أنه باشر أسبابه بأمر الله، وهذه معجزة دلت على صدقه في نبوته ورسالته؛ ولذلك صدر الحديث عن هذه المعجزات بقوله على لسانه: {أني قد جئتكم بآية من ربكم}.

وإننا إذ نتحدث عن معجزات عيسى يجب أن نلاحظ شيئا مهما، هو أن الله أكد على نسبة الإرادة لله تعالى بإذن الله رغم أن عيسى رسول مؤيد من الله، فقال الله سبحانه وتعالى على لسان عيسى عليه السلام: (ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله} (آل عمران).

ذلك أن الله قد احتفظ بسر خلقه لنفسه، ولم يعطه لعبد من عباده، ومن هنا كان لزاما أن تأتي كلمة "بإذن الله" بمعنى أن الخلق يتم لا بمعجزة ذاتية ولكن بإذن الله ثم تمضي السورة: {وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله} ذلك أن الشافي هو الله وهو الذي يحيي ويميت، وهكذا كانت هذه المعجزات إعلانا من الله وهو الفاعل لا يشرك أحدا معه في ذلك، وإذا كانت هذه المعجزات قد تمت على يد رسول؛ فإنها تتم بإذن الله، فإنه هو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يشفي من المرض.

فعيسى من أنبياء الله ورسله الذين أيدهم الله بالمعجزات وإحياء الموتى، والله لم يجر المعجزات على يد عيسى وحده، ولكنه أجراها على يد غيره من الأنبياء كذلك، فلو كان ذلك دليلا على ألوهية عيسى؛ لكان كذلك دليلا على ألوهية كل من ظهر على يديه إحياء الموتى، ولقد ظهر إحياء الموتى على يد موسى عندما احتكم إليه المختصمون من قومه في شأن القتيل؛ قال سبحانه وتعالى: {وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها} (البقرة: ٧٢)، وأحيا الله على يد إبراهيم الطير بعد أن ذبحها وقطعها، وخلطها، وجعل على كل جبل منهن جزءا.

فإن قالوا: استدللنا على كون المسيح إلها؛ لأنه أحيا الموتى، ولا يحيي الموتى إلا الله، قلنا لهم: فاجعلوا موسى إلها آخر؛ فقد أحيا بإذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه، وأتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره، ولا ما يقاربه، فقد جعل العصا حيوانا عظيما ثعبانا فهذا أبلغ وأعجب من إعادة الحياة إلى جسم كانت فيه أولا.

---

[1] – هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، دار ابن القيم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٥ وما بعدها.

فإن قلتم: جعلناه إلها للعجائب التي ظهرت على يديه، قلنا: إن عجائب موسى أعجب وأعجب، وهذا إيلياء النبي بارك على دقيق العجوز، ودهنها فلم ينفد ما في جرابها من الدقيق، وما في قارورتها من الدهن سبع سنين.

وإن جعلتموه إلها؛ لكونه أطعم من الأرغفة اليسيرة آلافا من الناس، فهذا موسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوى، وهذا محمد بن عبد الله قد أطعم العسكر كله من زاد يسير جدا حتى شبعوا وملئوا، وسقاهم كلهم من ماء يسير لا يملأ اليد حتى ملئوا كل سقاء في العسكر، وهذا منقول عنه بالتواتر، فهل قال المسلمون بأنه إله؟!

وإن قلتم: جعلناه إلها؛ لأنه كان يعلم الغيب؛ إذ كان ينبئ أصحابه بطعامهم وشرابهم الذي يأكلونه أو يدخرونه في بيوتهم، فإننا نقول لكم: إن مصدر علمه بذلك هو الوحي، وقد جرت مثل هذه المعجزة على يدي نبي الله يوسف حيث أخبر صاحبه في السجن: {قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي} (يوسف: ٣٧)[1].

كما أن علم عيسى لبعض الأمور ليس من ذاته، وليس علما مطلقا بكل غيب، ولكنه بإعلام الله له، وإيحائه إليه، وهو بعض الغيب، وليس كله، فالغيب كله لا يعلمه إلا الله: {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله} (النمل: ٦٥)، والله يعلم رسله من الغيب ما يجعله آية لهم على صدقهم، كما قال سبحانه وتعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول} (الجن)، ولو كان عيسى إلها لعلم الغيب كل الغيب بذاته من غير إعلام الله له، ولعلم يوم القيامة، متى يكون؟ وقد أعلن في الإنجيل أنه لا يعلمها، وأن الله وحده هو الذي يعلمها، جاء في إنجيل مرقس: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الآب، انظروا، اسهروا وصلوا؛ لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت". (مرقس ١٣: ٣٢)[2] .

فلو كان عيسى إلها لعلم الغيب علما ذاتيا، ولعلم موعد الساعة، فما علم بالذات لا يتخلف، لكنه اعترف بعدم علمها، وأنه لا يعلمها إلا الله عز وجل، إن معجزات عيسى مثلها كمثل معجزات غيره من الأنبياء والرسل كناقة صالح، وعدم إحراق النار لإبراهيم، وكونها بردا وسلاما عليه، وعصا موسى، ومعجزة رسول الله الخالدة، التي ما زالت تتحدى العالمين، وكل يوم يثبت للعقلاء صدقها وصدق من نقلها، وهي القرآن الكريم، وخلاصة القول أن غرابة الخوارق التي جرت على يد المسيح لا تجعل منه إلها، بل تجعله آية على قدرة خالقه، كما في قوله سبحانه وتعالى: {ولنجعله آية للناس} (مريم: ٢١).

ثالثا. لم يثبت عن المسيح أنه قال عن نفسه: إنه ابن الله، بل إن فريقا من النصارى هم الذين زعموا ذلك

---

[1] – **مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام الزين، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م**، ص٣٢٧ بتصرف.

[2] – رسالة للرد على رسالة تنصيرية شهيرة تزعم ألوهية المسيح من القرآن، إعداد وترتيب: محمود مهران، د. م، د. ن، د. ت.

إن عقيدة المسلمين في المسيح عيسى ابن مريم أنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وقد أمر المسيح أتباعه بعبادة الله وحده، وحذرهم من عاقبة الشرك بالله، قال سبحانه وتعالى: {وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢)} (المائدة: ٧٢)، فالمسيح لم يقل عن نفسه: إنه ابن الله، بل إن فريقا من النصارى الذين غالوا فيه، ورفعوه عن درجة البشرية إلى درجة الألوهية هم الذين زعموا ذلك، {يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠)} (التوبة).

وقد جاء في إنجيل يوحنا على لسان عيسى: "الحق أقول لكم، من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان". (يوحنا ١: ٥١)، وكذلك ورد أن عيسى يخاطب ربه على أنه الإله الواحد، وأنه رسوله وليس ابن إله ولا إله: "وهذه هي الحياة الأبدية أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته". (يوحنا: ١٧: ٣)، فإن جعلتموه إلها؛ لأنه ادعى ذلك كما تقولون، فإما أن يكون الأمر كما تقولون عنه، أو يكون كما ادعيتم عليه فهو أخو المسيح الدجال، وليس بمؤمن ولا صادق، فضلا عن أن يكون نبيا كريما، وجزاؤه جهنم وبئس المصير، كما قال سبحانه وتعالى: {ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم}(الأنبياء: ٢٩)، وكل من ادعى الألوهية من دون الله، فهو من أعظم أعداء الله كفرعون، والنمرود، وأمثالهما من أعداء الله، فأخرجتم المسيح عن كرامة الله، ونبوته، ورسالته، وجعلتموه من أعظم أعداء الله، ولهذا كنتم أشد الناس عداوة للمسيح في صورة محب موال!

ومن أعظم ما يعرف به كذب المسيح الدجال، أنه يدعي الألوهية، فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدى ابن مريم فيقتله، ويظهر للخلائق أنه كان كاذبا، هذا فضلا عن أنه لو كان إلها لم يقتل، فضلا عن أن يصلب، ويسمر ويبصق في وجهه كما زعمتم!

ولو كان المسيح قد أقر بأنه عبد، ونبي، ورسول، كما شهدت بهذا الأناجيل كلها ودل عليه العقل، والفطرة، وشهدتم أنتم له بالألوهية وهذا هو الواقع فلم لم تأتوا على ألوهيته ببينة؟ وقد ذكرتم عنه في أناجيلكم في مواضع عديدة ما يصرح بعبوديته، وأنه مربوب مخلوق، وأنه ابن البشر، وأنه لم يزد عن كونه نبيا رسولا، وكنتم بهذا مكذبين له ولكتابكم، وصدقتم من كذب على الله وعليه وحرف في كتابكم!

وها هي نُقول من الكتاب المقدس تؤكد على لسان المسيح نفي الألوهية عنه منها:

"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة؛ لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني". (يوحنا ٥: ٣٠).

"قال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أني أنا هو، ولست أفعل شيئا من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي، والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي؛ لأني في كل حين أفعل ما يرضيه". (يوحنا ٨: ٢٨).

"فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه". (لوقا ٧: ١٦).

"فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم". (يوحنا ٦: ١٤).

"قال لها يسوع:«لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم:إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم". (يوحنا ٢٠: ١٧).

"يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم". (أعمال الرسل ٢: ٢٢).

"ولا تدعوا لكم أبا على الأرض؛ لأن أباكم واحد، الذي في السماوات، ولا تدعوا معلمين؛ لأن معلمكم واحد المسيح". (متى ٢٣: ٩، ١٠).

"تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال:«أيها الآب، قد أتت الساعة. مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا، إذ أعطيته سلطانا على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته. وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته". (يوحنا ١٧: ١ – ٣).

" إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى". (مرقس ١٢: ٢٩، ٣٠).

"ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا. فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل". (متى ٢١: ١٠، ١١).

"الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله". (يوحنا ١٣: ١٦).

"ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله". (يوحنا ٨: ٤٠).

"الله لم يره أحد قط". (يوحنا ١: ١٨).

"أبي أعظم مني". (يوحنا ١٤: ٢٨).

ومن الواضح أن المقصود بالابن: العبد؛ إذ لو كان المسيح ابن الله، لصار النصارى كلهم أبناء الله، إذ يقول الكتاب المقدس: "إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم"، أو آلهة كما يزعمون، وهذا ما لم يدعه أحد منهم. وهذه النصوص كما أسلفنا صريحة في نفي الألوهية عن المسيح، وتوقع النصارى في التناقض[1].

رابعا. حوار النبي مع نصارى نجران، حول طبيعة المسيح أثبت عقلا ونقلا بشرية المسيح وعدم ألوهيته:

لقد رد القرآن على أهل التثليث، وأوضح في رده عليهم أن عيسى إنما أتى بعقيدة التوحيد، كما أنكر عيسى نفسه أن يكون إلها، أو أن توصف أمه بالألوهية، ولكن عبد الله ورسوله، وقد حذر قومه من الشرك بالله ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، ويدل على ذلك آيات كثيرة من القرآن، منها قوله سبحانه وتعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه

[1] – انظر: **البهريز في الكلام اللي يغيظ، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.**

من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢)} (المائدة). وذكر القرآن أن تأليه عيسى ليس إلا نوعا من الغلو، والقول على الله بغير حق، ولذلك يجب العدول عنه: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله} (النساء: ١٧١).

ولم يكتف القرآن بالحديث عن بشرية عيسى ورسالته، وعبادته لربه، وتنزيهه لله عن أن يكون له شريك في الألوهية، بل وصفه بصفات هي من صفات البشر، والله يتنزه عن هذه الحاجة وعما يرتبط بها، من جوع وضعف وهزال، وعما يترتب عليها من هضم وتخلص من بقايا الطعام، فالله يطعم ولا يطعم، وهو الرازق للعباد وهم لا يرزقونه، ويطعمهم من خيره وهم لا يطعمونه، وهو الغني عن العالمين وهم مفتقرون إليه.

فإذا كان المسيح يأكل الطعام، فإن ذلك دليل حاسم على أنه بشر وليس بإله، وقد جاء في السنة النبوية ما يؤيد حجة القرآن ويفصلها، وذلك في جدال الرسول لنصارى نجران حول طبيعة المسيح فقد أثبتوا له الألوهية؛ لأنه ولد من غير أب، وقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: من أبوه؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ فقالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيوم على كل شيء يكلؤه، ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى. قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى. قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب، ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب الشراب ويحدث الحديث؟ قالوا: بلى. قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ قال: فعرفوا، ثم أبوا إلا جحودا[١]

وقد كان مما جاء في هذه الآيات وصف الله تعالى بأنه الحي القيوم "الحي الذي لا يموت"، وقد مات عيسى وصلب في قولهم والقيوم: القائم على مكانه، من سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به، وذهب عنه إلى غيره، وكان مما وصف الله به نفسه قوله: {هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء} (آل عمران: ٦)، أي: قد كان عيسى ممن صورهم الله في الأرحام، ومثيرو هذه الشبهة لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه، فكيف يكون عيسى إلها، وهو بذلك المنزل[٢]؟!

خامسا. ما نسب إلى السدي على فرض صحة نسبته إليه ليس حجة على الإسلام؛ لأنه لم يرد في القرآن أو السنة المطهرة ما يؤيده، والسجود بمعنى الاحترام والتقدير لا العبادة:

استدل فريق من النصارى على ألوهية المسيح بما جاء في تفسير أبي السعود من قول السدي: إن أم يحيى قابلت أم عيسى ثم قالت لها: إن ما في بطني يسجد لما في بطنك قالوا: السجود لا يكون إلا لإله؟ والحق أننا

---

[١] – أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٥٤) برقم (٦٥٤٤).

[٢] – أصول العقيدة الإسلامية، د. محمد أبو خليفة، دار الهاني، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٨٠.

لا نستطيع أن نجزم بصحة نسبة هذا القول للسدي، ولو صحت نسبته إليه فلا تصح نسبته إلى أم يحيى؛ لأنه من كلام القصاصين.

وعلى فرض صحته، فالمراد بالسجود هنا التقدير والاعتراف بالفضل والنبوة، وليس سجود العبادة. وعلى كل فهذا القول ليس حجة على الإسلام، ما دام لم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنة المطهرة، ولا عصمة لأحد بعد الأنبياء وهذا الكلام لا ينهض أمام النصوص القاطعة بأن عيسى عبد الله ورسوله، وأن الإله هو الله وحده دون سواه.

أما الانتقال من هذا الدليل الضعيف إلى الزعم أن علماء المسلمين، ونصوص القرآن تقر بأن المسيح هو الله، فهذا عبث، وكلام مرسل يصطدم بواقع الإسلام وإجماع النصوص من القرآن والسنة. تلك النصوص التي تؤكد دون أدنى شك، أو مواربة أن السيد المسيح إن هو إلا عبد الله ورسوله، وأنه يتبرأ من دعوى تأليه الناس، قال سبحانه وتعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا} (المائدة: ١٧). وقال سبحانه وتعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد} (المائدة)[1].

[1] – الشبكة الإسلامية، الخميس ٨/ ٩/ ٢٠٠٤م (شبهات حول القرآن وشبهات أخرى). راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط١/٢٠١٢.

٦-دعوى تناقض القرآن حول تصوره للمسيح عليه السلام

في القرآن تناقضا حول تصوره للمسيح فتارة يذكر أنه عبد، وتارة أخرى يشير إلى أن طبيعته تشبه الطبائع الإلهية. كما أن القرآن يعطي المسيح من الألقاب العظام ما لم يعطه لغيره من الأنبياء، فهو "كلمة الله"، و "روح الله"، و: {وجيها في الدنيا والآخرة} (آل عمران: ٤٥)... إلى غير ذلك. ويتساءلون: إذا كان الذي ذكره القرآن عن المسيح يفوق ما ذكره عن سائر البشر بمن فيهم محمد صلى الله عليه السلام ألا يشير هذا إلى تميز المسيح عن سائر البشر، وهذا ما يقره الإنجيل عن لاهوت المسيح؟!

الجواب: لا تناقض بين الآيات التي تعرضت لذكر المسيح فهي تصفه بأنه بشر خصّه الله ببعض الخصائص التي تميز بها عن بقية الرسل، وهذه الخصائص والمزايا، منح من الله تعالى له، وليست ذاتية فيه، مثل تسميته بـ "كلمة الله"، و "روح الله"، وولادته بالروح القدس من عذراء، وقدرته على إتيان المعجزات، ورفعه إلى السماء، وكونه وجيها في الدنيا والآخرة، ووصفه بأنه المخلص وأنه قدوس بلا شر، وهذه الخصائص والمزايا منح من الله له، وليست ذاتية فيه؛ ولو كان القرآن الكريم ينسب للمسيح شيئا بمعزل عن إرادة الله وإذنه، لكان لهؤلاء المغالطين حق في أن يستدلوا بهذه الخصائص على ألوهيته.

أما وإنها منح من الله له، فإنها تدل على عبوديته لله، لا على ألوهيته، كما قال الله: {إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل (٥٩)} (الزخرف)، ولو كانوا موضوعيين، يبحثون عن الحقيقة المجردة، لاعترفوا بفضل القرآن، وأنه كلام الله، وبفضل رسول الله محمد وأنه مبلغ عن الله كلامه، وبفضل الأمة الإسلامية، وأنها نقلت ما بلغه رسول الله لها نقلا أمينا، ولم تبادلهم بغضاء ببغضاء، ولم تبدل كلام الله، بل نقلت ما قاله الله في نبيه عيسى دون تبديل أو تحريف، ولم تبادلهم تشويها بتشويه، فكم حاولوا زورا تشويه صورة الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم!!

أما البيان التفصيلي لما قيل عن لاهوت عيسى عليه السلام في القرآن فهو كالتالي:

١. وصفه بأنه كلمة الله، أو كلمة منه، أي: أنه نفاذ كلمته (كن) وإن كان الخلق جميعا نفاذ كلمته، وأثرا لها، إلا أن عيسى جاء على نسق غير مألوف للناس لكونه ولد من غير أب، ومن هنا وصف بهذا الوصف.

و "من" في قوله سبحانه وتعالى: {بكلمة منه} ليست للتبعيض حتى لا يفهم أنه جزء من الله انفصل منه كما يتوهم النصارى، وإنما هي للابتداء، مثل "من" في قوله سبحانه وتعالى: {وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه} (الجاثية: ١٣)، وإذا كان المسيح هو ذات كلمة الله كما يزعم النصارى، وما دامت كلمة الله تعالى قابلة لأن تنفصل منه وتتحول إلى مخلوق أو إنسان، فلم لا يكون الخلق أو الإنسانية كلها كذلك؟! إن تحول الصفة إلى ذات هو غاية في الشناعة، وإغراق في الاستحالة العقلية.

ووصفه بأنه "روح منه" لا يعنى أنه ابن الله كما زعموا، ولا يعنى أنه انفصل من الله، وإلا كان آدم أحق بذلك فقد قال الله تعالى في حقه: {ونفخت فيه من روحي} (ص: ٧٢)، وكان البشر كلهم كذلك؛ فالنبي

قال في الحديث: «إن أحدكم يجمع خلقه.. ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح»، وضم الحديث مع الآيات في شأن آدم وعيسى يقدم لنا الحقيقة ناصعة، وهي أن جميع البشر بمن فيهم عيسى عليه السلام نفخت فيهم الروح بتكليف الملك المخصص بنفخ الروح، وبنفخ الروح تحل الحياة في الجسد.[1]

فقد قال تعالى في حق مريم: {فنفخنا فيها من روحنا} (الأنبياء: ٩١)، كما قال عن آدم: {ونفخت فيه من روحي}، لكن التعبير عن عيسى بأنه "روح" أو "روح منه" لكونه جاء على غير الإلف، فكأنه هو الروح، ومشكلة النصارى أنهم حولوا التعبيرات المجازية في كتابهم ككلمة الأب، إلى تعبيرات حقيقية.

٢. ولادته بالروح القدس من عذراء: يتخذ بعض المغالطين من هذا التمييز لعيسى عن سائر الأنبياء دليلا على أنه إله وابن إله، ويصرحون بأنه ابن، وأمه مريم وأبوه الله أما السبب في هذا التميز عندنا نحن المسلمين فهو لكي يظهر الله تعالى لنا آية على طلاقة قدرته، وأنه يخلق الشيء وضده، لا يعجزه شيء، فكما خلق الإنسان من أبوين، أعطانا آية على أنه يخلق من غير أب، كما خلق آدم بلا أب ولا أم، وكما خلق حواء من آدم، فقدم لنا الاحتمالات المفترضة كلها، وأنه سبحانه وتعالى لم يعجزه واحد منها، كما قدم الاحتمالات الأربعة في قوله سبحانه وتعالى: {يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠)} (الشورى)، وأنه ينفذها كلها.

ولو كان المقصود بقوله تعالى: (بكلمة منه)، وقوله: (وروح منه) أنه جزء من الله انفصل منه، وأنه ابن الإله، ما عقب الله على هذه الآية بإثبات الوحدانية له ونفي الولد وإبطال التثليث، وأكد أن المسيح عبد الله ورسوله، وأن المسيح لا يستنكف أن يكون عبدا لله، بل إن مقصود الآية في المقام الأول هو نهي النصارى عن الغلو في المسيح بتأليهه، قال سبحانه وتعالى: {إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين (٤٥)} (آل عمران)، {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٧١) لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا (١٧٢)} (النساء).

معاني كلمة "روح الله" في الكتاب المقدس[2]:

إن الله خلق آدم ونفخ فيه من روحه ولم يقل أحد: إن آدم إله، ثم إن روح الله تأتي عندكم في المسيحية على عدة أوجه: فهي القدرة: "ولكن في الناس روحا، ونسمة القدير تعلقهم". (أيوب ٣٢: ٨).

الرأي: "الحكمة تنادي في الخارج. في الشوارع تعطي صوتها. تدعو في رؤوس الأسواق، في مداخل الأبواب. في المدينة تبدي كلامها قائلة: «إلى متى أيها الجهال تحبون الجهل، والمستهزئون يسرون بالاستهزاء،

---

[1] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٦، ص٢٠: ٢٥ بتصرف. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٢، ص٨١٤: ٨٢٣ بتصرف. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٨م، ج٢، ص١٣٠، ١٣١ بتصرف. والحديث اخرجه البخاري رقم(٣٠٣٦) ومسلم (٦٨٩٣)

[2] – المناظرة الكبرى مع القمص زكريا بطرس حول ألوهية يسوع، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٩٩ وما بعدها.

والحمقى يبغضون العلم؟ ارجعوا عند توبيخي. هأنذا أفيض لكم روحي. أعلمكم كلماتي". (الأمثال١: ٢٠ – ٢٣).

نفس الإنسان: "فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها". (الجامعة ١٢: ٧).

الإلهام: "وحل علي روح الرب وقال لي: قل هكذا الرب". (حزقيال ١١: ٥).

قوة الله وقدرته: "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم". (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٨: ١١).

الخلق والإحياء: "روح الله صنعني، ونسمة القدير أحيتني". (أيوب ٣٣: ٤).

منزل الوحي على رسل الله: "لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون، مسوقين من الروح القدس". (رسالة بطرس الرسول الثانية ١: ٢١).

وهل من الممكن أن تكون الكلمة الصادرة عن الرب هي الرب نفسه؟ فأنتم تقولون بذلك في بداية إنجيل يوحنا، بيد أن العقل السوي يأبي ذلك ويناقض معتقداتكم. فليس معنى أنه كلمة الله أنه هو الله نفسه؛ فالكلمة هنا تعني أمر الله إلى أمه مريم. وفي هذا إجلال لمريم؛ إذ يصفها الله بأنها أطاعت كلمته وأمره بمجرد تأكدها أنها صادرة من عند الله.

معاني كلمة "كلمة الله" في الكتاب المقدس[1]:

كتاب الله وكلامه وتعاليمه: "وهؤلاء هم الذين زرعوا بين الشوك: هؤلاء هم الذين يسمعون الكلمة، وهموم هذا العالم وغرور الغني وشهوات سائر الأشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر". (مرقس ٤: ١٨، ١٩).

الإيمان وجهاد النفس لطاعة الله: "وإذا كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله". (لوقا ٥: ١)، وأيضا: "وهذا هو المثل: الزرع هو كلام الله والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا". (لوقا ٨: ١١، ١٢).

الكلمة العادية أو الأمر الموجه لشخص ما، والتي قد تكون سبب سعادة أو حزن: "قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك، وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني، فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا؛ لأنه كان ذا أموال كثيرة". (متى ١٩: ٢١، ٢٢).

النطق والكلام العادي: "ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: "ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جدا"، فلم يجبها بكلمة". (متى ١٥: ٢١ – ٢٣).

---

[1] – المناظرة الكبرى مع القمص زكريا بطرس حول ألوهية يسوع، علاء أبو بكر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٠٠ وما بعدها.

دليل أو إثبات: "وإن لم يسمع فخذ معك أيضا واحدا أو اثنين؛ لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة". (متى ١٨: ١٦).

السؤال: "فأجاب يسوع: وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة، فإن قلتم لي عنها أقول لكم أنا أيضا بأي سلطان أفعل هذا: معمودية يوحنا من أين كانت؟ من السماء أم من الناس؟". (متى ٢١: ٢٤، ٢٥).

التجديف: " لذلك أقول لكم: كل خطية وتجديف يغفر للناس، وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس. ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي". (متى ١٢: ٣١، ٣٢).

السب واللعن والتهجم على الآخرين: "ولكن أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين". (متى ١٢: ٣٦).

الخطأ، أو الإثم، أو العلة، أو سبب الإدانة: "فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار؛ لكي يمسكوه بكلمة، حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه. فسألوه قائلين: «يا معلم، نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتعلم، ولا تقبل الوجوه، بل بالحق تعلم طريق الله. أيجوز لنا أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟» فشعر بمكرهم وقال لهم:«لماذا تجربونني؟ أروني دينارا. لمن الصورة والكتابة؟» فأجابوا وقالوا:«لقيصر». فقال لهم:«أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب، وتعجبوا من جوابه وسكتوا". (لوقا ٢٠: ٢٠ – ٢٦).

وكما رأينا لم تأت "الكلمة" أبدا بمعنى ذات الله ولا نفس الله، كما يحلوا لهم أن يفسروا على هواهم ما يثبت ألوهية يسوع؛ ومن ثم لا يمكن أن يكون الذي أوحى بكل معاني لفظ "الكلمة" قد أفاق أخيرا؛ ليوحي في إنجيل يوحنا بأن الكلمة هي الإله نفسه، مع الأخذ في الاعتبار أن علماء اللاهوت يعلمون أن هذا الإنجيل كتب بعد عام ١٢٠ ميلادية، فلا يمكن أن يكون الرب المتجسد عندهم نسي أن يوحي بأنه الكلمة لباقي الإنجيليين، وتذكرها بعد ١٢٠ سنة من مولده!! ثم قالوا: "والذين قاموا بكتابة أسفار الكتاب المقدس هم أناس الله القديسون".

لقد خلت الأناجيل الأربعة وما ألحقوه بها من رسائل من بينة واحدة على أن عيسى أشار إلى نفسه أنه الكلمة، كما أن الثلاثة أناجيل الأولى المتوازية لم تشر بها إليه قط على ألسنة كاتبيها أو حكاية عن غيرهم، وأشير إلى قول لوقا الشهير في بداية إنجيله: "إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به". (لوقا ١: ١ – ٤). فماذا تعني "الكلمة" هنا غير ما سوف نذكره؟ وما الذي يمنع أن يكون هذا المعنى هو الذي قصده يوحنا في بداية إنجيله هو أيضا؟

معاني لفظ "كلمة" في إنجيل لوقا:

ورد هذا اللفظ في إنجيل لوقا، بالمعنى نفسه الوارد في أسفار التوراة، أي: بمدلول الوحي، أو الأمر الإلهي، أو الرسالة النبوية عند أنبياء العهد القديم، ولم يتجاوز هذا الحد ولم يشر بها إلى مسيح الناصرة، أو حتى أي مسيح آخر. وهو نفس المدلول في سفر إرميا، ونصه: "اسمعوا الكلمة التي تكلم بها الرب عليكم يا بيت إسرائيل. هكذا قال الرب: ألا تتعلموا طريق الأمم ومن آيات السماوات لا ترتعبوا؛ لأن الأمم ترتعب منها". (١٠: ١، ٢).

ومعنى "الكلمة" هنا واضح لا يحتاج إلى شرح، وبمثله قال لوقا عن يوحنا المعمدان: "في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية". (لوقا ٣: ٢)، فقد جاءت بعدة معان؛ منها:

كتاب الله: "إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينيين وخداما للكلمة". (لوقا ١: ١، ٢).

رضا الله: "وقال له إبليس: إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزا. فأجابه يسوع: مكتوب أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة من الله". (لوقا ٤: ٣، ٤).

التوبيخ والنهر: "فوقعت دهشة على الجميع، وكانوا يخاطبون بعضهم بعضا قائلين: ما هذه الكلمة؛ لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج". (لوقا ٤: ٣٦).

أوامر الله ونواهيه: "وإذ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله كان واقفا عند بحيرة جنيسارت". (لوقا ٥: ١).

الإيمان وجهاد النفس لطاعة الله: "وهذا هو المثل: الزرع هو كلام الله، والذين على الطريق هم الذين يسمعون، ثم يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم؛ لئلا يؤمنوا فيخلصوا". (لوقا ٨: ١١، ١٢).

العمل بكتاب الله: "والذي في الأرض الجيدة هم الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر... وجاء إليه أمه وإخوته ولم يقدروا أن يصلوا إليه لسبب الجمع. فأخبروه: أمك وإخوتك واقفون خارجا يريدون أن يروك، فأجاب: أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها". (لوقا ٨: ١٥. ٢١).

التجديف: "وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له". (لوقا ١٢: ١٠).

السؤال: "فأجاب: وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة، فقولوا لي: معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟". (لوقا ٢٠: ٣).

الخطأ أو الإثم: "فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار؛ لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه.. فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب وتعجبوا من جوابه وسكتوا". (لوقا ٢٠: ٢٠ – ٢٦).

ومن هذا نستنتج بوضوح أن **الكلمة عند لوقا هي: التعليم، والوحي، والأمر الإلهي الصادر عن الله والمبلغ عن طريق نبي من عباده. فهل شذ من كتب إنجيل يوحنا واستخدم الكلمة "لوجوس" في وصف عيسى مخالفا سياق الأناجيل الأخرى والرسائل مستسقيا مصادر أجنبية، وهي الفلسفة اليونانية في جانبها الوثني؛ ليدسه في النصرانية؛ لأن المضمون عند فلاسفة اليونان مثل هيراقليطس: أن "اللوجوس" أو الكلمة هو العقل الإلهي الضابط لحركة الموجودات والمهيمن على الكون**، وهذا ما التقطه كاتب إنجيل يوحنا كفكرة فلسفية ليس لها أي أصل ديني صحيح، بل هو تصور وثني أضافه كاتب هذا الإنجيل؛ ليزيد الأمور تعقيدا عند النصارى.

والملاحظ أنه سبحانه وتعالى قال عن عيسى وأمه: {آية للعالمين (٩١)} (الأنبياء: ٩١)، ولم يقل: "رحمة للعالمين" كما فهم الكاتب، ولكنه قال: {ورحمة منا} (مريم: ٢١) إشارة إلى أنه من حيث كونه آية فهو آية للعالمين على طلاقة قدرة الله تعالى، ونفاذ مشيئته بلا حدود، أما من حيث كونه رحمة فهو رحمة لأناس بعينهم، وهم قومه من بني إسرائيل، كما قال سبحانه وتعالى: {وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (٦)} (الصف). وكما جاء في الإنجيل على لسانه: "إنما بعثت إلى خراف بني إسرائيل الضالة" **فهو آية للعالمين وليس رحمة للعالمين** لأن رسالته ليست عالمية. أما صاحب الرسالة العالمية فهو محمدﷺ{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١٠٧)} (الأنبياء).

إن الله غني عن أن يكون له ابن، أو زوجة تلد له ابنا، وهو لا يشبه خلقه، فالتوالد نتيجة التجانس والتشابه، وهو سبحانه وتعالى: {ليس كمثله شيء} (الشورى: ١١)، وكل المخلوقات خلقه وملكه، فلا حاجة لاختصاص أحد من الخلق ببنوة، ولهذا كانت الحجج في القرآن الكريم تتوالى لإبطال الولد: {سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض} (يونس: ٦٨).

أما أن القرآن لقب المسيح بأنه قدوس بلا شر: فهذا افتراء على كتاب الله تعالى؛ فالله تعالى لم يسم أحدا من خلقه باسم القدوس، وإنما هو سبحانه وحده القدوس ومعنى القدوس: المنزه عن كل وصف يدركه حس، أو خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يقضي به تفكير.[1]

وكون المسيح ذكر في القرآن الكريم من غير أن يذكر له خطيئة لا يعني أنه إله، أو ابن إله، فهو بشر، عبد الله، عصمه الله من الوقوع في المعصية، ولم يمسه الشيطان عند ولادته كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب». وفي رواية: أن رسول الله قال: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان؛ فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه"، ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: {وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

[1] – المقصد الأسنى، أبو حامد الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة، د. ت، ص٥٥.

(٣٦)} (آل عمران)».[1] لا لأنه إله ابن إله، ولكن تحقيقا لدعوة المرأة الصالحة امرأة عمران عندما لجأت إلى الله أن يعيذ مريم وذريتها من الشيطان الرجيم.

أما ما يستدل به بعضهم على ألوهية المسيح، وهو:

قدرته على إتيان المعجزات: والمعجزة فعل من الله أظهره الله على أيدي أنبيائه، ولم يختص عيسى دون سائر الأنبياء بالمعجزات؛ فلكل نبي معجزاته التي أظهرها لقومه؛ ليثبت لهم صدقه، ولا تدل المعجزة على ألوهية من جرت على يديه، وإلا كان الأنبياء جميعا آلهة، وكما قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: {وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون} (آل عمران: ٥٢) قال على لسان يوسف عليه السلام: {قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي} (يوسف: ٣٧).

والإحاطة الكاملة بالغيب كله ليست إلا لله علما كاملا ليس مستمدا من غيره وهذا لا يمنع أن يعلم بعض خلقه ما تقتضيه الحكمة، كإطلاع رسله على بعض الغيب، وما جاء في القرآن الكريم من نسبة الخلق لعيسى في قوله سبحانه وتعالى: {أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله} (آل عمران: ٤٩)، فعيسى لم يدع أنه يتفرد بالخلق، ولكنه لا يفعل شيئا إلا بإذن الله، ومن معاني الخلق التقدير قال الشاعر:

فلأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

فالخلق الذي نسب له هو التقدير، لذلك جاء في الآيتين أنه يخلق (كهيئة الطير) ولم يرد أنه يخلق الطير، فهو لا يوجد الطير ويخلقه، ولكنه يعمل من الطين شكل الطائر، كما يصنع ذلك أي إنسان، لكن الله تعالى أعطاه آية، بأن ينفخ فيما شكله فيكون طائرا بإذن الله فهو الذي يوجد الحياة عقب نفخ عيسى في الطين المشكل طيرا، وكذلك الأمر في إحياء الموتى فإنه بإذن الله تستجيب الأموات لندائه، فإذا بهم أحياء، وليس عيسى أول من أظهر الله على يديه هذه المعجزة، فقد أجرى الله على يد إبراهيم إحياء الطير بعد تقطيعها أشلاء، وخلط بعضها ببعض، وعلى يد موسى جاءت معجزة إحياء القتيل عندما ضربوه ببعض البقرة المذبوحة، قال سبحانه وتعالى: {فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون (٧٣)} (البقرة).

وإبراء الأكمه والأبرص معجزة كغيرها من معجزات الأنبياء، والله هو الذي شفاهما على الحقيقة، ولكن نسبة الإبراء إلى عيسى بإذن الله لما باشر السبب بأن مسح عليهما فشفيا بإذنه تعالى، والفعل ينسب إلى السبب المباشر كما ينسب إلى الفاعل الحقيقي، وذلك كثير في القرآن وفي اللغة، تقول: شفى الله المريض، وشفى الطبيب المريض، وقال الله: {وارزقوهم فيها} (النساء: ٥)، مع أنه سبحانه هو الرزاق.

رفعه إلى السماء: لا يدل ذلك على ألوهيته، بل يدل على ما خصه الله به لتكتمل خصائصه، وليكون آية للعالمين في بدء حياته، وفي خاتمتها، وفي أثنائها، أما أن يتخذ البعض من رفعه دليلا على خلوده، ويجعل ذلك اعترافا من القرآن بخلوده، فهذا ما يكذبه القرآن نفسه؛ فالقرآن الكريم يذكر على لسان عيسى أنه

[1] – الاول أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، (٣١١٢).والثاني: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، (٦٢٨٢).

يموت كغيره من البشر، قال سبحانه وتعالى: {والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (٣٣)} (مريم)، وقال سبحانه وتعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} (النساء: ١٥٩)، والآية التي استدل بها الكاتب على موت النبي محمد ليقارن بين موت محمد، وخلود عيسى تدل على موت عيسى ولو بعد حين، فالآية تقول: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} (الأنبياء: ٣٤)، وعيسى من بين البشر الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

وجيها في الدنيا والآخرة: نعم جاء ذلك عن عيسى بمعنى أنه ذو جاه ومنزلة في الدنيا والآخرة، وكونه ذا جاه ومنزلة لا ينفي أن يكون غيره كذلك، وقد قال الله تعالى في حق الكافرين: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين (٤٨)} (المدثر: ٤٨)، فيفهم من هذا أن غير الكافرين من أهل الإيمان تنفعهم الشفاعة، وأنها شفاعة شافعين كثيرين، وليست شفاعة واحد فقط، فعيسى يشفع لمن أذن الله له بأن يشفع له، وغيره من ذوي الجاه من الأنبياء والملائكة والصالحين كذلك، ولو أكمل الكاتب الآية ووقف عندها، ما تطاول على كتاب الله، فالله يقول: {ومن المقربين} (آل عمران: ٤٥)، فهو واحد من المقربين إلى الله، لكنه يفرض عقائده الباطلة فرضا على آيات كتاب الله؛ ليقول عن المسيح عليه السلام: "إنه ابن الله المتجسد، والوسيط الوحيد بين الله والناس".

الملخص: يتخذ بعض الكتاب من إطلاق القرآن الكريم على المسيح اسمه المتداول؛ أي: عيسى، ولقبه المعروف؛ أي: المسيح، وإطلاق القرآن اسم "الإنجيل" على كتابهم – اعترافا من القرآن بعقائدهم، فعيسى هو الإطلاق العربي لاسم يسوع عندهم، ويسوع بمعنى المخلص، ويزعمون أن هذا اعتراف من القرآن بأن يسوع مخلص العالم من الخطيئة الموروثة، ومخلص المؤمنين به، كما أن إطلاق المسيح في القرآن اعتراف منه بأنه معين ملكا ونبيا وكاهنا، لتعيينه مخلصا للجنس البشري، كما أن الإنجيل بمعنى: الخبر المفرح.

ونقول ردا على هذه المزاعم: إن استخدام القرآن الكريم لهذه الإطلاقات: "عيسى، المسيح، الإنجيل" لا يعني الاعتراف بعقائدهم الفاسدة، ولا يعني حتى الاعتراف بما تحمله من معان، فإن كانت هذه الكلمات في أصل اشتقاقها تحمل المعاني المذكورة، فإنها أصبحت أسماء لمسميات، فأصبح عيسى علما على النبي المرسل، وكذلك المسيح أصبح لقبا له، وأصبح الإنجيل علما على الكتاب الذي أنزله الله عليه.

وحتى لو كان معنى كل اسم من هذه الأسماء مقصودا، فليس على عقيدتهم الوثنية، ولكن عيسى مخلص للمؤمنين به من عذاب الله لكونه سببا في هدايتهم، والمسيح معين ليكون نبيا وقد كان، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى لا ما بأيديهم مما افتروه على الله، فيه بشرى للمؤمنين، وهذا الفهم لا ينكره القرآن، بل يقرر أن المرسلين مبشرون ومنذرون أما كثرة ذكر عيسى ابن مريم في القرآن الكريم فليس اعترافا بألوهيته؛ ولكن لأنه لم يقل أحد قولا عظيما في حق مخلوق مثلما قيل في المسيح فكان تكرار ذكره تأكيدا على أنه بشر ابن بشر ابن مريم ونفيا لألوهيته، ولو كانوا صادقين في الإيمان بعيسى وفي حبه، لآمنوا بالكتاب الذي اعترفوا بأنه أشاد به، ووضعه في المكانة اللائقة به، ولأخذوا بكل ماجاء فيه عن المسيح وعن غيره، لا أن يزيفوا الحقائق ويقلبوها، ويحرفوا آيات القرآن ويستنطقوها ضلالاتهم[1].

[1] – راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط١/٢٠١٢.

٧- هل امتدح القرآن النصارى؟

قالوا: امتدح القرآن النصارى، وذكر بأنهم في الجنة في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: ٦٢).

والجواب: كما كان القرآن واضحاً في بيان وحدانية الله وعبودية المسيح وبشريته؛ كان صريحاً في إضلال القائلين بألوهيته وربوبيته وتكفيرهم، وهذا منثور في مواضع كثيرة من القرآن، منها قول الله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} (المائدة: ١٧)، وقوله: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (المائدة: ٧٣)، فهاتان الآيتان وغيرهما واضحتان في بيان كفر القائلين بعقيدة التثليث وألوهية المسيح.

ولكن هذا الحكم القرآني لا يسري على المسيح الذي تبرأ من هذه المعتقدات {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} (المائدة: ٧٢)، كما لا يسري الحكم بالكفر والنار على أتباعه المخلصين المؤمنين الذين آمنوا بالله وحده، وشهدوا للمسيح بالرسالة فحسب، واتبعوه ونصروه {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} (آل عمران: ٥٢– ٥٣)، وفي موضع آخر يقول الله تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} (المائدة: ١١١)، فهؤلاء من خيرة لله في خلقه، وهم مؤمنون بالمسيح الرسول، وبريئون من معتقدات النصارى التي استقاها المسيحيون من أقوال بولس والمجامع الكنسية من بعده.

إن هذه الثلة المؤمنة ممدوحة في القرآن ولا ريب، وقد وصفهم الله بقوله: {أنصار الله} (الصف: ١٤)، ومدحة الله لهم في القرآن تسري على كل مؤمن مشى على نهجهم إلى يوم الدين (يمتلئ تاريخ المسيحية بما تسميه الكنيسة اليوم بفرق الهراطقة، كالأريوسية والأبيونية، وهي فرق تنكر ألوهية المسيح وتندد بالتثليث، وكانت تمثل السواد الأعظم من النصارى حتى القرن الرابع الميلادي). ولما بعث النبي ﷺ كان لمنهجهم بقايا على الأرض تمثل في أشخاص أحبهم الله؛ لاستقامتهم على التوحيد، وإعراضهم عن مذاهب التثليث والشرك التي كرهها الله، يقول ﷺ : «وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[1].

فهؤلاء ومن سلفهم من المؤمنين هم الذين أثنى الله عليهم بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: ٦٢)، وقد ذُكر في سبب نزولها أن سلمان حدَّث النبيَّ ﷺ عن أصحابه النصارى الذين كانوا على الإيمان الخالص بالله عز وجل قبل مبعث النبي ﷺ ، فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون

[1] - أخرجه مسلم ح (٢٨٦٥).

أنك ستبعث نبياً. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال له نبي الله ﷺ : «يا سلمان، هم من أهل النار». فأنزل الله هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } [1].

وهذا المعنى بيّنٌ واضح لمن قرأ الآية في سياقها فتدبر الآيات التي قبلها والتي بعدها، حيث تكفر الآيات قبلها اليهود والنصارى، وتنسب إليهم الإساءة إلى الله، وتتوعدهم بالنكال والعذاب: {وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} (المائدة: ٦١ – ٦٤)

ويستمر السياق القرآني بعدها في تكفيرهم مع استثناء المؤمنين منهم ممن كان على منهج الأنبياء {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (المائدة: ٦٨ – ٦٩).

فمن المحتم أن الذين سماهم الله في آخر الآية: {الْكَافِرِينَ} ليسوا الذين تحدث عنهم صدر الآية التالية {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى}، فهؤلاء غير الأولين، هؤلاء من المؤمنين بدليل ما ذكر في الآية في وصفهم: {مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً}، والمرء لا يكون مؤمناً بالله بمجرد الإيمان بوجوده، فقد آمن بذلك كفار قريش، ولم يستحقوا هذا الاسم الشريف الذي يختص به من آمن بالله تبارك وتعالى وحده رباً وإلهاً، فلم يعبد معه أحداً غيره.

ثم يمضي السياق القرآني ليقول: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (المائدة: ٧٢ – ٧٥)، ويستمر السياق القرآني إلى آخر آيات السورة وهو يتحدث عن كفر النصارى، فلِم أعرض القائلون بمدحة الله للنصارى عن هذا كله، وبتروا الآية من سياقها؟!.[2]

---

[1] – أخرجه الطبري في تفسيره بإسناد منقطع (٢/ ١٥٤)

[2] – تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٧٧ – ١٨٠ مرجع سابق .

٨- أتباع المسيح موعودون بالظفر على الكافرين ؟

قالوا: وصف القرآن النصارى بأنهم أتباع المسيح الموعودون بالظفر على الكافرين إلى يوم القيامة، فقد أقر الدوام والخلود للدين المسيحي وأتباعه إلى يوم القيامة، فقال:{وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة} (آل عمران: ٥٥). كما شهد لأحبارهم ورهبانهم بالورع والتقوى والتواضع، فقال: {ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون}(المائدة:٨٢)، وهذا كله يدل على صحة طريقتهم ودينهم؛ خلافاً لما يقوله المسلمون من تكفيرهم، وأنهم من أهل النار.

والجواب: قد سبق لنا بيان الموقف القرآني من النصارى القائلين بألوهية المسيح والتثليث.!! نعم شهد القرآن لهؤلاء القسيسين والرهبان، ولكنه شهد للرهبان والقسيسين الذين لا يستكبرون، والذين إذا سمعوا آيات القرآن، وأحاديث النبي فاضت أعينهم من الدمع لما عرفوا من الحق، ونادوا بصوت عال: {ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (٨٣) وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (٨٤)} (المائدة).

فإن أرادوا أن يستدلوا بالقرآن على صدقهم وأمانتهم وعدلهم وتقواهم، فلا ينبغي لهم أن يقطعوا النصوص عن سياقاتها، ويفهموا الألفاظ على ما يتناسب مع أهوائهم، فليس ذلك من الأمانة العلمية في شيء، وأما القسيسون والرهبان الذين أخفوا الحق في كتبهم وأظهروا الباطل، غيروا الحق باطلا، وبدلوا الدين بالأساطير والخرافات، مسخوا عقول أتباعهم، وألغوها، حتى قالوا لهم: "اعتقد وأنت أعمى" فلا خير فيهم، ولا في اتباعهم، وقد هاجمهم القرآن أشد الهجوم، وأظهر عيوبهم وضلالالتهم وافتراءاتهم، ولم يمدح منهم أحدا.

فآيات سورة المائدة: {ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون} آيات مادحة لا شك، ولكنها مادحة للذين اعترفوا بالحق، وسلموا أمرهم للصواب، وأما هؤلاء الضالون والمضللون فقد شنع عليهم، فقال: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة} (المائدة: ٧٣)، وقال: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} (المائدة: ١٧).

ومن الذين اتبعوا عيسى عليه السلام حقا؟ هل هم أولئك الذين قالوا: {الله هو المسيح ابن مريم}؟ أم هم الذين قالوا: {إن الله ثالث ثلاثة} أم هم الذين قالوا: {ولد الله} (الصافات: ١٥٢)؟ أم هم الذين اعتقدوا صلب المسيح، واتخذوا لتلك العقيدة رمزا، يدقونه على أيديهم، ويعلقونه على صدورهم؟ ؟ أم هم الذين حرفوا وبدلوا الدين المسيحي الحنيف بالأساطير والخرافات؟!

أي هؤلاء أتباع المسيح عليه السلام؟ وأيهم يستحق اتباع الدين المسيحي؟ لا يصلح أن يكون حاملا لكتاب قانون يخص دولة من الدول، فكيف يصلحون لحمل رسالة من الله عز وجل؟ كيف يصلحون لتبليغ دعوة أو منهج رباني؟ إن هؤلاء انقسموا إلى طوائف مختلفة، كل طائفة تسفه أحلام الأخرى؟ وتكذب أقوالها ومعتقداتها، فهل يعقل أن تكون طائفة من هذه الطوائف على الحق الذي يدعونه؟ إن تضارب الأناجيل لدليل

على تحريفها وزيفها، فأولى لهم أن يسلموا للحق زمامهم وأن يذعنون لما كان في كتبهم قبل تحريفها من البشارة بالنبي الخاتم.

فأتباع المسيح حقا، هم الذين اتبعوا محمدا عليه السلام لما جاءتهم البينات، الذين لا يستكبرون وإذا سمعوا آيات الله تتلى فاضت أعينهم من الدمع قائلين: {ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين} الذين سمعوا كلام المسيح؛ فحفظوه في صدورهم، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم بشارة عيسى والمكتوب عندهم في الإنجيل، باعتراف النصارى أنفسهم فاتبعوا النور الذي أنزل عليه صلى الله عليه وسلم.

والآية التي استدلوا بها على أفضليتهم: {وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة}، لم تشهد لهم بذلك، وإنما شهدت لمن استمسك بالدين السماوي الذي أنزل على عيسى عليه السلام، وأما غيرهم ممن بدلوا وغيروا فقد أعلن القرآن كفرهم، وبرأ عيسى من رجسهم، هذا هو رأي القرآن أو حكمه في هؤلاء النصارى.

يقول الشيخ الطاهر ابن عاشور في سياق تفسيره لآية سورة المائدة: "والمراد بـ (الذين اتبعوه) الحواريون، ومن اتبعه بعد ذلك، إلى أن نسخت شريعته بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم". هذا وقد ذكر الشيخ رأيا آخر في تفسير من وجه إليه الخطاب في هذا الصدد، يقول: "ويجوز أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين"[1].

أتباع المسيح عيسى هم الذين أقاموا الإنجيل السماوي وآمنوا به، بحقه ولما جاءهم محمدﷺ اتبعوه. فهؤلاء هم المقصودون بقوله تعالى: {وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة}، فالذين اتبعوا عيسى هم الذين يؤمنون بدين الله الصحيح... الإسلام... الذي عرف حقيقته كل نبي وجاء به كل رسول، وآمن به كل من آمن بدين الله حقا: وهؤلاء فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة في ميزان الله... كما أنهم كذلك في واقع الحياة كلما وجهوا معسكر الكفر بحقيقة الإيمان وحقيقة الاتباع، ودين الله واحد، وقد جاء به عيسى بن مريم كما جاء من قبله ومن بعده كل رسول، والذين يتبعون محمدا هم في الوقت ذاته اتبعوا موكب الرسل كلهم، من لدن آدم إلى آخر الزمان.

فالآية فهي تمتدح أتباع المسيح عليه السلام، وهم المسلمون الذين يصدقون أقواله والمسلمون هم الذين يقولون: ادعاء الألوهية للمسيح ليس بحق، في حين يزعم النصارى أنه إله معبود بحق. ووفق هذا فإن المسلمين هم أتباع المسيح، وقد قال ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعَلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»،[2] والإخوة لعَلات هم الإخوة من أب واحد، وأمهاتهم مختلفات.) .

إن الدلالة على اتباع المسلمين للمسيح ومفارقة النصارى له ليست من القرآن فحسب، بل هي في كتابهم أيضاً؛ فإن قارئ العهد الجديد (الإنجيل) لن يجد فيه حرفاً واحداً يتحدث فيه المسيح عن ألوهية نفسه، بل على العكس من ذلك تجده يصرح بما ينقضها، فيقول عن نفسه: "وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه

---

[1] – التحرير والتنوير لابن عاشور دار سحنون تونس، مجلد ٣ ص: ٢٦٠

[2] – (أخرجه البخاري ح (٣٤٤٣)

من الله" (يوحنا ٨/ ٤٠)، كما يجده عليه السلام يخبر عن كونه رسولاً لله فحسب، مما يقتضي التنديد بأهل التثليث؛ والحكم بحرمانهم من الحياة الأبدية، فيقول مخاطباً الله: "**هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته**" (يوحنا ١٧/ ٢ – ٣)، وهذا معنى صريح في أن الجنة مدخرة فقط لمن يقول: (لا إله إلا الله، المسيح رسول الله)، وهذا بالحقيقة قول المسلمين؛ لا النصارى، فتبين أننا أتباعه عليه الصلاة والسلام الموعودون بالعلو على الكافرين إلى يوم القيامة، وقد علوناهم بالحجة والدليل والبرهان بالأمس واليوم وغداً بإذن الله ومِنَّته.

ولئن غابت شمس المسلمين اليوم عن قيادة الحضارة الإنسانية المادية (لا الروحية) فقد كان لهم شرف ريادتها ، وإنها سُحب توشك أن تنبلج، لتشرق شمسنا من جديد، هذه الصحوة الإسلامية التي تهدر في عالم اليوم طلائع هذا الفجر الآتي .

٩- سؤال أهل الكتاب فيما يشكل على النبي.!!

قالوا: طلب القرآن من النبي أن يسأل النصارى فيما يشكل عليه، وفيما يقع له من الريبة في دينه بقوله: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (يونس: ٩٤)، وكما طلب هذا من النبي؛ فإنه طلبه من المسلمين حين أمرهم بسؤال أهل الذكر، أي الكتب السابقة في قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (النحل: ٤٣).

والجواب: أن الآية الكريمة {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (يونس: ٩٤)، لا تتحدث عن مشركي النصارى المنكرين لنبوته، ولا تجعلهم مرجعاً للنبي ﷺ ، بل تتحدث عن الذين يشهدون له بأنه أتاه الحق من ربه.

كما يلزم التنويه أيضاً إلى أن النبي ﷺ لم يشك في شيء من نبوته، ولم يسأل أهل الكتاب ولا غيرهم، بل نقل عن بعض التابعين أن النبي ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل»[١] فلفظة (إنْ) لا تفيد أي تحقق لوقوع الشك من النبي ﷺ، إذ قد يعلق المحال بـ (إنْ)، كما في قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} (الزخرف: ٨١)، وقوله: {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ} (الأنعام: ٣٥).

وقد فسر العلماء مقصود الآية بقولين يكمل أحدهما الآخر:

الأول: أن المقصود بالسؤال هم المؤمنون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين أدركوا محمداً ﷺمن أهل الكتاب فآمنوا به .. فاسألهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم) [٢].

الثاني: أن المقصود في الآية ليس أمر النبي ﷺ بالسؤال، بل الخطاب في ظاهره ﷺ ، والمراد به غيرُه من المشركين، على عادة العرب في الخطاب "إياك أعني واسمعي يا جارة [٣].

ومثله في القرآن كثير، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} (الأحزاب: ١)، وقال: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الزمر: ٦٥)، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} (الطلاق: ١).

وهذا الوجه صححه الطبري، واستدل له الرازي بقول الله تعالى في آخر السورة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكّ مّن دِينِي فلا أَعبُدُ الذِي تَعْبُدونَ مِنْ دُون اللهِ} (يونس: ١٠٤)، وقال: "فبين أن المذكور في أول الآية على سبيل الرمز، هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح .. فثبت أن الحق هو أن الخطاب، وإن كان في الظاهر مع الرسول ﷺ ؛ إلا أن المراد الأمة، ومثل هذا معتاد، فإن السلطان الكبير إذا كان له أمير، وكان

---

[١] – عبد الرزاق في المصنف ح (١٠٢١٠) الناشر: المجلس العلمي الهند ، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي ، يطلب من: المكتب الإسلامي بيروت الطبعة:ط٢ ١٤٠٣

[٢] – جامع البيان، الطبري (١٥/ ٢٠٠) مرجع سابق .

[٣] – انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (١٦٧) مرجع سابق طبعة دار الكتب العلمية بيروت

تحت راية ذلك الأمير جمع، فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص، فإنه لا يوجه خطابه عليهم، بل يوجه ذلك الخطاب إلى ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم، ليكون ذلك أقوى تأثيراً في قلوبهم" [1].

بقي أن نشير إلى أن الأمر بالسؤال ليس على ظاهره، فإن العرب تستخدم طلب السؤال؛ بمعنى تأكيد الأمر، ولا تريد طلب السؤال حقيقة، ومنه قول الشاعر:

سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان

وقول الآخر: سلوا نسمات الريح كم قد تحملت ... محبة صب شوقه ليس يكتم

فهذان وأضرابهما لا يراد منه في لغة العرب حقيقة السؤال؛ إذ كيف يُسأل الليل أو نسمات الريح، إنما يراد تأكيد تلك المعاني التي طلب السؤال عنها.

ومثله في القرآن قوله تعالى: {سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ} (القلم: ٤٠)، وقوله: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} (الزخرف: ٤٥)، وقوله: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} (الأعراف: ١٦٣)، ففي كل هذا لم يطلب الله من النبي ﷺ حقيقة السؤال، إنما قصد الإخبار وتأكيد صدق هذه المعاني والأخبار التي ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن.

وأما قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (النحل: ٤٣)، فهو خطاب من الله للمشركين المنكرين للنبوة؛ المستغربين نزول الوحي على رجل، فقد نبههم الله إلى أن نزول الوحي على بشر أمر معهود تعرفه البشرية، ودعاهم إلى سؤال أهل الكتاب للتأكد من حقيقته والوقوف على جلائه، يقول ابن القيم: "فبقاؤهم [أي أهل الكتاب] من أقوى الحجج على منكر النبوات والمعاد والتوحيد، وقد قال تعالى لمنكري ذلك {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}، يعني سلوا أهل الكتاب: هل أرسلنا قبل محمد رجالاً يوحى إليهم أم كان محمد بدعاً من الرسل لم يتقدمه رسول حتى يكون إرساله أمراً منكراً؟ "[2].

وهكذا فالآية تجعل من شهادة أهل الكتاب دليلاً ناهضاً للاحتجاج على مشركي مكة في مسألة نبوة النبي ﷺ، وهو معنى تكرر في مواضع أخرى من القرآن، كقوله: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} (الرعد: ٤٣)[3].

---

[1] – التفسير الكبير، الرازي (١٧/٣٠٠) ، مرجع سابق

[2] – أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١/٩٧) المحقق: يوسف بن أحمد البكري الناشر: رمادي للنشر – الدمام ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧ .

[3] – تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٨٢ – ١٨٥ مرجع سابق .

١٠- إن القرآن يقر الإنجيل بصورته الحالية ويوجب على أهل الأديان جميعا الإيمان به وفيه حكم الله.

إن القرآن يُعلي من شأن التوراة والإنجيل، ويصفهما بالهدى والنور {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} (المائدة: ٤٤)، و{وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ} (المائدة: ٤٦)، وقالوا: ذكر القرآن أن التوراة والإنجيل الموجودين عند أهل الكتاب زمن النبي غير محرفين؛ بدليل أنه دعا إلى تحكيمهما {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} (المائدة: ٦٦)، وقال لهم: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} (المائدة: ٦٨)، وقالوا: شهد القرآن والسنة أن كتبنا فيها حكم الله {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ الله} (المائدة:٤٣)، ولما أخذها النبي بيده نزع الوسادة من تحته، فوضع التوراة عليها، ثم قال: «آمنت بك وبمن أنزلك».

والجواب: ١- القرآن إنما يقر الإنجيل الذي أنزل على عيسى قبل أن يدخله التحريف.

٢- الإنجيل بمضمونه الحالي ليس كتابا سماويا، ولو كان الإنجيل كما أنزل من عند الله لما كانت به تلك التناقضات التي لا يقبلها عقل.

٣- الإنجيل الصحيح عد القرآن كتابا سماويا خاتما ناسخا لما قبله متعبدا به دون غيره، بعد نزوله وقد بشر هذا الإنجيل بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا خاتما إلى الناس كافة.

أولا. كلمة حق أريد بها باطل، الإنجيل كتاب سماوي لكن أي إنجيل يقر القرآن؟ امتدح الله في القرآن ما أنزله على أنبيائه ورسله، وذكر أنه هدى ونور، فكل كتب الله تعالى كذلك، ولو أقام البشر في حياتهم ما أنزل الله إليهم؛ لسعدوا ونجوا، لكن هذه الكتب المنزلة ضاعت وحرفت وبدلت، فما التوراة ولا الإنجيل اللذين بين أيدي اليهود والنصارى بتوراة الله ولا إنجيله؛ وإن كان فيهما بقية أثارة حق مما نزل على الأنبياء، يقول ﷺ : «إن بني إسرائيل لما طال الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون»[1] ويكفي في هذا الموضع أن نؤكد أن التوراة والإنجيل الموجودين اليوم ليسا الكتابين اللذين أنزلهما الله عز وجل وامتدحهما القرآن، وإثبات هذا ميسور، فقد نسب القرآن الكريم إلى توراة الله وإنجيله معاني نفتقدها في الكتب الموجودة اليوم عند اليهود والنصارى، ففقدُها دليل على أن هذه الكتب قد غيرت وبدلت، وأنه ضاع منها ما أشار القرآن الكريم إلى وجوده فيها.

قال الله تعالى: {إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ} (التوبة: ١١١)، فالآية صريحة في أن موعود الله بالجنة للمؤمنين المجاهدين في سبيله مسطور في التوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله تعالى، ولا وجود لهذه المعاني في العهد القديم ولا الجديد.

---

[1] - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٩٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٢٦٩٤).

ومثله قوله تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} (الأعلى: ١٦ – ١٩)، فهذا المعنى لا وجود له في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام في العهد القديم، والتي تخلو من الحديث عن الآخرة والقيامة، فضلاً عن المقارنة بينها وبين الدنيا.

ومثله نفقد في الأسفار الحالية ما نسبه الله إلى توراته وإنجيله في سورة الأعراف من حديث عن النبي الأمي الذي يبعثه الله فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (الأعراف: ١٥٧).

وهكذا نخلص إلى القول؛ أن التوراة والإنجيل الممدوحين بالقرآن ليسا بالأسفار الموجودة اليوم؛ لفقد هذه المعاني منها، كما شهد القرآن على الأسفار الموجودة بين يدي اليهود والنصارى بأنها محرفة، وقعت فيها الزيادة، كما وقع فيها النقص، فقد قال تعالى عن تحريف النقص: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (المائدة: ١٥)، فما جاء به محمد ﷺ فيه بيان لبعض ما أخفاه أهل الكتاب، وقد عفا عن الكثير مما أخفوه فلم يذكره، قال ابن كثير: "أي: يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه، وافتروا على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيروه، ولا فائدة في بيانه"[1].

كما أخبر القرآن الكريم عن وقوع الزيادة في هذه الكتب: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ} (البقرة: ٧٩)، وقال: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران: ٧٨). لكن وقوع الزيادة والنقص في الكتاب لا يعني بالضرورة أن التحريف قد طال كل سطر وكل كلمة في الكتاب، بل القرآن شهد لهذه الكتب أن فيها بقية من الحق الذي أنزله الله {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (آل عمران: ٧١).

ومن بقايا الحق الذي شهد القرآن بوجوده حكم الرجم للزاني والزانية، فهو موجود في سفر التثنية في الإصحاح الثاني والعشرين، لذلك قال الله: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ} (المائدة: ٤٣)، فكون حكم الله بشأن الزانيين موجوداً فيها لا يعني أن كل ما فيها هو حكم الله تعالى، فإسم التوراة باق عليها رغم تحريفها، فهي التوراة المحرفة؛ لا المنزلة .

ليس بالضرورة أن تكون العندية دليلاً على أن المخاطبين بالسياق القرآني المعاصرون للنبي ﷺ، فإن القرآن حين يخاطب بني إسرائيل يخاطبهم كأمة واحدة، ويتجاوز في خطابه معهم حدود الزمان، فيقول لهم: {أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ} (البقرة: ٨٧)، مع أن قتل الأنبياء لم يقم به جيل واحد منهم، ومثله قوله: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ} (البقرة: ٥٥)، والقائل حقيقة أجدادهم، ومثل هذا كثير في القرآن يطول المقام بتتبعه.

---

[1] – (ابن كثير (٣/ ٦٧) طبعة طيبة للنشر تحقيق :سلامة مرجع سابق .

وأما قوله تعالى لليهود حين أنكروا أن الأطعمة كانت حلالاً عليهم قبل نزول التوراة: {فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}(آل عمران: ٩٣)، فهو لا يفيد سلامة التوراة التي بين أيديهم من التحريف، فمطالبته بالإتيان بها؛ إنما يريد به إقامة مزيد من الحجة عليهم من كتابهم (التوراة المحرفة)، قال ابن حزم: " إنما هو في كذب كذبوه، ونسبوه إلى التوراة على جاري عادتهم؛ زائد على الكذب الذي وضعه أسلافهم في توراتهم، فبكتهم عليه السلام في ذلك الكذب المحدث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين، فظهر كذبهم"[١].

وقد دعا الله عز وجل أهل الكتاب إلى إقامة هذا الحق المتبقي، لأنه كفيل بهدايتهم إلى الإسلام، قال ابن كثير: " أي: إذا أقمتموها حق الإقامة، وآمنتم بها حق الإيمان، وصدقتم ما فيها من الأخبار بمبعث محمد ﷺ ونعته وصفته والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته، قادكم ذلك إلى الحق واتباع الخير في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ} (الأعراف: ١٥٧)"[٢] وقال القرطبي: " وإقامة التوراة والإنجيل؛ العمل بمقتضاهما وعدم تحريفهما".[٣]

وقال ابن حزم: "وأما قول الله عز وجل: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ}؛ فحق لا مرية فيه، وهكذا نقول، ولا سبيل لهم إلى إقامتها أبداً، لرفع ما أسقطوا منها، فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد، فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل، كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله منهما؛ وُجِد أو عُدم، ويكذبون بما بدل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما، وهذه هي إقامتهما حقاً".[٤]

وهذا الأسلوب في طلب المحال على سبيل التبكيت أسلوب قرآني ونبوي، ومنه قول الله تعالى للمنافقين يوم القيامة: {قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ} (الحديد: ١٣)، ومن المعلوم أنهم لا يقدرون على الرجوع، ولو رجعوا لم يفدهم رجوعهم.

ومثله في التبكيت قول النبي ﷺ : «من تحلم بحلم لم يره؛ كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ... ومن صوَّر صورة؛ عُذب وكُلف أن ينفخ فيها، وليس بنافخ» .[٥]

ثانيا. هل لا يزال الإنجيل بمضمونه الحالي كتابا سماويا؟ لأجل أن يكون الكتاب حجة يجب الأخذ به على أنه شريعة الله ودينه، ومجموع أوامره ونواهيه، ومصدر الاعتقاد وأساس الملة يجب أن يتوافر في هذا الكتاب أمور:

أحدها: أن يكون الرسول الذي نسب إليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك، وأن يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة، أي بأمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين والمكذبين، وأن يشتهر أمر ذلك التحدي وهذا الإعجاز، ويتوارثه الناس خلفا عن سلف، ويتواتر بينهم تواترا لا يكون للإنسان مجال لتكذيبه.

---

[١] – الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١/ ١٥٨) (المتوفى: ٤٥٦هـ). الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة ، بدون تاريخ نشر .
[٢] – ابن كثير (١/ ٤٠٤). طبعة طيبة للنشر
[٣] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦/ ٢٤١).). مرجع سابق ،دار الكتب المصرية ط ٢.
[٤] – الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١/ ١٥٨). مرجع سابق .
[٥] – أخرجه البخاري ح (٧٠٤٢)، ومسلم ح (٢١١٠).

ثانيها: ألا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه بعضا، فلا تتعارض تعليماته، ولا تتناقض أخباره، بل يكون كل جزء منه متمما للآخر ومكملا له؛ لأن ما يكون عن الله لا يختلف ولا يفترق ولا يتناقض، بل إن العقلاء في أقوالهم وفي كتبهم، يتحرون ألا يتناقض قولهم ولا يختلف تفكيرهم.

ثالثها: أن يدعي ذلك الرسول أنه أوحى إليه به، ويدعم ذلك الادعاء بالبينات الثابتة، وهي المعجزات التي بعث بها الرسول ودعا إلى كتابه على أساسها، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر أو يثبت بالكتاب نفسه.

رابعها: أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي، بأن تثبت نسبة الكتاب إلى الرسول، بحيث يتلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلا بعد جيل من غير أي مظنة للانتحال.

وأساس ذلك التواتر أن يرويه جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، حتى تصل إلى الرسول، بحيث يسمع كل فرد من الجمع الراوي عن الجمع الذي سبقه، والذي سبقه كذلك، حتى يصل إلى الرسول الذي أسند إليه الكتاب ونسب إليه، ونزل به الوحي عليه[1].

فهل تنطبق هذه الشروط على الإنجيل الموجود بأيدينا الآن، "إن الكتب في الدين هي أساسه، فإن لم تكن مستوفية الشروط السابقة لم يكن الاطمئنان إلى صحتها كاملا وتطرق إليها الريب والظن من كل جانب، وبذلك يتهدم الدين من أساسه ويؤتى من قواعده ولا يكون شيئا مذكورا في الأديان، بل يكون طائفة من أساطير الأولين كتبها طائفة من الناس، وادعوها دينا ونسبوها لشخص معترف به، لتروج عند العامة وتدخل في أوهامهم، ويعتمدون على الزمان في تمكينها في نفوسهم وقلوبهم.

وهل الكتب المقدسة عند النصارى سواء أكانت من كتب العهد القديم أو العهد الجديد مستوفية هذه الشروط، فتكون ملزمة للكافة؟ لا يزعم أن الذين كتبوها من بعد عيسى رسل مبعوثون بها يبشرون الناس بما فيها؛ فنبحث هل هؤلاء رسل حقا وصدقا، قد تثبت رسالتهم بدليل لا مجال للريب فيه؟! إن الطريق لذلك أن يدّعوا هم هذه الرسالة ويثبتوها بمعجزة يجريها الله على أيديهم، ويتحدّوا الناس ليدفعوهم إلى الإذعان أو ليسجلوا عليهم الكفر بعد أن يقوم الدليل عليهم.

إننا نبحث في مراجعهم فلا نجد مرجعا صحيحا قرر أن هؤلاء ادعوا مثل هذه الرسالة، ودعوا الناس إلى الإيمان بها ومعهم البرهان عليها والدليل القائم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. نعم قد نجد في رسالة أعمال الرسل ذكرا لأخبار تلاميذ المسيح وأن روح القدس تجلى عليهم، وأنهم كانوا يأتون بأمور خارقة للعادة، وسماهم كاتب تلك الرسالة رسلا، ففيها يذكر أن عدد الأصحاب بعد المسيح أحد عشر وهم: بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس وفيلب وتوما وبرثولماس ومتى ويعقوب بن حلفى، وسمعان الغيور، ويهوذا أخو يعقوب، وأن بطرس وقف وألقى في وسط التلاميذ الذين بلغوا نحو عشرين ومائة خطبة، وأنهم امتلأوا جميعا بروح القدس، وتكلموا بألسنة غير ألسنتهم. ثم يذكر أن بطرس شفي أعرج من عرجه، ومات من كذب عليه، بعد أن كشف كذبه واختلاسه هو وامرأته.

---

[1] – محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، د. ت، ص٧١، ٧٢.

ذكر سفر الأعمال هذا وذكر عجائب أتى بها بولس في زعمه في آخر ذلك السفر أيضا، وكذلك نجد في إنجيل لوقا أنه يذكر أن المسيح أرسل سبعين رجلا ليبشروا باسمه، وأنهم عادوا يقولون له: "يارب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك! فقال لهم: «رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء. ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء. ولكن لا تفرحوا بهذا: أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السماوات»". (لوقا ٩: ١٧ – ٢٠).

ونريد أن نناقش **أعمال الرسل وإنجيل لوقا** في هذا المقام، لنعرف منه من هم هؤلاء الرسل، لم يذكر سفر الأعمال أسماء العشرين والمائة الذين ملئوا من روح القدس، نعم إنه ذكر أسماء الحواريين الأحد عشر، وليس منهم من ينسب إليه كتب أو رسائل، سوى متى وبطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا.. ولا ننسى الشك العلمي في نسبة إنجيل متى ويوحنا إليهما، وأما بطرس والباقون فلهم رسائل، ولم يكن معترفا بصحتها إلى سنة ٣٦٤، حتى إن مجمع نيقية لم يعترف بصحة نسبتها إلى أصحابها، وقد كان سنة ٣٢٥.

وإذا كان سفر الأعمال لم يذكر أسماء العشرين والمائة، ولم يذكر كذلك إنجيل لوقا أسماءهم، فكيف تؤمن برسالة رسل لم تعرف أسماؤهم، نعم كانت تذكر بعد ذلك أسماء أشخاص، ويوصفون بأنهم رسل، ولكن لم يذكر أنهم من العشرين والمائة، ومن المؤكد أن بولس لم يكن في العدد الذي ذكر في الأعمال، ولا في العدد الذي ذكر في إنجيل لوقا.

إذن لا مقنع فيما جاء في سفر الأعمال، ولا في إنجيل لوقا؛ لأنه لم يذكر أسماء هؤلاء معنيين بالاسم، ثم من هو مؤلف سفر الأعمال؟ قالوا إنه لوقا صاحب الإنجيل.

إذن فالمصدر هو لوقا في الاثنين، ولوقا طبيب وقيل إنه مصور، أو هو طبيب مصور، فهل كان من تلاميذ المسيح، أو كان من تلاميذ تلاميذه. لم يثبت شيء من ذلك.

وكل ما ثبت من صلته برجال المسيحية أنه كان من أصحاب أو تلاميذ بولس، وإذن فروايته عن هؤلاء وعن المسيح ليست برواية من شاهد وعاين، وعلى ذلك يكون السند غير متصل بين لوقا والمسيح أو تلاميذ المسيح.

لم نعرف إذن حقيقة هؤلاء الرسل ومن هم بسند صحيح، فضلا عن أن يكون السند قطعيا، وإذا كنا لا نعرف من هم، فكيف نؤمن لهم بمعجزات؟ إن المصدر الذي ذكر المعجزات هو نفس المصدر الذي ذكر الرسل من غير أن يبين من هم، وهو راو لم يعاين ولم يشاهد، وعلى ذلك يكون الكلام في الإلهام وأنهم رسل ملهمون، لم يثبت بسند يصح الاعتماد عليه والاطمئنان إليه وبناء عقيدة تشرق وتغرب على أساسه.

ولكنا لا نكاد ننتهي إلى هذه النتيجة حتى نجد من مجادلي القوم والمناظرين عنهم، من يزعمون أن لوقا نفسه صاحب سفر الأعمال وصاحب الإنجيل، كان من الرسل الملهمين فهو لا يحتاج إلى سند؛ لأن كل كلامه من الروح القدس الذي ملأه كما ملأ إخوانه الرسل. ولكن أين معجزته التي تثبت إلهامه حتى نصدق كل ما جاء في كتابيه، ويؤمن مؤمن "يحترم الإيمان" بكل ما اشتملا عليه، لم يرد عندهم أي شيء يدل على إلهام لوقا،

وأنه كان في العشرين والمائة الذين ألقى فيهم بطرس خطبته وامتلأوا بروح القدس في زعمهم، ولم يكن من السبعين الذين أرسلهم المسيح كما ذكر في إنجيله وأخضعوا الأرواح، وأخبرهم أن أسماءهم كتبت في السماء.

ولسنا في ذلك إلا مطالبين بأن يثبتوا إلهام لوقا، لنصدق بإخباره عن الرسل وأعمالهم وعن إلهامهم وامتلائهم بالروح القدس وإعجازهم، لا يوجد أمامنا أي دليل يثبتون به إلهام لوقا فيما كتب، حتى كنا نصدقه في كلامه عن الرسل الذين تجلى عليهم الروح القدس وامتلأوا به، وإن كنا لا نعرف أشخاصهم ولا شيئا عن أسمائهم وأعمالهم.

بل لقد وجدنا من كتاب القوم الباحثين من يصرح بأن لوقا لم يكن من الملهمين وأن إنجيله لم يكن إلهاميا، وبالأولى رسالته لم تكن بإلهام؛ فقد قال من المحدثين واطسن في المجلد الرابع من كتاب الإلهام ما ترجمته: إن عدم كون تحرير لوقا إلهاميا يظهر مما كتب في ديباجة إنجيله، ونصها: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المستيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به". ومثل هذا القول من أن ما كتب لوقا ليس بإلهام قاله العلماء الأقدمون من المسيحيين، فيقول أرينوس: إن الأشياء تعلمها من بلغها إلينا.

لم يكن إذن لوقا ملهما؛ لأنه لا يوجد دليل يثبت إلهامه، ولأن مقدمة إنجيله كمقدمة رسالته تدل على أنه لم يكن ملهما؛ ولأن الثقات من العلماء الأقدمين والمحدثين يقررون أنه لم يكن ملهما فيما كتب، بل كتب ما تعلم ولقن، لا ما أوحى إليه به وألهم.

وإذا كانت رسالة الأعمال هي المصدر المثبت لإلهام الرسل وامتلائهم بالروح القدس، فيكون ذلك المصدر قد فقد صلاحيته؛ لأنه لم يكن متصل السند بين لوقا والتلاميذ والمسيح؛ ولأن لوقا لم يكن ملهما، وهذا كله على فرض صحة نسبة ما أسند إلى لوقا، وفي تلك الصحة كلام سنثبته في موضعه.

ليس عندنا إذن دليل نقلي عنهم يثبت رسالة من يسمونهم رسلا، ويثبت أنهم كتبوا بالإلهام، حتى يعتبر كلامهم وحيا أوحي به، ويجب تصديقه وقبوله، ولا نجد من الكتب ما يؤيد هذه الدعوى ويثبتها، بل إن راجعنا هذه الكتابات لا نجد أن كتابها يدعون لأنفسهم أنهم رسل، ولا من تلاميذه العشرين والمائة، ولا من السبعين الذين ذكرهم لوقا.

وقد رأينا بطرس في رسالتيه يقدمهما بأنه رسول يسوع المسيح، ولم يذكر لنفسه وصف الرسالة المطلقة عن الله، ولا نجد في عباراتهم ما يدل على أنهم كتبوا بالإلهام إلا رسائل بولس، فهو الذي يذكر في رسالته أنه يتكلم عن الله، وأحيانا يقول إنه يتكلم من نفسه.

وإذن نقول إن أصحاب هذه الكتب والرسائل لا يدعون لأنفسهم الرسالة والإلهام، إلا بولس الذي كانت صلته بالمسيحية على ما علمتم، وليس في كتبها ما يشهد له بالرسالة والإلهام إلا سفر الأعمال، وقد علمت قوة الاستدلال به، والاعتماد عليه في الاحتجاج والإثبات[1].

وبعد أن يعرض المؤلف الإنجيل على محك المقاييس التي سبق وضعها للكتاب السماوي الصحيح، كعدم التضارب، وعدم انقطاع السند، وهو ما ثبت لديه عكسه يقول مجملا القضية ": هذه كلمتنا في كتبهم، تحرينا فيها أن نكتبها كما كتبها المسيحيون، ونوجه من النقد ما وجهوا، وذلك لكي ننصف القوم.

ولقد ألقينا عليها نظرة فاحصة لنوائم بين أخبارها المختلفة ونجمع بين الأقوال المتضاربة، ونشير إلى حكم العقل المستقيم عليها، أهي صالحة لأن تكون مصدر دين يتدين به ألوف الألوف من البشر وأهل العلم؟ أم غير صالحة؟ إن كتاب كل دين هو الأصل والدعامة والأساس، فإذا كان غير صحيح السند أو غير مقبول لدى العقول كان ثبوت الدين فيه نظر، بل إنه انهار، وفقد أصله ولم يعد شيئا في الأديان مذكورا".[2]

أفدين كتابه المقدس بهذه الحالة من جهالة أحوال من يدعون رسله وافتقادهم للوحي والإلهام والإعجاز، وانقطاع سنده واضطراب متنه، وتناقض أقواله، وهزال بعض أفكاره وسخافة بعضها الآخر خاصة فيما يتعلق بمقام الألوهية والنبوة كأنها هلاوس بشر بنصف عقل، فهل دين بهذه الأوصاف يستحق أن يتعبد به بعض الناس، فضلا عن أن يوجب على المؤمنين من أهل الأديان جميعا أن يقرءوا كتابه ويؤمنوا به بوضعه الحالي، ومضمونه المحرف المتهافت؟

إذن بنينا موقفنا الرافض لهذا الطلب، المتمثل في الدعوة إلى قراءة الإنجيل الحالي والإيمان به، على أنه محرف وليس باقيا على أصله السماوي الصحيح.

وإن ما يحتجّ به النصارى على استحالة التحريف في كتبهم بثناء القرآن عليها وتعظيمه لها، فنقول: القرآن أثنى على كتبكم نعم، والإنجيل فيه هدى ونور نعم أيضا، ومحمدﷺ صدق ما قبله من الكتب، ومن جاء من الرسل نعم، كل هذا حق وصدق والقرآن ذكر ذلك، **ولكن أراد الكتب التي لم تحرف ولم تبدل،** فالقرآن أثنى على توراتهم وإنجيلهم قبل التحريف، وعلى من بقي إلى عهد محمدﷺ على نفس الدين الصحيح الذي جاء من عند الله، أما الكتب بعد التحريف والتبديل، فليس لها اعتبار في الإسلام، ولا تدل الآيات التي استشهدوا بها على أن كتبهم صحيحة، وغير محرفة، كيف وقد ثبت فعلا أنها محرفة وشهد القرآن عليها بذلك صراحة في قوله سبحانه وتعالى: {يحرفون الكلم عن مواضعه} (المائدة: ١٣)، وغيرها من الآيات، وقد بين الله أنه أنزل هذا القرآن مهيمنا على ما بين يديه من الكتب.

وليس المسلمون وحدهم هم الذين يقولون بوقوع التحريف في كتب أهل الكتاب عامة، وكتب النصارى خاصة، بل إن المسيحيين أنفسهم شهدوا على ذلك، ومنهم من هداه الله للإسلام، ومنهم من بقي على مسيحيته رغم اعترافه بالتحريف في كتبهم، يقول هورن: الحالات التي وصلت إلينا في بادئ زمان تأليف

---

[1] – محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، د. ت، ص٧١ وما بعدها.
[2] – محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، د. ت، ص٩٠.

الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة (بتراء) غير معينة، لا توصلنا إلى أمر معين، والمشايخ الأقدمون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها، وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم تعظيما لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر، وتعذر نقدها بعد انقضاء المدة.

وهذا أيضا اعتراف آخر، من أحد كبار المؤرخين المسيحيين، وهو ول ديورانت الذي يعترف صراحة بالتحريف في كتبهم، وخصوصا العهد الجديد، لا سيما الأناجيل، فيقول: وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة، إلى القرن الثالث، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ٦٠، ١٢٠م، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضا لتحريف مقصود.. وملاك القول أن ثمة تناقضا كثيرا، بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطا تاريخية مشكوكا في صحتها، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة، والشبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيين، وكثيرا من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها، تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس من طقوسها.

ويقول المسيو ايتين دينيه في كتابه "أشعة خاصة بنور الإسلام" ما نصه: "أما أن الله قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه، فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر، ولم يبق له أثر، وبعض علماء المسيحية يرون أن أناجيلهم ما هي إلا كتب أدبية أكثر منها دينية، يقول ول ديورانت في ذلك: نقيس الآداب المسيحية في القرن الثاني بالأناجيل والرسائل والرؤى والأعمال.

لكننا مع ذلك نرى أنها ليست أدبية بالمعنى الصحيح، بل هي أدب مفكك تنقصه الاستمرارية، وتتضح فيه التناقضات، وفي ذلك يقول د. موريس بوكاي: اللمحة العامة التي أعطيناها عن الأناجيل، والتي استخرجناها من الدراسة النقدية للنصوص، تقود إلى اكتساب مفهوم أدب مفكك تفتقر خطبه إلى الاستمرار، وتبدو تناقضاته غير قابلة للحل.

فهذه الأناجيل بشهادة المسيحيين أنفسهم ليست كتبا مقدسة وإنما هي كتب أدبية، بلغ أدبها من الركاكة والتفكك مبلغا كبيرا.

يقول شارل دني بير: وتصفح الأناجيل وحده يكفي بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض، لنفس الأحداث والأحاديث، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية، ولم يستلهموا تاريخا ثابتا، يفرض تسلسل حوادثه عليهم، بل على العكس من ذلك اتبع كل هواه وخطته الخاصة في ترتيب وتنسيق مؤلفه.

وبعد هذا الذي قدمناه من شهادات علماء الأديان من المسلمين، وكذلك شهادات المسيحيين أنفسهم، يمكننا القطع بأنه من الخطأ الكبير أن نعتبر أسفار الكتاب المقدس الموجودة حاليا كتبا سماوية بالمعنى الصحيح؛ فليست إلا من وضع كاتبيها، ولم يحفظوا فيها من الكتب السماوية الحقيقية إلا النادر القليل كما شاء الله إذا قيس إلى ما أثبتوه فيها من تحريفات وتناقضات ومبتدعات" [1].

[1] – موقف ابن تيمية من النصرانية، د. مريم عبد الرحمن زامل، معهد البحوث، جامعة أم القرى، الرياض، ط١، ١٩٩٧م، ص١٢٤ وما بعدها.

هذا، ولم يقتصر التحريف على العهود الغابرة، بل امتد للعصر الحاضر على يد الصهاينة، يقول الأستاذ أحمد عبد الوهاب: "رأينا فيما سبق أن العقيدة الصهيونية التي تدعو اليهود للسيطرة على العالم، والتحكم في مقدراته، قد حددت وسائلها لتنفيذ ذلك المخطط الصهيوني الرهيب.

ومن أخطر هذه الوسائل ما يتعلق بالخطة الخاصة بهدم العقائد الدينية، والتشكيك فيها عن طريق العبث بتراثها الديني وكتبها المقدسة، ولما كان المؤتمر الديني العالمي الذي عقد بالفاتيكان في الستينيات من هذا القرن، قد أقر بعد مجادلات وانقسامات لأسباب مختلفة ما أصبح يعرف باسم "وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح"، فقد أثبتت تلك الوثيقة صدق توقعات معارضيها، من رجال الدين المسيحي، فقد كان رأي أولئك العلماء أن اعتراف المسيحية بما جاء بوثيقة التبرئة إنما يعني بالضرورة إعادة كتابة الأناجيل والأسفار المسيحية المقدسة، حتى تتطابق عقائد الكنيسة في القرن العشرين مع عقائدها في القرن الأول للمسيحية.

وهذا ما حدث بالفعل، فقد تكفلت إسرائيل التي تمثل تجسيد العقيدة الصهيونية بذلك، فقامت بإعادة كتابة الأناجيل والرسائل المقدسة وحرفتها بأن غيرت فيها، وبدلت؛ حتى تقترب في صورتها المحرفة مع ما جاء في وثيقة التبرئة. ولقد صدرت هذه الطبعة المحرفة لأسفار العهد الجديد عن "دار النشر اليهودية" بالقدس في عام ١٩٧٠م، وتقوم بتوزيع نسختها الإنجليزية التي نعتمد عليها في هذه الدراسة وكالة ريد بلندن.

تقول مقدمة الترجمة المحرفة لأسفار العهد الجديد أو ما سوف نصطلح على تسميتها باسم "النسخة الإسرائيلية" وذلك للتمييز بينها وبين الترجمة المسيحية المعتمدة التي سنشير إليها باسم النسخة المعتمدة ما يلي: إن هذه الترجمة اليهودية والمعتمدة للعهد الجديد يمكن وصفها بأنها: العهد الجديد خاليا من معاداة السامية.

إن التعديلات التي أدخلت هنا على ترجمة عام ١٦١١م الإنجليزية المعتمدة، يمكن إثباتها من المصادر الأولى، وقد اختيرت جميعها لهدف واحد هو: التخلص بقدر ما تسمح به الحقيقة مما تحويه تلك الكلمة النكدة والتي تهدف إلى بذر العداوة بين المسيحيين واليهود.

إن تعاليم العهد الجديد الحقيقي تتضمن المحبة، بدلا من تلك الكراهية القاتلة، وعلى هذا الأساس فإن هذه الترجمة اليهودية يحق لها أن يقال بأنها الترجمة المسيحية الصادقة، وفيما عدا ذلك من تعديلات، فإن نصوص هذه الترجمة تبقى كما هي في ترجمة ١٦١١م، ولتجنب أي لبس فإن الحواشي المذكورة في نهاية الصفحات تبين في كل لحظة موضع الانحراف الذي حدث للترجمة المعتمدة، بحيث يمكن القول بأن هذا الكتاب يعتمد على الترجمة المعتمدة والترجمة اليهودية على السواء. إن هذه الترجمة تمثل إعلانا تأخر كثيرا عن موعده للتقارب بين المسيحية واليهودية.

من هذا يتبين لنا بوضوح نظرة الترجمة الإسرائيلية المحرفة لمحتويات العهد الجديد الذي قبلته الكنيسة وعلمت به وعملت من أجله طوال تسعة عشر قرنا مضت، كذلك تتحدد الخطة العامة للتحريف التي يستطيع القارئ حين يتصفح النسخة الإسرائيلية المحرفة أن يقرر أنها قد سارت على النحو الآتي:

– محو كلمة "اليهود" من أسفار العهد الجديد وهي الكلمة التي تكرر ذكرها ١٥٩ مرة ثم استبدال كلمات مختلفة بها؛ في محاولة لتمييع المسئولية التي تكون قد علقت باليهود من جراء قول أو فعل نسبته إليهم

تلك الأسفار، لذلك نجد كلمة "اليهود" قد محيت ثم استبدلت بها كلمات أخرى؛ مثل: مواطني ولاية اليهودية، وفيهم اليهود وغير اليهود، وهؤلاء قد أطلق عليهم "أهل اليهودية".

– محو ما يتعلق بالشعب اليهودي باعتباره جماعة دينية ترتبط بـ "الناموس" و "المجمع" ويقوم على رأسها "الشيوخ"، و "رؤساء الكهنة" وتعرف بينها طوائف "الفريسيين" وجماعة "اللاويين"، ففي النسخة الإسرائيلية المحرفة نجد "الناموس" قد استبدل به "الكتاب المقدس"، واستبدل بالمجمع "الحكمة"، وبالشيوخ "المتشرعين، " وبرؤساء الكهنة "القسس والكهنة"، وبالفريسيين "المنعزلين" وباللاويين "المساعدين، "كذلك استبدل بمشيخة الشعب اليهودي "مثيري الرعاع"، وبالجمع أو الجميع أو المجموع من اليهود الغوغاء أو الرعاع، و "بخدام اليهود" الخدام، فقط مع إسقاط كلمة "اليهودية".

– التخلص من كلمة "الصلب" وما يشتق منها، وذلك بتحريفها إلى كلمات أخرى قد تقترب منها في المعنى، أو لا تقترب على الإطلاق؛ مثل استبدالهم بكلمة "اصلبه" كلمات أخرى؛ نحو: "خذه" أو "أبعده"، أو "انفه"، أو "اشنقه".

–تجنب كلمة القتل وما يشتق منها، وذلك باستبدال كلمات أقل حدة بها؛ ككلمات: يدين أو ينفي أو يأخذ أو يضايق أو ينكر أو يقاوم.

– محو الفقرات التي تلقى مسئولية دم يسوع على اليهود وأولادهم من بعدهم، واستبدال فقرات أخرى بها تحمل المصلوب وزر دمه المراق.

–تحميل الرومان مسئولية حادثة الصلب بعد تخليص اليهود منه، وذلك بتحريف الفقرات التي تلصق تلك المسئولية باليهود، أو بالشعب اليهودي، وإلصاقها بالحاكم الروماني بيلاطس، رغم ما تقرره أسفار العهد الجديد بوضوح لا يحتمل اللبس من أن بيلاطس حاول إنقاذ يسوع، وإطلاق سراحه، هدية من السلطة الرومانية الحاكمة للشعب اليهودي في عيده، فلم يصلح حتى اضطر إلى أن أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا: إني بريء من دم هذا البار.

–تحريف الفقرات التي خاطب بها تلاميذ المسيح اليهود مباشرة، وأدانوهم فيها لمواقفهم الإجرامية من المسيح، وذلك بتحويلها من صيغة ضمير المخاطب الحاضر إلى صيغة ضمير الغائب، فاستبدل بالضمير "أنتم"؛ الضمير "هو" حتى تضيع المسئولية في تحديد من "هم".

هذا، ولسوف نعرض فيما يلي عينات ونماذج لما أصاب أسفار العهد الجديد من تحريف على يد المحرفين الإسرائيليين، وقد بلغت جملتها ٦٣٦ تحريفا، مع الإشارة إلى أن الأعداد التي تبين مقدار ما أصاب أي سفر من التحريف قد أحصيت من الهوامش المذكورة في النسخة الإسرائيلية المحرفة، وهي لذلك تعتمد على أمانة القائمين على التحريف في رصد تلك الحواشي، إن كان لهم بقية من أمانة يمكن الإشارة إليها في حديث.

ثم يورد الأستاذ أحمد عبد الوهاب نماذج التحريف، التي نقتبس منها ما يلي:

١. تشتمل الترجمة المحرفة لإنجيل متى على ٩١ تحريفا موزعة على إصحاحاته الثماني والعشرين، لكن أكثر هذه التحريفات وأخطرها هو ما حدث للإصحاحات الأخيرة، وخاصة الإصحاح السادس والعشرين والإصحاح السابع والعشرين، وهما اللذان يرويان أحداث الصلب، وما سبقها من دسائس ومؤامرات وفيما يلي نماذج لبعض ما عاناه هذا الإنجيل من تحريف.

تقول النسخة المعتمدة: "ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام هيرودس الملك، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له". (متى٢: ١، ٢). وفي هذا تقول النسخة الإسرائيلية: "قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهودية". ونقرأ في النسخة المعتمدة: "ولكن احذروا من الناس، لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس، وفي مجامعهم يجلدونكم ". (متى١٠: ١٧). وهذه تقرأ في النسخة الإسرائيلية: "وفي محاكمهم يجلدونكم".

وتقول النسخة المعتمدة: "من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم ". (متى١٦: ٢١). وهذه يناظرها في النسخة الإسرائيلية: "يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرا من المتشرعين الكهنة والكتبة".

وفي نذير المسيح إلى الكتبة والفريسيين – فرق يهودية – تقول النسخة المعتمدة: "أيها الحيات أولاد الأفاعي! كيف تهربون من دينونة جهنم؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة". (متى٢٣: ٣٣، ٣٤). لكن النسخة الإسرائيلية تحاول الهرب من كلمة "الصلب" ولذلك تقول: "ها أنا أرسل إليكم أنبياء، فمنهم تقتلون وتشنقون، ومنهم تجلدون في محاكمكم".

ولما قررت العصابة التي تحكم الشعب اليهودي التخلص من المسيح، تجد النسخة المعتمدة تقول: "حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا، وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه". (متى٢٦: ٣، ٤). لكن النسخة الإسرائيلية تحاول التخفيف من هدف المؤامرة على المسيح فتحرف كلمة القتل إلى النفي أو الإبعاد، ولذلك نقرأ فيها الفقرة السابقة هكذا: "وتشاوروا لكي يمسكوا بيسوع بمكر وينفوه".

لقد تظاهر جمع كثير من الشعب اليهودي ضد المسيح ساعين للقبض عليه توطئة لقتله. وفي هذا تقول النسخة المعتمدة: "وفيما هو يتكلم، إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلا: الذي أقبله هو هو. أمسكوه". (متى ٢٦: ٤٧، ٤٨).

ولما كانت النسخة المعتمدة تقرر أن تلك الجموع الثائرة ضد المسيح هي جموع يهودية كانت تلتقي به في الهيكل وتستمع إلى تعليمه، وذلك حين تقول: "في تلك الساعة قال يسوع للجموع: كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني! كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل ولم تمسكوني". (متى٢٦: ٥٥).

لذلك لجأت النسخة الإسرائيلية – في محاولة لتمييع القضية ومنع تحديد المسئولية – إلى استبدال كلمة "رعاع" بكلمة "جمع" مع إسقاط كل ما يشير إلى أن هذا الجمع الكثير من الشعب اليهودي، قد جاء من عند قادته، وذلك بحذف الفقرة التي تقول: "من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب"، وبهذا صارت النسخة الإسرائيلية تقرأ هكذا: "وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه رعاع كثير بسيوف وعصي، والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلا: الذي أقبل هو هو، أمسكوه".

ونحن نأتي إلى المثل الأخير لما أصاب إنجيل متى من تحريف، فإننا نأتي كذلك إلى بيت القصيد الذي من أجله نسجت ولا تزال تنسج إلى الآن المؤامرات الدينية والسياسية، ألا وهو تقرير أن دم يسوع يتحمل إثمه يسوع نفسه وليس أحد سواه، ولئن صح ذلك فلا بد أن تزول عن اليهود، وعن أولادهم من بعدهم كل مسئولية تتعلق بتلك الجريمة النكراء، وما على العالم المسيحي بعد هذا التحريف إلا أن يبكي على المآسي والنكبات التي ذاقتها اليهود من جراء خطيئة تقرر خطأ منذ ما يقرب من ألفي عام تحميلهم تبعتها!!

ففي محاولة من الوالي الروماني لفك أسر يسوع وتخليصه من القتل، تذكر النسخة المعتمدة ما جرى بينه وبين اليهود من محاولات كان آخرها حين قال الوالي: "وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين: «ليصلب!» فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا، بل بالحري يحدث شغب، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا: «إني بريء من دم هذا البار! أبصروا أنتم!». فأجاب جميع الشعب وقالوا: «دمه علينا وعلى أولادنا». حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب". (متى٢٧: ٢٣ – ٢٦). أما النسخة الإسرائيلية فإنها تقول: "قال الوالي: وأي شر عمل، فكانوا يزدادون صراخا قائلين: ليمت، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بالحري يحدث شغبا، أخذ ماء وغسل يديه قدام الرعاع، قائلا: إني بريء من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب الرعاع وقالوا: دمه عليه".

٢. وبلغت تحريفات إنجيل مرقس ٥٢ تحريفا، وكما حدث لإنجيل متى فقد تركزت هذه التحريفات في كل ما يتعلق بأحداث الصلب، وفيما يلي عرض لبعض منها:

تقول النسخة المعتمدة: "وكانوا في الطريق صاعدين إلى أورشليم ويتقدمهم يسوع، وكانوا يتحيرون. وفيما هم يتبعون كانوا يخافون. فأخذ الاثنى عشر أيضا وابتدأ يقول لهم عما سيحدث له: ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم". (مرقس١٠: ٣٢، ٣٣). لكن النسخة الإسرائيلية خففت الحكم بالموت، وجعلته مجرد إدانة، وفي هذا تقول: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى الكهنة والكتبة فيدينونه".

٣. وبلغت تحريفات إنجيل لوقا ٧٣ تحريفا أدخل أغلبها على قصة الصلب؛ بهدف إبعاد المسئولية عن اليهود، وإلقاء الشبهة على رعاع ذلك الشعب والطبقة الدنيا منه، مع بيان أن ثورة أولئك الرعاع ضد المسيح لم تكن تبغي صلبه، وإنما كانت تطالب بإبعاده أو التخلص منه بصورة أو بأخرى. وفيما يلي عرض لبعض ما تقوله كل من النسختين – المعتمدة والإسرائيلية – في هذا المجال.

تقول النسخة المعتمدة: "وقرب عيد الفطير، الذي يقال له الفصح. وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه، لأنهم خافوا الشعب". (لوقا ٢٢: ١، ٢). وتقول النسخة الإسرائيلية: "وكان الكهنة والكتبة يطلبون كيف يضايقونه". وفي بدء أحداث الصلب، تقول النسخة المعتمدة: "وبينما هو يتكلم إذا جمع، والذي يدعي يهوذا، أحد الاثنى عشر، يتقدمهم، فدنا من يسوع ليقبله". (لوقا ٢٢: ٤٧). وتقول النسخة الإسرائيلية: "وبينما هو يتكلم إذا رعاع والذي يدعي يهوذا"، وتقول النسخة المعتمدة: "ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب: رؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم". (لوقا ٢٢: ٦٦). بينما تقول النسخة الإسرائيلية: "ولما كان النهار اجتمع مثيرو الرعاع والكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم". ونقرأ في النسخة المعتمدة: "فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس". (لوقا ٢٣: ١). بينما تقرأ ذلك في النسخة الإسرائيلية: "فقام كل رعاعهم، وجاءوا به إلى بيلاطس".

٤. ويعد إنجيل يوحنا أكثر الأناجيل تحريفا، فقد بلغت جملة تحريفاته ١٣٥، وما ذلك إلا لأن الخط العام الذي سار عليه المحرفون هو محو كلمة "اليهود" التي تكررت فيه ١٥٣ مرة، وهو رقم يزيد عن عشرة أمثال ورودها في أي من الأناجيل الثلاثة السابقة؛ لذلك فاز إنجيل يوحنا بأكبر عدد من التحاريف. وفيما يلي عرض لبعض ما تذكره كل من النسختين – المعتمدة والإسرائيلية – في مختلف المواقف والروايات:

تقول النسخة المعتمدة: "وهذه هي شهادة يوحنا، حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: «من أنت؟». فاعترف ولم ينكر، وأقر: «إني لست أنا المسيح»". (يوحنا ١: ١٩، ٢٠). وتقول النسخة الإسرائيلية: "وكان الفصح اليهودي قريبا، فصعد يسوع إلى أورشليم". وتقول النسخة المعتمدة: "كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس، رئيس لليهود". (يوحنا ٣: ١). وتقول النسخة الإسرائيلية: "كان إنسان من المنعزلين اسمه نيقوديموس رئيسا للعبريين".

وحين شفي المسيح مريضا في السبت، تقول النسخة المعتمدة: "ولهذا كان اليهود يطردون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه، لأنه عمل هذا في سبت. فأجابهم يسوع: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل». فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضا: إن الله أبوه، معادلا نفسه بالله". (يوحنا ٥: ١٦. ١٨). لكن النسخة الإسرائيلية تقول في ذلك: "لهذا كان أهل اليهودية يطردون يسوع ويطلبون أن يضايقوه؛ لأنه عمل هذا في السبت، فمن أجل هذا كان أهل اليهودية يطلبون أكثر، أن يضايقوه".

كذلك تقول النسخة المعتمدة: "وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل، لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه". (يوحنا ٧: ١). بينما تقول النسخة الإسرائيلية: "وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل؛ لأنه لم يرد أن يتردد في ولاية اليهودية؛ لأن أهل اليهودية كانوا يطلبون أن يضايقوه".

٥. وأصيب سفر أعمال الرسل بأكبر عدد من التحريفات، فقد بلغت جملتها ١٦٥ تحريفا، وترجع الزيادة في هذا الرقم لنفس السبب الذي ذكر عند الكلام على التحريف في إنجيل يوحنا، ألا وهو كثرة ذكر هذا السفر لكلمة "اليهود"، فقد تكررت ٦٤ مرة، بالإضافة إلى سرده للمحاورات والمواجهات التي حدثت بين

تلاميذ المسيح وبين اليهود، وما تطلبه ذلك من تسجيل هذا السفر لما كان يوجه من كلام إلى اليهود بطريق مباشر، أو ما كان يقال عنهم، بطريق غير مباشر.

تقول النسخة المعتمدة: "فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم: أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون، ليكن هذا معلوما عندكم وأصغوا إلى كلامي... أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضا تعلمون. هذا أخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه". (أعمال الرسل ٢: ١٤. ٢٣). لكن النسخة الإسرائيلية تقذف بهذا الاتهام الصريح بعيدا عن الإسرائيليين وتلصقه بكل جرأة بالرومان، وذلك حين تقول: "وقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال: هذا أخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وقد صلبته أيدي الرومان وقتلته".

واستمرارا لحديث بطرس السابق إلى الإسرائيليين، تقول النسخة المعتمدة: "فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا، الذي صلبتموه أنتم، ربا ومسيحا". (أعمال الرسل ٢: ٣٦). بينما تقول النسخة الإسرائيلية: "ليعلم يقينا أن الله جعل يسوع هذا المصلوب، ربا ومسيحا".([1])

هل بعد كل هذا لا يزال هناك موضع ومبرر لعاقل يحترم عقول الناس وأفهامهم لأن يدعوهم إلى تقديس الإنجيل بوضعه الحالي والتبرك بقراءته؟!! صدق من قال: اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس، وربما تصدق أنت نفسك من طول تعهدك الكذب وإلفك إياه.

يا الله يا حي يا قيوم يا واهب الإنسان العقل ومكرم بني آدم به من بين خلقك، أهذا مضمون كتاب فيه ما فيه من دس وتحريف وخداع وتمويه يستحق أن ينسب لبشر عاقل. فضلا عن أن يعد كتابا سماويا مقدسا يستأهل من الناس التقديس والاحترام، أم هو مجرد إثبات وجود، وحفاظ على مكاسب، تحققت لفئة من السدنة عبر التاريخ؟!!

ثالثا. الإنجيل الصحيح بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا خاتما وبالقرآن ناسخا:

لو كان الإنجيل حقا بحالته الآن سليما من عبث العابثين ويستحق التقديس، لآمن أهله بمحمدﷺ نبيا خاتما ورحمة للعالمين، وبالقرآن كتابا سماويا مهيمنا على ما سبقه من رسالات السماء، وناسخا لما نزل قبله من كتب وصحائف كما في البشارة عندهم بذلك، وهذا ما لم تستطع يد التحريف إخفاءه إخفاء تاما.

تحت عنوان "ابن الإنسان من هو" يقول الأستاذ محمد فاروق الزين:

تكررت الإشارة إلى ابن الإنسان في العهد الجديد نحو ثلاث وثمانين مرة في الكلام المنسوب إلى عيسى، فمن هو ابن الإنسان الذي كان يقصده عيسى في كلامه؟ ورد في سفر المزامير بالعهد القديم أنه ابن آدم؛ أي بني آدم، كما يقول مجازا عن جنس البشر؛ ففيه: "فمن هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟

[1] – إسرائيل حرفت الأناجيل، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م، ص٤١ وما بعدها.

وتنقصه قليلا عن الملائكة، وبمجد وبهاء تكلله. تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه: الغنم والبقر جميعا، وبهائم البر أيضا، وطيور السماء، وسمك البحر السالك في سبل المياه". (المزامير ٨: ٤. ٨).

غير أن هنالك تعريفا محددا لابن الإنسان ورد في سفر دانيال بالعهد القديم: "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه. فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة". (دانيال ٧: ١٣، ١٤).

وهذا التعريف هو الأساس لفهم شخص ابن الإنسان في الكتاب المقدس، فهو المنقذ من الضلال المخلص، الذي يغير عند مجيئه الأوضاع القائمة.

وعموما، فإننا نجد تركيزا في تعاليم اليهود، وكتبهم ونبوءاتهم على مجيء النبي المنقذ، الذي بزعمهم يجب أن يكون من سلالة داود النبي الملك، وأنه عند مجيئه سوف يحرر اليهود من مضطهديهم؛ لأن ظفر المنقذ بوصفه نبيا قائدا سيكون دنيويا دينيا في الوقت نفسه.

أما معلقو الكنيسة فيودون إعطاء الانطباع المباشر أو غير المباشر، أن عيسى في أحاديثه المتكررة عن ابن الإنسان كان يشير إلى نفسه من طرف خفي، هذا على الرغم من أنه كان على ابن الإنسان المنقذ عند مجيئه، أن يفكك الأوضاع والأنظمة القائمة، وينشئ مكانها نظاما جديدا يكون فيه ابن الإنسان منقذا نبيا ملكا، أي ذا سلطة دنيوية، وليست سلطته سلطة دينية فقط، فالمفترض أن تنهار عند مجيئه السلطات الدنيوية بكل ما فيها من شرك ومن وثنية، وبكل ما فيها من إباحية لا أخلاقية وإباحية جنسية. ومن الواضح أنه خلافا لتوقعات العامة لم يتحقق شيء من ذلك في زمن عيسى، ولا حتى في زمن أتباعه فاليهود الذين كانوا وقتها يمثلون الديانة التوحيدية الوحيدة لم يحققوا النصر على إمبراطورية روما، مع أنهم كانوا يتطلعون إلى قدوم المخلص المنتظر؛ كي ينقذهم من جيوش روما ومن إمبراطوريتها.

ومع ذلك تلهف مؤلفو أسفار العهد الجديد على تصوير عيسى المسيح بأنه ابن الإنسان المنقذ المظفر، لدرجة أنهم ابتدعوا في قصة دخوله الأخير إلى القدس لقبا مصطنعا محيرا ومربكا؛ إذ أطلقوا عليه صفة "الدخول المظفر إلى القدس". (يوحنا ٦: ١٠).

رغم أن دخول عيسى إلى القدس، لم يكن له علاقة بأي ظفر ولا نوايا من جانبه لقيادة اليهود ضد إمبراطورية روما، ولا إنشاء نظام سياسي جديد، ولا القيام بأي مهمة من المهام المفترض على ابن الإنسان أن ينجزها. وإذا لم يكن ممكنا الادعاء أن المسيح هو ابن الإنسان الذي تنبأ به دانيال، لذا فقد اللقب في أذهان مؤلفي الأسفار أي مفهوم وأي مغزى عسكري له، وبالتالي حاولوا تجريده من أي مغزى أو دلالة سلطة دنيوية، وحولوه إلى مفهوم رمزي داخلي بحت، فأصبح اللقب عندهم رمزيا بحتا مختلفا عن صلة النبي ذي السلطة الدنيوية المشار له في سفر دانيال، وقد وجد بولس لنفسه المخرج من هذه المعضلة بأن دخل في روعه أن المسيح في مجيئه المظفر الثاني سوف يحقق ما لم يستطع تحقيقه في المجيء الأول، وبحيث تطابق أوصافه في المجيء الثاني ما تنبأ به دانيال لابن الإنسان من القوة والسلطان والمجد، وزاد بولس أن المجيء الثاني لن يكون في المستقبل البعيد بل قريبا جدا، قبل أن تدرك المنية بولس الثاني.

غير أن عيسى في أحاديثه كان يتكلم عن ابن الإنسان دوما بصيغة الغائب مشيرا بشكل خفي إلى شخص آخر غيره هو شخصيا، وهذه الصيغة وحدها هي التي يمكن أن تجعل أحاديثه منطقية، ولا بد أنه كان يشير إلى النبي الأحمد، خاتم الأنبياء والرسل لأنه في هذه الحالة فقط تتحقق النبوءة عن ابن الإنسان المذكورة في سفر دانيال، إذ محمد وحده حقق صفة النبي ذي السلطة الدنيوية، فجمع بين صفات النبوة والدين والتقى، وصفات السلطة الدنيوية والقوة الظافرة.

أجاب عيسى عن سؤال رسل يحيى قائلا لهم: فأجاب يسوع وقال لهما: «اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران: العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون». (متى ١١: ٤، ٥).

غير أن يحيى كان يدرك ولا شك أن هذه المعجزات الخارقة، مهما كانت باهرة، ليست كل ما هو متوقع من النبي المنتظر، كان سؤال يحيى ليس واضحا كل الوضوح: **هل أنت ذلك النبي أو لا؟** هل أنت المنقذ المخلص؟ هل أنت النبي المنتظر ذو السلطة الدينية والدنيوية معا؟ وكان جواب عيسى بدوره واضحا في مغزاه: المسيح النبي ولكني لست المنقذ المخلص، لست النبي المنتظر ذا السلطة الدنيوية.

لقد نفى عيسى بكل وضوح أن يكون هو المخلص وفي الواقع لو كان يحيى يعتقد أن عيسى هو النبي المخلص حقا لما اضطر إلى سؤاله، ولكنه كان يتوقع ويأمل أن يكون عيسى شخصا أكثر من المسيح، كان يتمنى لو كان عيسى هو النبي المنتظر ذا السلطة الدينية والدنيوية معا، ولم يكن يحيى وحده الذي يحتضن هذا الأمل والرجاء، حتى الحواريون أنفسهم بدا عليهم الالتباس، مع أن عيسى كان يؤكد لهم باستمرار وفي أكثر من مناسبة وبلباقة، ويعرض لهم ألا يتوقعوا منه القيام بالدور الذي لم يكن مقدرا له أن يلعبه، الدور الذي كان مقدرا لغيره، كان طبيعيا ألا يقوم عيسى بمهام المخلص؛ لأنه هو نفسه لم يكن المخلص، لقد علم عيسى الناس أن يقبلوا ويتحملوا الاضطهاد، أن يقبلوا الأوضاع الراهنة، علمهم الحلم والخضوع والتوبة والاستقامة، وأن يسعوا وينشدوا مملكة الله القادمة، إذ لم يكن عصره جاهزا لقيام مملكة الله على الأرض التي يعبد فيها الله وحده والتي تمحى منها الأوثان والوثنية. كان عيسى في صلواته يدعو الله قائلا: "ليأت ملكوتك" وكان تعبير "مملكة الله" مألوفا في العهد القديم، ولا شك أن عيسى علم أتباعه أن مملكة الله سوف تتحقق فعلا لا مجازا، ولكن ليس في زمنه هو.

كان عيسى يعلم أنه بصفته المسيح يستطيع أن يجترح المعجزات، أما النبي المنتظر فكان يتوقع منه غير ذلك، النبي المنتظر يجب أن يكون ابن الإنسان المذكور في سفر دانيال، النبي المخلص الذي يفتتح عصرا جديدا في تاريخ البشرية، الذي يقهر أعداءه ويقضي على الشرك والوثنية، وينشئ مملكة الله على الأرض التي لا يعبد فيها إلا الله عز وجل، إنه النبي الأحمد العلم الذي بشر به عيسى بالاسم، وكان مقدرا له أن يبعث بعده بستة قرون.

في بداية بعثته اتخذ عيسى لنفسه مقرا في "كفر ناحوم" وهي قرية على الشاطئ الشمالي لبحر الجليل بحيرة طبريا سكانها خليط من الأهالي والرومان والرسميين من الحكام، فلم تكن القرية من هذه الناحية مناسبة لمتمرد أو لثائر أن يتخذها مقرا له، بل على العكس كانت مناسبة لمن أراد التهدئة والدعوة إلى ضبط النفس.

لم يدع عيسى قط أنه النبي المنقذ، إذ لم يكن مقدرا له إنقاذ شعبه من إمبراطورية روما ولا إعادة بناء مملكة داود، وهو طيلة مدة بعثته القصيرة لم يبد من جانبه أدنى ملاحظة أو تلميح في خطاباته وأحاديثه، ولا في أفعاله وتخطيطه لما يوحي بأي دلالة يمكن أن يفهم منها أنه النبي المنقذ، وهو لهذا السبب بالذات تجنب أن يدعو الناس للمواجهة، بل على النقيض من ذلك نرى كل تعاليمه تتركز على المسالمة والتهدئة، وخاصة عند لقائه مع ثوار الجليل، ومع المتحمسين لطرد الرومان من فلسطين، فكان يحذرهم مرة بعد أخرى من الثورة والعصيان المسلح، ومن أقواله: "أحب عدوك ولا تجابه الشر" و "من صفعك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر، ومن أكرهك على السير معه ميلا سر معه ميلين".

لقد أنذر اليهود صراحة وعمدا ألا يسلكوا سبيل العنف، والثورة ولا الرد على الشر بالمثل.

ولا يمكن أن يفوتنا في أحاديث عيسى وخطاباته إنكاره المتكرر لمن اعتقد فيه شخصية المنقذ. وفي حادثة مهمة من هذا القبيل حاول تهدئة مجموعة من الثوار قوامها نحو خمسة آلاف تبعوه إلى الجليل؛ كي يجعلوا منه قائدا لهم، معتقدين أنه النبي المنقذ، وهي الحادثة التي قام خلالها بمعجزة أرغفة الخبز؛ ففي إنجيل يوحنا: "فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعا كثيرا مقبل إليه، فقال لفيلبس: «من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء؟» وإنما قال هذا ليمتحنه، لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل. أجابه فيلبس: «لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيرا». قال له واحد من تلاميذه، وهو أندراوس أخو سمعان بطرس: «هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء؟» فقال يسوع: «اجعلوا الناس يتكئون». وكان في المكان عشب كثير، فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف. وأخذ يسوع الأرغفة وشكر، ووزع على التلاميذ، والتلاميذ أعطوا المتكئين. وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا. فلما شبعوا، قال لتلاميذه: «اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء». فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر، من خمسة أرغفة الشعير، التي فضلت عن الآكلين. فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم". (يوحنا ٦: ٥ – ١٤).

ومغزى هذه القصة شديد الأهمية، ويتمحور حول قول عيسى للثوار اليهود "ليجلس الرجال"؛ فقد كان هناك مغزى عملي في كلامه شديد الوضوح، لقد أنذر الرجال كي لا يستولي عليهم الوهم، بأن الوقت قد حان لثورة أخرى ضد روما، وكي لا يظنوا أن عيسى جاءهم قائدا عسكريا، أو منقذا لهم من الاضطهاد، فأمرهم أن يجلسوا وأطعمهم من خمسة أرغفة، وسمكتين، أرادهم أن يفهموا أن الوقت لم يحن بعد لمجيء النبي المخلص، وأفهمهم ألا يسلكوا طريق العنف؛ لأنه لا يفيدهم سوى الدمار، وبينما هو يعظهم بمملكة الله القادمة التي لم يكن مقدرا له أن يقودها، كانوا بالمقابل لشدة حماسهم يتوقون أن يكون هو منقذهم ومخلصهم، يتشوقون أن

يقودهم ضد إمبراطورية روما دون انتظار، لقد سيطر عليهم الوهم بأنه النبي المنتظر، وهو ما أراد عيسى نفسه أن ينفيه عن نفسه.

كانت رسالته إلى بني إسرائيل مختصرة ومفهومه، قال لهم: "ليجلس الرجال"، فلم يكن عيسى المخلص، ولم يدّع أنه المخلص، لقد بشرهم بمملكة الله التي سوف تنشأ في المستقبل، ومن هنا فقط نستطيع أن نفهم دعاءه المتكرر في الصلاة "ليأت ملكوتك" بصيغة المستقبل.

كانت مجموعة الرجال التي حاول عيسى تهدئتها في الجليل نموذجا لشعب إسرائيل المتمرد، ولشدة عنادهم لم يفهموا الرسالة، ولم يستوعبوا كلام عيسى، ولا المغزى من معجزة أرغفة الخبز، وربما فهموا النقيض من ذلك؛ إذ قالوا: "فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: «إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم»، "وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا، انصرف أيضا إلى الجبل وحده". (يوحنا ٦: ١٥). أي عندما فشل في إقناع ذوي العقول العنيدة بحقيقة مهمته وبحقيقة بعثته، وخوفا أن يظنوا أنه ملك دنيوي، توارى عنهم نحو الجبل، واختفى عن ناظرهم.

فمن المحزن أن إيضاح عيسى المتكرر لجمهوره عن طبيعة مهمته، وتحذيره لهم ألا يسيئوا فهم بعثته وألا يعلقوا عليها آمالا للخلاص من روما عسكريا، ومحاولته أن يوازن تطلعاتهم بشتى الوسائل كل ذلك لم يفلح لا على المستوى المحلي بين أفراد شعبه اليهود، ولا بعد وفاته على المستوى الهلنستي في العالم اليوناني الروماني، فلم يكتف اليهود بأن أساءوا فهم رسالة عيسى، بل أصروا على تمردهم وعصيانهم المسلح ضد روما حتى سبب ذلك الكوارث لهم في عام ٧٠م، وعام ١٣٥م، ومن جهة أخرى في العالم الهلنستي أصر بولس على الاعتقاد أن عيسى كان مخلصا فعلا، ولكن بشكل خفي وغامض وميثولوجي، من حيث إنه خلص العالم من الخطايا، أما الخلاص على الأرض، فكان المفترض أن يتحقق قبل أن يموت بولس حسب نبوءة بولس نفسه عندما يعود عيسى في مجيئه الثاني بصورة ابن الإنسان فيهزم روما عسكريا وينشئ مملكة الله على الأرض بزعامته، ثم إن هذا النمط من التنبؤات رغم فشله تكرر من قبل يوحنا العراف اللاهوتي في كتابه سفر الرؤيا، الذي صار فيما بعد سفرا من أسفار العهد الجديد.

وهكذا أدى إصرار معاصري عيسى على الخلط بين شخصية المسيح، وشخصية "النبي المنتظر المنقذ" وعدم فهمهم لطبيعة بعثته، بل رفضهم لها إلى عواقب وخيمة على كل الجهات، ففي فلسطين هزم اليهود والذين رفضوا الإيمان بعيسى على يد الرومان وتشتتوا في أنحاء الأرض، وفي الوقت نفسه تشتت معهم النصارى الذين آمنوا بعيسى على حقيقته، وبسبب تشتت النصارى وظهور بولس على مسرح الأحداث فقد النصارى السيطرة على مجريات الأمور، ففي العالم الهلنستي انحرفت رسالة عيسى عن هدفها الأساسي بالكامل، وحلت محلها ديانة غامضة من صنع بولس، ثم كان على العالم الانتظار ستة قرون لإعادة الأمور إلى نصابها بظهور الإسلام.

ومما يلفت النظر في دخول عيسى المظفر إلى القدس كما يحلو للكنيسة أن تصفه بعد معجزة أرغفة الخبز في الجليل ببعض الوقت نقطة ذات شقين:

١. أن دخول القدس تم بعد أن توارى عيسى عن أنظار ثوار الجليل (خمسة آلاف) الذين حاولوا تنصيبه ملكا، بمعنى أن الذي رفض من الجماهير تنصيبه ملكا لا يدخل القدس بهذه الصفة.

٢. أن عيسى تعمد أن يدخل القدس وهو يركب حمارا – وليس حصانا – مما يعني أنه لم يأت فاتحا لتأسيس مملكة دنيوية، ومع ذلك توهمت الجماهير أنه المخلص النبي المنتظر، فتجمع الناس حوله، وجعلوا يهتفون "أوصنا! مبارك الآتي باسم الرب! مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب! أوصنا في الأعالي". (مرقس ١١: ٩، ١٠). "والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا لابن داود! مبارك الآتي باسم الرب! أوصنا في الأعالي". (متى ٢١: ٩). ذلك بالرغم من نفيه القاطع أن يكون ابنا لداود "ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم في الهيكل: «كيف يقول الكتبة: إن المسيح ابن داود؟ لأن داود نفسه قال بالروح القدس: قال الرب لربي: اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فداود نفسه يدعوه ربا. فمن أين هو ابنه؟» وكان الجمع الكثير يسمعه بسرور". (مرقس ١٢: ٣٥ – ٣٧، متى ٢٢: ٤١ – ٤٥، لوقا ٢٠: ٤١).

أراد عيسى بدخوله القدس على حمار أن يفهم اليهود أنه لم يأت فاتحا، أراد منهم أن يتخلصوا من الأوهام، وأعلمهم أنهم يجلبون الدمار إلى أنفسهم بعقليتهم العنيدة وسلوكهم الطائش، وهي الرسالة نفسها التي حاول إيصالها لعقولهم يوم اجتمع عليه في الجليل خمسة آلاف من الثوار فأمرهم بالجلوس وأطعمهم خبزا وسمكا.

وزيادة في الإيضاح فإنه بعد أن دخل القدس لم يزد على أن ذهب إلى المعبد فنظر حوله، ثم غادر مع الحواريين الاثنى عشر "فدخل يسوع أورشليم والهيكل، ولما نظر حوله إلى كل شيء إذ كان الوقت قد أمسى، خرج إلى بيت عنيا مع الاثنى عشر". (مرقس ١١: ١١)؛ فلم يكن دخوله إلى القدس سوى بادرة رمزية توحي بالسلام، لا الحرب.

وقد نسبوا إلى عيسى القول: "الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه". (متى ١١: ١١، لوقا ٧: ٢٨). وقد أعيت هذه العبارة معلقي الكنيسة لقرون طويلة وحيرتهم، فمنهم من قال هي مقارنة بين مستقبل النخبة وبين عظمة يحيى، وآخرون فهموا مملكة الله، بأنها تشمل أرواح المؤمنين بعيسى بالمقارنة مع حياة يحيى على الأرض، وآخرون اعتقدوا أن عيسى هو الأصغر لجهة كونه عبد الله. وعلى أية حال لا يمكن القبول أن عيسى كان يقصد نفسه؛ لأن مملكة الله لم تتحقق في أيامه، وحتى لو تحققت كما يزعم البعض لاستحال أن يكون هو أصغر من فيها؛ إذ يكون عندئذ مؤسسها.

يكمن مفتاح تفسير هذا القول في كلمة "الأصغر"؛ ففي اللغة الآرامية والعربية والعبرية تحمل الكلمة معنى: "الأخير زمنيا" أو "الأصغر في مجموعة مسلسلة". والترجمة الآرامية السريانية للعهد الجديد الطبعة البسيطة تستخدم كلمة "زغيرا" التي تقابل كلمة "صغير" بالعربية بمعنى: الأصغر سنا، ولا بد للكنيسة أن تعترف أن عيسى لم يكن آخر الأنبياء، وبالتالي فهو ليس أصغرهم زمنيا، فمن يكون إذن آخر الأنبياء، وخاتمهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم؟ إنه قطعا وبلا جدال آخر الأنبياء، فهو بالتالي أصغرهم زمنيا، ومع ذلك فهو

أعظمهم، مقارنة مع أي منهم؛ لأن العمل الضخم الذي أنجزه أعظم من الأعمال التي قام بها الأنبياء قبله مجتمعين" [1]

فإذا كان الإنجيل الموجود حاليا على هذه الصورة التي تابعناها تفصيلا، من التحريف والتزييف والتبديل والتغيير لفظا ومعنى بشهادات شهود من أهله قبل أهلنا، وإذا كان هذا الإنجيل نفسه في أصله الصحيح قبل التحريف وفيما لم تستطع الأيدي المزيفة إطفاءه تماما قد بشر بالإسلام رسالة خاتمة ناسخة وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا خاتما فهل هناك مجال للقول الآن بأن هذا الإنجيل، بوضعه الحالي، محل للتقديس والتعبد به من قبل النصارى وغير النصارى؟![2]

رابعا. حول حديث أبو داوود: يجدر هنا التنبيه على ضعف الحديث الذي رواه أبو داود في سننه، وفيه أنه ﷺ وضع التوراة على وسادة وقال: «آمنت بك وبمن أنزلك» ، فأصل الحديث ورد في قصة رجم اليهوديين الزانيين[3].

وقد ضعف هذه الرواية غير واحد من أهل العلم، منهم ابن حزم إذ يقول: "قوله عليه السلام: «آمنت بما فيك»؛ فإنه باطل لم يصح قط، وكله موافق لقولنا في التوراة والإنجيل بتبديلهما، وليس شيء منه حجة لمن ادعى أنهما بأيدي اليهود والنصارى كما نزلا ... فخبر مكذوب موضوع، لم يأت قط من طرق فيها خير، ولسنا نستحل الكلام في الباطل، لو صح فهو من التكلف الذي نهينا عنه كما لا يحل توهين الحق ولا الاعتراض فيه".[4] وهذه الزيادة «آمنت بك وبمن أنزلك» مروية في إسناد ضعيف متهالك لا يصلح للاحتجاج، فهي من رواية هشام بن سعد القرشي، وقد ضعفه العلماء، وترك التحديث عنه جملة من المحدثين، منهم يحي القطان الذي كان لا يحدث عنه، ومما قاله العلماء عنه: قال النسائي: "ضعيف"، وقال في موضع آخر: "ليس بالقوي".

وقال يحي بن معين: "ليس بشيء"، وفي موضع آخر قال: "ليس بذاك القوي".

وأما أحمد بن حنبل فقال عنه: "ليس هو محكم الحديث". وفي موضع آخر قال: "لم يكن بالحافظ". قال أبو حاتم: "يكتب حديثه ولا يحتج به"، وقال ابن حبان: "كان ممن يقلب الأسانيد، وهو لا يفهم، ويسند الموقوفات من حيث لا يعلم، فلما كَثُر مخالفته الأثبات فيما يروي عن الثقات بطُل الاحتجاج به، وإن اعتبر بما وافق الثقات من حديثه فلا ضير" [5].

وهكذا فهذه الرواية التي تفرد بها هشام مردودة، ولا يحتج بها إلا الذين يتعلقون بخيوط أوهى من بيت العنكبوت. كما لن يفوتني تسجيل عجبي من اليهود والنصارى الذين يرومون توثيق كتبهم من القرآن والسنة؛

---

[1] – المسيحية والإسلام والاستشراق، محمد فاروق الزين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٩٣

[2] – راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط١/٢٠١٢.

[3] – صحيح البخاري ح (٣٦٣٥)، (٤٥٥٦)، (٦٨١٩)، (٦٨٤١)، (٧٥٤٣)، وصحيح مسلم ح (١٦٩٩)، (١٧٠٠)، والموطأ ح (١٥٥١)، وسنن الدارمي ح (٢٣٢١).)، وهذه الزيادة غير موجودة حتى في روايات أبي داود الأخرى للقصة (سنن أبي داود ح (٤٤٤٦)، (٤٤٥٠).).

[4] – الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١/ ١٥٧ – ١٥٨). مرجع .

[5] – انظر: المجروحين، لابن حبان (٣/ ٨٩)، والموضوعات، ابن الجوزي (١/ ٣٦٦)، والكامل، ابن عدي (٧/ ١٠٨)، وتهذيب الكمال، المزي (١١/ ٣٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر (٣٠/ ٢٠٦)، والضعفاء والمتروكين، النسائي (١/ ٢٤٥).).

في حين أن كتبهم تشهد على نفسها بالتحريف في مواضع كثيرة منها: قول النبي إرمياء: "كيف تقولون: نحن حكماء، شريعة الرب معنا حقاً، إنه إلى الكذب، حوَّلها قلم الكتبة الكاذب " (إرميا ٨/ ٨)، أي أن دعواكم بامتلاك شريعة الرب كذب منكم، لأن هذه الشريعة غيَّرها وبدَّلها الكتبة الكذبة بأقلامهم المحرِّفة.

ويؤكد النبي إرمياء وقوع التحريف في الكتاب، ويتهدد بالعقوبة أولئك الذين مازالوا يتحدثون عن كلام الرب، فينسبون ما في أيديهم إليه بعد أن حرفوه، فيقول: " وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلاً: ما وحي الرب؟ فقل لهم: أي وحي؟ إني أرفضكم هو قول الرب، فالنبي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول: وحي الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته .. أما وحي الرب فلا تذكروه بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرّفتم كلام الإله الحي رب الجنود" (إرمياء ٢٣/ ٣٣ – ٣٦).

١١–الزعم أن القرآن يقر عقيدة الفداء النصرانية

إن العقيدة الإسلامية تقر عقيدة الصلب والفداء النصرانية، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: {وفديناه بذبح عظيم (١٠٧)} (الصافات).

أولا. موقف القرآن من عقيدة الصلب النصرانية: تقرر المسيحية أن عيسى ظل مصلوبا حتى مات، وأنه تحمل الآلام ليمسح بدمه خطيئة آدم التي ارتكبها في الجنة بأكله من الشجرة المحرمة؛ فكيف قبل الإله وهو ابن الإله بزعمهم أن يصلب ويعذب هكذا؟ أليس للإله قدرة يدفع بها عن نفسه؟ وقد جاء في القرآن غير مرة أن آدم تاب إلى الله من خطيئته، فتاب الله عليه، وذلك كما وكز موسى عليه السلام رجلا مصريا فقضى عليه، ثم قال: {قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (١٦)} (القصص).

وباب التوبة مفتوح دائما لكل مذنب، وهذه رحمة الله وإذا كان المسيح من أبناء آدم، فما مسئوليته عن خطيئة لأبي البشر جميعا؟ ولماذا يكون عيسى هو الذي يمحوها من بين ملايين البشر؟

وإذا كان عيسى ابن الله، فما ذنب ابن الله حتى يقتل نفسه لخطيئة ارتكبها واحد من مخلوقاته أو مخلوقات أبيه كما يزعمون؟ وتقص الأناجيل أن عيسى لم يكن يريد أن يقتل، وأنه دافع عن نفسه أمام بيلاطس، وأن محاكمته كانت على ادعائه أنه ملك اليهود حسبما وشي به أعداؤه فلو أنه كان قد صلب ليمسح خطيئة آدم لقدم نفسه طائعا بدون محاكمة، ولما دافع عن نفسه وطلب النجاة!

ثم إنا نجده قبل ذلك مع تلاميذه يبيت خائفا وجلا أن يقبض عليه جند الرومان، بل ويعاتبهم على أنه يسهر وينامون، ونجده يتنقل من مكان إلى مكان؛ كي يخدعهم ويفلت منهم، ولو أنه كان يريد محو خطيئة آدم ما تردد، ولا تهيب الصلب أو حاول الإفلات؛ لأنه إنما جاء بإرادته لهذا العمل المزعوم.

ومن المغالطة الواضحة القول بأن الله لم يتب على آدم؛ لأن الله هو التواب الرحيم، ولكن بعض هؤلاء أصر على إلصاق الخطيئة بآدم وغلق باب التوبة أمامه، ثم تمادوا فجعلوا حبل الخطيئة معلقا في أعناق ذريته إلى مجيء المسيح عليه السلام كي يصلب من أجل غفران هذه الخطيئة وفداء البشرية.

وكتبهم ذاتها تعلن بأن كل من صلب على خشبة فهو ملعون!! وقد نفى القرآن أن يكون المسيح قد صلب أو قتل، بل رفعه الله إليه، وبين القرآن أن هناك حادث صلب قد وقع، ولكن لم يقع للمسيح، بل لشبيه له آخر. قال تعالى: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم} (النساء: ١٥٧).

وإذا كان حادث صلب المسيح وقتله في حد ذاته أسطورة لم تقع أصلا، فإن ما يترتب عليه من قولهم: ابن الله الفادي، أو المخلص لأبناء آدم من خطيئة أبيهم، هو أسطورة وخرافة لا تصح ولا تعقل، ولا أساس لها.

إلى جانب أنها عقيدة الفداء تنفي المسئولية الشخصية، فكيف يرتضيها الله لكي تكون سنته في التعامل مع البشر؟ إن هذا الاعتقاد الخاطئ يتناقض مع قوله تعالى: {ألا تزر وازرة وزر أخرى (٣٨) وأن ليس للإنسان إلا ما سعى (٣٩)} (النجم).

لا ريب أن فكرة الصلب، والفداء لا تخضع لمنطق، ولا يقبلها عقل، فهل من المعقول أن يحب الله البشر الخطاة أكثر من حبه للمسيح البار، فيضحي به من أجلهم؟! وهل من العدل أن يعذبه ويقتله من أجل ذنب لم يقترفه؟ ولقد نفاه القرآن الكريم في قوله تعالى: {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨)} (النساء).

ثانيا. فداء إسماعيل وما يرشد إليه: إن استدلال بعضهم بقوله تعالى: {وفديناه بذبح عظيم (١٠٧)} (الصافات) على إقرار القرآن الكريم لعقيدة الفداء النصرانية لهو استدلال خاطئ، فالنصارى يرون في عقيدتهم أن المسيح قدم نفسه فداء للبشرية من خطيئتها الموروثة من لدن آدم، فلم لا يكون فداء إسماعيل الذي سبق فداء المسيح المزعوم تكفيرا للبشرية عن خطيئتها الموروثة من لدن آدم؟!

ولماذا اختص المسيح بذلك إن كان هناك إقرار بعقيدة الفداء؟ إن القرآن الكريم يقرر أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة وربما في الدنيا أيضا وأن من يعمل مثقال ذرة شرا يره يوم القيامة وربما في الدنيا أيضا وأيضا يقرر أنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

وبهذه التوجيهات الصائبة الحكيمة رفع الإسلام عن كاهل البشر عبء الخطيئة الأولى، رابطا مصير الإنسان الفرد بمدى إيمانه بالله وتسليمه له، وبعمله صالحا كان أو غير صالح، وبالتماسه الغفران من الله بالصدقة، والزكاة، وتقديم الأضحيات من الحيوانات بحسب ما تقره الشريعة.

إن فداء إسماعيل بذبح عظيم هو مكافأة من الله للنبيين الكريمين إبراهيم وإسماعيل على صبرهما واستسلامهما لأمر الله قال تعالى: {فلما أسلما وتله للجبين (١٠٣) وناديناه أن يا إبراهيم (١٠٤) قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين (١٠٥)} (الصافات)؛ فقد اجتازا الابتلاء بصبر واستسلام واحتساب، فأثبتا معا بهذا أنهما مسلمان حقا. فما أبعد الفارق بين هذا الحدث الذي سجله القرآن الكريم؛ ليكون نموذجا لإسلام الوجه لله والصبر على البلاء واجتياز المحن، وبين عقيدة الفداء النصرانية التي لا يقبلها عقل ولا يقرها دين[1].

[1] -المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م. رد مفتريات على الإسلام، د. عبد الجليل شلبي، دار القلم،، ط١، ١٩٨٢م. راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط٢٠١٢/١.

١٢- هل الذكر المحفوظ هو كتب أهل الكتاب؟

قالوا: سمى القرآن كتبنا ذكراً في قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (النحل: ٤٣)، فاعتبر الكتب السابقة ذكراً، ثم أخبر أن الذكر محفوظ من التحريف والتبديل {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩)، فدلّ ذلك على سلامتها من التحريف والتبديل.

والجواب: **أن كل ما ينزله الله تعالى من وحي هو ذكر، يذكِّر الله به عباده.**

لكن الله لم يحفظ من الذكر إلا ذكره الأخير، أي القرآن، فهو الذي تكفل الله بحفظه بقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩)، بدلالة السياق الذي وردت فيه الآية، إذ يقول الله: {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٦ – ٩)، فالذكر المحفوظ هو الكتاب المنزل على النبي ﷺ كما هو ظاهر في السياق، وهكذا تبين وضوح المعتقد الإسلامي بخصوص ما أنزله الله على الأنبياء، وكذلك تبين تحريف الكتب الحالية وتبديلها، وأنها ليست من عند الله.

١٣ – الكتاب الذي لاريب فيه هو الإنجيل وليس القرآن؟؟!

يتوهم البعض أن الكتاب الذي لا ريب فيه هو الإنجيل وليس القرآن، ويستدلون على ذلك بقوله سبحانه وتعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢)} (البقرة)، ويتعللون بأنه لو كان المقصود بالكتاب الذي لا ريب فيه القرآن كما يدعي المسلمون لقال الله تعالى: (هذا الكتاب لا ريب فيه)، ولما قال: {ذلك الكتاب لا ريب}، فاسم الإشارة للبعيد (ذلك) يشير إلى الإنجيل لا القرآن، الذي لو كان هو المقصود لأشير إليه بـ (هذا).

الجواب: أولا: القرآن نزل على لغة العرب، واللغة تقرر أن المقصود بقوله: {ذلك الكتاب لا ريب} هو القرآن، فالإشارة هنا لبعد المنزلة وعظيم الشرف، وليست للبعد التاريخي، إنه تجاهل لما هو معلوم من اللغة العربية بالضرورة، في اللغة العربية اسم الإشارة "ذا" للقريب، واسم الإشارة "ذاك" للمتوسط في البعد، واسم الإشارة "ذلك" للبعيد، ولكن البعد والقرب يكونان تارة بالزمان، وتارة بالمكان، وتارة بالشرف، وتارة بالاستحالة، ومن قبيل ذلك قول امرأة العزيز في حق يوسف: {فذلكن الذي لمتنني فيه} (يوسف: ٣٢)، فـ {فذلكن} اسم إشارة للبعيد مع قرب يوسف منها، ولكنه إن كان قريبا بالمكان فهو بعيد في شرف الحسن خلقا وخلقة.

وكذلك القرآن الكريم، لما عظمت رتبته في الشرف، أشير إليه بـ (ذلك) وقيل لبعد زمانه؛ لأنه وعد به في الكتب المنزلة قديما، وأنه بعيد الزمان؛ لأنه كلام الله، وكلام الله قديم، فأشير إليه بذلك توضيحا لقدمه وعدم حدوثه.

ونضيف إلى رد القرافي السابق وهو يستند إلى فهم لغة القرآن الكريم، أن (ذلك) في قوله سبحانه وتعالى: {ذلك الكتاب} لو كان معناها الإشارة إلى البعد تاريخيا، لكان الأولى أن يشار بها إلى التوراة فهي أبعد تاريخيا من الإنجيل، أو يشار بها إلى صحف إبراهيم، فهي أبعد زمنا منهما، لكن لفظة (ذلك) في الآية، لا تشير إلى هذا ولا إلى ذاك، ولكنها تشير إلى القرآن، كما بين القرافي.

وهذه الجملة، تعد أول جملة تقابلنا في القرآن الكريم، إذا أخذنا في الاعتبار أن سورة البقرة، التي صدرت بهذه الجملة أول سورة مفصلة من سور القرآن، فسابقتها هي فاتحة الكتاب، وهي كالمقدمة له، فكأن الله عز وجل يشير إلى الكتاب الذي بين يدي الإنسان المخاطب به، ليبدأ التعريف به، وكأن تقدم تلميذك الذي تعتز به للآخرين، فتقول: ذلك التلميذ، لا شك في نجابته.

ولهذا نظير في القرآن الكريم، فقد ابتدأت سورة النور بقوله سبحانه وتعالى: {سورة أنزلناها} (النور: ١) إشارة إلى السورة نفسها، وقد افتتحت سورة لقمان والسجدة، بمثل هذه الافتتاحية، فقال سبحانه وتعالى: {الم (١) تلك آيات الكتاب الحكيم (٢)} (لقمان)، وقال سبحانه وتعالى: {الم (١) تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٢)} (السجدة)، وقد جاءت افتتاحية سورة البقرة، ولقمان، والسجدة، وبداية سورة يس،

وص، والزمر، وجميع الحواميم بذكر الكتاب، فكل هذه السور مفتتحة بذكر الكتاب، والمعنى بها قطعا وصراحة القرآن الكريم.

ذلك وقد سمي القرآن بـ "الكتاب" كثيرا في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق } (النساء: ١٠٥)، وقوله: {كتاب أنزلناه إليك مبارك} (سورة ص: ٢٩)، وسمي "كتابا"؛ لأنه يحفظ عن طريق كتابته، كما سمي "قرآنا"؛ لأنه يحفظ عن طريق قراءته.

ثانيا. عود (ذلك) على القرآن باتفاق المفسرين:

لقد اتفق المفسرون على عود اسم الإشارة (ذلك) على القرآن الكريم، في مفتتح سورة البقرة يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: وعلى الأظهر تكون الإشارة إلى القرآن المعروف لديهم يومئذ. اسم الإشارة مبتدأ، و (الكتاب) بدل، وخبره ما بعده، فالإشارة إلى الكتاب النازل بالفعل، وهي السور المتقدمة على سورة البقرة؛ لأن كل ما نزل من القرآن فهو المعبر عنه بأنه القرآن وينضم إليه ما يلحق... ويجوز أن تكون الإشارة إلى جميع القرآن: ما نزل منه وما سينزل؛ لأن نزوله مترقب، فهو حاضر في الأذهان، فشبه بالحاضر في العيان، فالتعريف فيه للعهد التقديري"[1].

[1] – التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، د. ت، ج١، ص٢١٩. وراجع الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، تحقيق: د. بكر زكي عوض، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٤- كيف يمكن القول بأن عيسى لم يمت في الوقت الذي يؤكد فيه القرآن وفاته في سورة آل عمران ؟

الجواب : فنحن غالباً ما نأخذ معنى الألفاظ من الغالب الشائع ، ثم تموت المعاني الأخرى في اللفظ ويروج المعنى الشائع . إن كلمة (التوفي) نفهمها على إنها الموت ، ولكن هذا اللفظ موضوع لمعان متعددة ، فيأخذه واحد ليجعله خاصاً بواحد من هذه .

إن كلمة (التوفي) قد يأخذها واحدا لمعنى (الوفاة) وهو الموت، ولكن ألم يكن ربك الذي قال {إني متوفيك}؟ وهو القائل في (الأنعام :٦٠): {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

إذن {يتوفاكم} هنا بأي معنى ؟ إنها بمعنى ينيمكم . فالنوم معنى من معاني التوفي ففي (الزمر :٤٢): {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىَ عَلَيهَا الموتَ ويُرْسِلُ} لقد سمى الحق النوم موتاً أيضاً . هذا من ناحية منطق القرآن ، إن منطق القرآن الكريم بين لنا أن كلمة (التوفي) ليس معناها هو الموت فقط ولكن لها معان أخرى ، إلا أنه غلب اللفظ عند المستعملين للغة على معنى فاستقل اللفظ عندهم بهذا المعنى ، فإذا ما أطلق اللفظ عند هؤلاء لا ينصرف إلا لهذا المعنى ، ولهؤلاء نقول : لا ، لا بد أن ندقق جيداً في اللفظ ولماذا جاء ؟

وقد يقول قائل : ولماذا يختار الله اللفظ هكذا ؟ والإجابة هي : لأن الأشياء التي قد يقف فيها العقل و لا تؤثر في الأحكام المطلوبة ويأتي فيها الله بأسلوب يحتمل هذا ، ويحتمل ذلك ، حتى لا يقف أحد في أمر لا يستأهل وقفة .

فالذي يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله إلى السماء ما الذي زاد عليه من أحكام دينه ؟ والذي لا يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رُفع ، ما الذي نقص عليه من أحكام دينه ، إن هذه القضية لا تؤثر فى الأحكام المطلوبة للدين ، لكن العقل قد يقف فيها ؟ فيقول قائل : كيف يصعد إلى السماء ؟ ويقول آخر : لقد توفاه الله . وليعتقد أي إنسان كما يُريد لأنها لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين.

إذن ، فالأشياء التي لا تؤثر في الحكم المطلوب من الخلق يأتي بها الله بكلام يحتمل الفهم على أكثر من وجه حتى لا يترك العقل في حيرة أمام مسألة لا تضر ولا تنفع.

إن الحق سبحانه قد سمى النوم موتاً لأن النوم غيب عن حس الحياة، واللغة العربية توضح ذلك : فأنت تقول على سبيل المثال لمن أقرضته مبلغاً من المال، ويطلب منك أن تتنازل عن بعضه.. فتقول: لا، لا بد أن أستوفي مالي، وعندما يُعطيك كل مالك، تقول له: استوفيت مالي تماماً، فتوفيته هنا تعني: أنك أخذت مالك بتمامه إذن معنى {متوفيك} قد يكون هو أخذك الشيء تاماً، { فمتوفيك} تعني مرة تمام الشيء، (كاستيفاء المال) وتعني مرة (النوم).

وحين يقول الحق : {إني متوفيك} ماذا يعني ذلك ؟ إنه سبحانه وتعالى يريد أن يقول: أريدك تاماً، أي أن خلقي لا يقدرون على هدم بنيتك، إني طالبك إليّ تاماً ، لأنك في الأرض عرضه لأغيار البشر من البشر، لكني سآتي بك في مكان تكون خالصاً لي وحدي، لقد أخذتك من البشر تاماً، أي أن الروح في جسدك بكل مواصفتها .

و قول: {ورافعك إليّ} هذا القول الحكيم يأتي مستقيماً مع قول الحق {متوفيك} وقد يقول قائل: لماذا نأخذ الوفاة بهذا المعنى ؟

نقول : إن الحق بجلال قدرته كان قادر على أن يقول : إني رافعك إليّ ثم أتوفاك بعد ذلك . .. . ونقول أيضاً : من الذي قال : إن (الواو) تقضي الترتيب فى الحدث ؟ ألم يقل الحق في [القمر: ١٦] : {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ} هل جاء العذاب قبل النذر أو بعدها ؟ إن العذاب إنما يكون من بعد النذر . إن (الواو) تفيد الجمع للحدثين فقط . وكذلك في (الأحزاب: ٧): {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ}

إن (الواو) لا تقتضي ترتيب الأحداث ، فعلى فرض انك قد أخذت {متوفيك} أي (مميتك)، فمن الذي قال : إن (الواو) تقتضي الترتيب في الحدث ؟ بمعنى أن الحق يتوفى عيسى ثم يرفعه .

فإذا قال قائل : ولماذا جاءت {متوفيك} أولاً ؟

نرد على ذلك : لأن البعض قد ظن أن الرفع تبرئه من الموت .ولكن عيسى عليه السلام سيموت قطعاً ، فالموت ضربه لازب ، ومسألة يمر بها كل بشر .

وفي الحديث المتفق عليه : (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) ؟ أي أن النبي ﷺ بين لنا أن ابن مريم سينزل مرة أخرى .

ولنقف الآن وقفة عقلية لنواجه العقلانيين الذين يحاولون التعب في الدنيا فنقول : يا عقلانيون أقبلتم في بداية عيسى عليه السلام أن يوجد من غير أب على غير طريقة الخلق فى الإيجاد والميلاد ؟ سيقولون : نعم .

هنا نقول : إذا كنتم قد قبلتم بداية مولده بشيء عجيب خارق للنواميس فكيف تقفون في نهاية حياته إن كانت خارقة للنواميس ؟ إن الذي جعلكم تقبلون العجيبة الأولى يمهد لكم أن تقبلوا العجيبة الثانية .

فالآية كاملة : {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}

يبلّغ الله سبحانه عيسى عليه السلام إنني سأخذك تاما غير مقدور عليك من البشر ومطهرك من خبث هؤلاء الكافرين ونجاستهم ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . وكلمة {اتبع} تدل على أن هناك {مُتَّبعًا} يتلو مُتّبَعا .

أي أن المتبِع هو الذي يأتي بعد ، فمن الذي جاء بعد عيسى عليه السلام بمنهج من السماء ؟ إنه سيدنا محمدﷺ ولكن على أي منهج يكون الذين اتبعوك ؟

أعلى المنهج الذي جاؤا به أم المنهج الذي بلغته أنت يا عيسى ؟

إن الذي يتبعك على غير المنهج الذي قلته لن يكون تبعا لك ، ولكن الذي يأتي ليصحح الوضع على المنهج الصحيح فهو الذي اتبعك .

وقد جاء سيدنا محمد ﷺ ليصحح الوضع ويبلغ المنهج كما أراده الله { وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة } .

فإن أخذنا المعنى بهذا : إن أمة سيدنا محمد ﷺ هي التي اتبعت منهج الله الذي جاء به الرسل جميعاً ، ونزل به عيسى أيضاً ، أن أمة سيدنا محمد ﷺ قد صححت كثيراً من القضايا التي انحرف بها القوم.[1]

الخلاصة: لم يرد في القرآن الكريم نص يدل على موت عيسى عليه السلام الموتة النهائية، وإنَّما الذي ورد لفظ الوفاة والتوفي، وهذه ألفاظ لا ينحصر معناها في الموت، بل تحتمل معاني أخرى منها: استيفاء المدة، وعيسى عليه السلام قد استوفى مدة مكثه الأول في الأرض، ومنه قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} أي: آخذك وافيًا بروحك وبدنك وقد نقل هذا المعنى ابن جرير في تفسيره عن جماعة السلف ، واختاره ورجحه على ما سواه، وعليه يكون معنى الآية: إني قابضك من عالم الأرض إلى عالم السماء وأنت حي ورافعك إلي، ومن هذا المعنى قول العرب: توفيت مالي من فلان أي قبضته كله وافياً .

وفي محاسن التأويل[2]:{إني متوفيك} أي مستوف مدة إقامتك بين قومك، والتوفي كما يطلق على الاماتة كذلك يطلق على استيفاء الشيء – كما في كتب اللغة – ولو ادعى أن التوفي حقيقة في الأول، والاصل في الاطلاق الحقيقة ، فنقول: لا مانع من تشبيه سلب تصرفه عليه السلام بأتباعه وانتهاء مدته المقدرة بينهم بسلب الحياة ، وهذا الوجه ظاهر جداً وقد دلت القرآئن من الاحاديث الصحيحة على ذلك .

وقد جزم القرآن الكريم بأن عيسى عليه السلام لم يقتل كما زعم النصارى بل رفعه الله تعالى إليه، قال تعالى : {... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيهِ ...}.

وأمَّا الآية التي في سورة مريم فهي قوله تعالى : { وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا } لا تدل على وفاته، بل الآية ذكرت ثلاثة أيام يوم ولادته ويوم وفاته ، ويوم يبعث يوم القيامة. فمر منها يوم وبقي يومان ، هما يوم وفاته بعد نزوله إلى الأرض ، ويوم يبعث بعد الوفاة، والقول الصحيح أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء حيّاً وسينزل حياً إلى الأرض.

---

[1] – تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي ، ٣/١٥٠٠ ومابعدها ، مطابع اخبار اليوم ١٩٩٧.

[2] – محاسن التأويل للقاسمي (٢ / ٣٢٤) ، مرجع سابق ، دار الكتب العلمية بيروت طبعة ١/ ١٤١٨.

١٥- روح القدس في القرآن المؤيّد للمسيح؟

قال تعالى: {ولقد آتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس} (البقرة : ٨٧) !!!.

قوله تعالى: {وأيدناه بروح القُدس} هو جبريل على الأصح، ويدل لذلك قوله تعالى: {نزل به الروح الأمين} (الشعراء:١٩٣) وقوله{ فأرسلنا إليها روحنا }(مريم:١٧)، هو الثابت والمروي عن جمع كبير من الصحابة والتابعين والمفسرين ، ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخان بسنديهما عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة : أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يا حسَّان أجب عن رسول الله ، اللهم أيِّده بروح القدس " قال أبو هريرة : نعم [١]، وقال ابن تيمية : قال جماهير العلماء إنه جبريل عليه السلام فإن الله سماه الروح الأمين وسماه روح القدس وسماه جبريل[٢] وعقد فصلاً في ذلك فقال :

فصل "في معنى روح القدس" قال تعالى : {يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس }(المائدة:١١٠) ... فإن الله أيد المسيح عليه السلام بروح القدس كما ذكر ذلك في هذه الآية وقال تعالى في البقرة : { وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس }(البقرة:٨٧) وقال تعالى : { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس }(البقرة:٢٥٣) وهذا ليس مختصا بالمسيح بل قد أيَّد غيره بذلك وقد ذكروا هم أنه قال لداود روحك القدس لا تنزع مني ، وقد قال نبينا ﷺ لحسان بن ثابت: " اللهم أيده بروح القدس وفي لفظ روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيه " وكلا اللفظين في الصحيح

وعند النصارى أن الحواريين حلت فيهم روح القدس وكذلك عندهم روح القدس حدث في جميع الأنبياء وقد قال تعالى (النحل:١٠٢) : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } وقد قال تعالى في موضع آخر : { نزل به الروح الأمين على قلبك }(الشعراء:١٩٣-١٩٤) وقال : { قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله }(البقرة:٩٧) فقد تبين أن روح القدس هنا جبريل . .. قال : ولم يقل أحد أن المراد بذلك حياة الله ولا اللفظ يدل على ذلك ولا استعمل فيه .

إن تأييد الله لعيسى بروح القدس في القرآن ليس محصورا به وأن القرآن قد ذكر أيضا أن الله قد أيّد نبينا محمدا ﷺ به. و أن آية النحل تفيد أن بِرُوحِ الْقُدُسِ هو اسم الذي كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ. وقد ورد هذا التعبير بلفظ الرُّوحُ الْأَمِينُ في آيات (الشعراء:١٩٣) وفي آية سورة البقرة اسم جبريل بوصفه الذي كان ينزل بالقرآن حيث يكون التعبير في سورتي النحل والشعراء كناية عن جبريل، على أن المفسرين قالوا : وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ الواردة في الآية أن تأييد الله بمعنى تأييده بروحه وقوته ونصره، وأنه بمعنى تأييد الله له بجبريل .

---

[١] - موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ١٩٢/١-١٩٣) الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة-المدينة النبوية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م والحديث اخرجه البخاري (٤٥٣) باب الشعر في المسجد ومسلم ح(٢٤٨٥)باب فضائل حسان بن ثابت .

[٢] - دقائق التفسير ج: ١ ص: ٣١٠ و ج: ٢ ص: ٩٢) المحقق: د. محمد السيد الجليند ، الناشر: مؤسسة علوم القرآن – دمشق ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤

ولقد ورد تعبير (بروح القدس) في الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم والتي يعترف بها وحدها النصارى بأساليب ومناسبات متعددة بل وبمعان مختلفة أيضا على ما يفيده السياق الذي وردت فيه. فمن ذلك ما ورد في سياق حبل مريم في إنجيل متى (لما خطبت مريم أمه ليوسف وجدت من قبل أن يجتمعا حبلى من الروح القدس) . وفي إنجيل لوقا على لسان الذي بشر مريم بحبلها: (فأجاب الملاك وقال لها إن الروح القدس يحل عليك) . ومن ذلك في إنجيل متى على لسان عيسى: (من قال كلمة على ابن البشر يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلا يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي) وفي إنجيل مرقس على لسان عيسى أيضا: (فإذا ساقوكم وأسلموكم فلا تهتموا من قبل بما تتكلمون به بل بما أعطيتم في تلك الساعة تكلموا لأنكم لستم أنتم المتكلمين ولكن الروح القدس). و (وأما من جدف على الروح القدس فلا مغفرة له). وفي إنجيل لوقا (ورجع يسوع من الأردن وهو ممتلىء بالروح القدس). وفي إنجيل يوحنا على لسان يوحنا المعمدان الذي هو النبي يحي في القرآن: (إن الذي ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذي يعمد بالروح القدس) .

وبعض هذه العبارات الانجيلية قد يفيد أن روح القدس شخصية إلهية مقدسة. كما قد يفيد بعضها أنه روح ربانية تنزل لتأييد الأشخاص المؤمنين. أو أنه رسول رباني لتنفيذ أوامر الله وهذا المعنى الأخير مطابق لما جاء في القرآن على ما شرحناه في سياق تفسير سورة مريم.

ومعلوم أن هذا التعبير في العقيدة النصرانية يعني أحد أقانيم أو صور الذات الإلهية التي هي الأب والابن وروح القدس. وهذه الألفاظ وردت في الأناجيل المتداولة. ولكن تلك العقيدة ليست محبوكة بشكلها الراهن في أي إنجيل، وإنما هي من قرارات مجامع دينية انعقدت في القرن الرابع بعد الميلاد بأمر ورعاية الامبراطور الروماني بسبب ما كان بين رجال الدين النصراني من خلافات حول لاهوتية المسيح والروح القدس، والمرجح أن هذا التعبير كان مستعملا من قبل نصارى العرب قبل الإسلام ترجمة عن اللغة الإنجيلية السريانية أو اليونانية.

ومهما يكن من أمر فالذي يتبادر لنا أن التعبير القرآني يضع الأمر في نصابه من وجهة نظر القرآن والعقيدة الإسلامية في عيسى حيث ينطوي في الجملة التي جاء فيها تقرير كون عيسى رسول من رسل الله وأن الجملة تعني تأييد الله إياه بروح وقوة منه اقتضت حكمة التنزيل تسميتها بِرُوحِ الْقُدُسِ ولا ضير على المسلم بل من واجبه أن يستعمل هذه التسمية في التعبير عن تأييد الله تعالى لعيسى لأن ذلك نص قرآني، مع الوقوف عند ذلك وإيكال مدى هذه الحكمة لله تعالى ودون أن يكون ذلك من المسلم تسليما منه بما استقرت عليه عقائد النصارى المجمعية من مدى ومعنى روح القدس لأن فحوى الجملة وروحها ومقامها في القرآن لا يمكن أن يتحمل ذلك. وهي صريحة كل الصراحة بأن روح القدس الذي يؤيد الله به عيسى غير ذاته وليس جزءا منه أو صورة له بأي حال كما هو في تلك العقائد. والقرآن هو الضابط المهيمن على الكتب السماوية التي ينسبها أهل الكتاب إلى الله ويتداولونها كما جاء صراحة في آية سورة المائدة: وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فما يقرره هو الحق.[1].

[1] – التفسير الحديث ، محمد عزت دروزة ٦ / ١٩٨ الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ

١٦- لم تنزل مائدة من السماء.!!

يقول القرآن: إن الحواريين طلبوا مائدة من السماء، وأن الله قال إني منزلها عليكم ولا يقول الإنجيل: إن تلاميذ المسيح طلبوا منه آية من السماء ،ولا يقول: إن مائدة نزلت من السماء.! وهذه القضية دليل أن القرآن أخذ من الانجيل لكن فهمه بشكل خاطئ.!!

الجواب: لو كان القرآن مقتبسا من أي مصدر لنقل خرافاتهم كما هي، أو على الأقل لما تخلص مما تحمله من أمور لا يقبلها عقل عاقل، وإلا فأي الأمرين أبعد في الاستحالة العقلية: أن يتحول الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه، كما جاء في إنجيل متى (٢٦: ٢٦. ٢٨)، هل هذا يقبله عاقل؟ أن يكون الخبز جسدا، والخمر المسكر دما؟! وإن المعترض غير دارس للإنجيل وغير دارس للتوراة. وذلك لأن في إنجيل يوحنا أن الحواريين طلبوا آية من السماء " فقالوا له: فأية آية تصنع ؛ لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المنّ في البرية. كما هو مكتوب: أنه "أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا "، يوحنا (٦: ٣١.٣٠)، إنهم طلبوا مائدة من السماء ؛ لأنهم قالوا: " آباؤنا أكلوا المن في البرية " بعد قولهم " فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ " واستدلوا على أكل آبائهم للمن بقولهم مكتوب في التوراة أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا.

وهذا يدل على أن آباءهم أكلوا المن والسلوى في سيناء، والنص هو: " وأمطر عليهم منّا للأكل وبرّ السماء أعطاهم " مزمور (٧٨: ٢٤)، فهل نزل المنّ من السماء ؟ وقد سماه داود مائدة في قوله عنهم: " قالو: هل يقدر الله أن يرتب مائدة في البرية ؟ " مز (٧٨: ١٩) فمعنى نزوله من السماء: أنه من جهة الله لا من جهة إله آخر. ونص إنجيل يوحنا يبين أنهم طلبوا مائدة من السماء. ذلك قوله: " أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا " فإذا بارك الله فى طعام من الأرض ليشبع خلقاً كثيراً ؛ فإنه يكون مائدة من السماء. كالمن النازل من السماء. وهو لم ينزل من السماء وإنما كان على ورق الشجر ، وكالسلوى.

ومن أعجب العجب: أن مؤلف الإنجيل قال كلاماً عن المسيح في شأن محمد رسول الله لا يختلف اثنان في دلالته عليه ﷺ وقد استدل المسيح فيه عليه ﷺ بنص في الإصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء.

ويقول المعترض: ولعلّ قصة القرآن عن نزول مائدة من السماء نشأت عن عدم فهم بعض آيات الإنجيل الواردة في متى ٢٦ ومرقس ٢٤ ولوقا ٢٢ ويوحنا ١٣. وغرضه من قوله هذا أن لا يعرف المسلمون موضع المائدة من الأناجيل لأنها بصدد كلام من المسيح في شأن محمد رسول الله ، وموضعها الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا[١].

يقول الأستاذ دروزة : قصة المائدة لم ترد في الأناجيل المتداولة على الوجه الذي جاءت عليه في الآيات أو مقارب له. وإنما ورد فيها قصة معجزة لعيسى عليه السلام حيث قدّم لجمع يبلغ خمسة آلاف خمسة أرغفة وسمكتين بعد أن قطعها فأكلوا وشبعوا وبقي من الكسر ما ملأ اثنتي عشرة قفة أو سبعة سلال[٢]. وفي الإصحاح العاشر من سفر أعمال الرسل من ملحقات الأناجيل التي سمّي مجموعها العهد الجديد قصة فيها

---

[١] –حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٦م، ص٥١١، ٥١٢.

[٢] – انظر إنجيل متى الإصحاح ٦ ويوحنا الإصحاح ١٥ ومرقص الإصحاح ٦ ولوقا الإصحاح ٩.

شيء مقارب جاء فيها «إن سمعان أحد حواريي المسيح الملقب بطرس كان في الطريق إلى يافا فجاع ووقع عليه انجذاب فرأى السماء مفتوحة ووعاء هابطا كأنه سماط عظيم معقود من أطرافه الأربعة ومدلّى على الأرض وكان فيه من كل ذوات الأربع ودوابّ الأرض وطيور السماء وإذا بصوت يقول قم يا بطرس اذبح وكل فقال بطرس حاشا يا رب فإني لم آكل قط نجسا أو دنسا فخاطبه الصوت ثانية ما طهره الله لا تنجسه أنت. وحدث هذا ثلاث مرات ثم رفع الوعاء إلى السماء»[1]. غير أن المتبادر أن هذه القصة وتلك ليستا هما المائدة القرآنية. ويوجد في بيت المقدس مكان تقليدي يحترمه المسلمون والنصارى معا يعرف ببيت المائدة في العمارة المعروفة بالنبي داود حيث قد يفيد هذا أن النصارى أو فريقا منهم كانوا يتداولون خبر معجزة مائدة نزلت من السماء على المسيح والحواريين جيلا عن جيل. والروايات المأثورة عن زمن النبي صلى الله عليه وسلم بقطع النظر عما فيها من غرابة قد تدل على أن قصة هذه المعجزة لم تكن مجهولة.

ونحن نعتقد أن أهل بيئة النبي ﷺ قد عرفوها عن طريق النصارى كما نعتقد أنها كانت واردة في بعض أسفارهم التي لم تصل إلى عهدنا. والقصة إنما ذكرت في القرآن بأسلوب خاطف لا بيان فيه على سبيل التذكير والاستطراد على ما يلهمه أسلوب الآيات وفحواها. ولا بدّ من أنها كانت معروفة في الوسط الذي كانت تتلى فيه لأن هدف القرآن التذكيري إنما يتحقق بذلك. وعلى كل حال فالإيمان بما أخبر القرآن به من خبر المائدة وما دار من حوار بين عيسى عليه السلام والحواريين في صددها ودعاء عيسى لله وجواب الله واجب.[2]

لذا نقول إن الأناجيل تثبت طلب الحواريين آية من السماء وهي المائدة: والمائدة لا تكون مائدة إلا إذا كان عليها طعام، فإن لم يكن عليها طعام، فهي طاولة، وخوان، ويسمى الطعام أيضا مائدة تجاوزا؛ لأنه يؤكل على المائدة، وعن مائدة عيسى يأتي في إنجيل متى: "وأما يسوع فدعا تلاميذه وقال: «إني أشفق على الجمع، لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون. ولست أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا (يضعفوا) في الطريق» فقال له تلاميذه: «من أين لنا في البرية خبز بهذا المقدار، حتى يشبع جمعا هذا عدده؟» فقال لهم يسوع: «كم عندكم من الخبز؟» فقالوا: «سبعة وقليل من صغار السمك». فأمر الجموع أن يتكئوا على الأرض، وأخذ السبع خبزات والسمك، وشكر وكسر وأعطى تلاميذه، والتلاميذ أعطوا الجمع. فأكل الجميع وشبعوا. ثم رفعوا ما فضل من الكسر سبعة سلال مملوءة، والآكلون كانوا أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد. ثم صرف الجموع وصعد إلى السفينة وجاء إلى تخوم مجدل". (متى ١٥: ٣٢ – ٣٩).

وفي إنجيل لوقا يشترط المسيح للمائدة، فيقول: "إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء، لئلا يدعوك هم أيضا، فتكون لك مكافاة. بل إذا صنعت ضيافة فادع: المساكين، الجدّع، العرّج، العمي، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك، لأنك تكافى في قيامة الأبرار".(لوقا ١٤: ١٢-١٤).

---

[1] – النص منقول من النسخة الكاثوليكية.

[2] – التفسير الحديث ، محمد عزت دروزة ، ٩ / ٢٦٢ مرجع سابق .

وفي إنجيل يوحنا: "وكان الفصح، عيد اليهود، قريبا. فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعا كثيرا مقبل إليه، فقال لفيلبس: «من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء؟» وإنما قال هذا ليمتحنه، لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل. أجابه فيلبس: «لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيرا». قال له واحد من تلاميذه، وهو أندراوس أخو سمعان بطرس: «هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء؟» فقال يسوع: «اجعلوا الناس يتكئون». وكان في المكان عشب كثير، فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف. وأخذ يسوع الأرغفة وشكر، ووزع على التلاميذ، والتلاميذ أعطوا المتكئين. وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا. فلما شبعوا، قال لتلاميذه: «اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء». فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر، من خمسة أرغفة الشعير، التي فضلت عن الآكلين. فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم"! (يوحنا ٦: ٤ – ١٤)[١].

ومما يستفاد من هذه الروايات أنهم كانوا صياما، وأن المدعوين هم الفقراء والمحتاجون، والدرس المستفاد هو ما قاله الناس: "هذا حقا هو النبي الآتي إلى العالم".

[١] – موسوعة القرآن العظيم، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ج١، ص١١٣٤، ١١٣٥.

١٧– الاستدلال بالآية ١٤٦ من سورة البقرة على عدم تحريف الإنجيل .

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}(البقرة :١٤٦) قالوا : هذه الآية تعد دليلا قويا أن الكتاب كان موجودا في وقت نبي الإسلام، بعد ٦٠٠ سنة من رسالة الإنجيل وهي تعد دليلا على أن الإنجيل كانت له أصولا في هذا الوقت ، والسؤال هو : هل يقصد نبي الإسلام الإنجيل المنزل على المسيح عيسى بن مريم وهو التعبير الذي يستخدمه القرآن أم الأناجيل الأربع الموجودة بين أيدينا، أم الكتاب المقدس ككل والذي نستخدمه الآن، وهل يقصد التوراة المنزلة على موسى كتعبير القرآن أم كتاب العهد القديم الموجود بين أيدينا .

يحاول المسلم التفريق بين التعبير التوراة المنزل على موسى والإنجيل المنزل على عيسى وبين الكتب الموجودة في أيدينا زاعما أن هذه الكتب المنزلة هي الكتب الأصلية. والسؤال إذا كانت هذه الكتب هي الأصلية وليست الموجودة بين أيدينا فهي لابد وأن يكون لها أصول في القرن السادس الميلادي بناء على هذه الآية ...فكيف يكون لها وجود في القرن السادس مع مسيحيين ويهود الجزيرة العربية وتختفي تماما بعد هذا؟ علميا مستحيل اختفاؤها ولابد أن يكون لها أصول من المخطوطات.

ولكن الواقع يقول أنه لا يوجد كتاب اسمه الإنجيل المنزل على عيسى ولكن يوجد لدي المسيحيين الكتاب المقدس، إذا فهذا الكتاب هو ما يقصده القرآن بتعبير {آتيناهم الكتاب}

وإذا كان القرآن يقصد الإنجيل الذي بين أيدينا فبناء على هذه الآية الإنجيل صحيح وغير محرف ...إذ أن هناك من أهل الكتاب من يعرفونه معرفة تامة في وقت رسالة نبي الإسلام. إذا علينا أن نحضر المخطوطات التي كانت موجودة في القرن السادس ومطابقتها بالتي هي بين أيدينا ...وسنكتشف أنها متطابقة...وبالتالي يجب علينا أن نعترف بصدق الإنجيل الذي بين أيدينا دون تحريف ...لأنه إذا قلنا أن الإنجيل حرف يكون السؤال متى؟ فإذا كانت الإجابة قبل نزول القرآن نجعل القرآن كاذبا وهذا ما لا يرضاه أي مسلم .

الجواب :

الكاتب قد قفز مرة واحدة من الآية إلى الاستنتاج دون أن يوضح لقرائه كيف توصل لهذا الاستنتاج الذي غاب عن المسلمين شرقاً و غرباً و شمالاً و جنوباً على مدار ١٤ قرناً من الزمان! أقل واجب هو أن يوضح الكاتب لقرائه كيف توصل إلى استنتاجه ، أليس كذلك ؟ والعجيب أنه بعد أن وضع المقدمة العقلية العارية من البرهان التي هي وجود الكتب الصحيحة اللامحرفة في أيدي أهل الكتاب انطلق يسرد قضيته ويفصلها ويقعدها ويؤصلها و كأن توضيح كيفية وصوله لمقدمته هو أمر مفروغ منه !

في البداية نقول : الضمير في قوله {يعرفونه} لا يعود على الكتاب بل على النبي ﷺ؛ فلو راجع أبسط التفاسير وأوضحها مثل تفسير الجلالين لما وقع في غلط فاضح : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ } أي محمداً { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ } بنعته في كتبهم قال ابن سلام: (لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشدّ)

وفي الكشاف للزمخشري[1] : { يَعْرِفُونَهُ } يعرفون رسول الله ﷺ معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ } لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم. وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني. قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي. فأما ولدي، فلعل والدته خانت، فقبل عمر رأسه. وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علماً معلوماً بغير إعلام .وقيل: الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة.

وفي تفسير النسفي [2]: { يَعْرِفُونَهُ } أي محمداً عليه السلام أو القرآن أو تحويل القبلة. والأول أظهر لقوله { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } قال عبد الله بن سلام: أنا أعلم به مني بابني فقال له عمر: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه.

وفي تفسير البيضاوي [3]: { يَعْرِفُونَهُ } الضمير لرسول الله وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه. وقيل للعلم، أو القرآن، أو التحويل { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ } يشهد للأول: أي يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم أبناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم. عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه سأل عبد الله بن سلام، عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني قال: ولم، قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته قد خانت.

وبناءاً على هذه الشواهد تنمحي القضية التي بنى عليها الكاتب النصراني قضيته ؛ فالذي يعرفه أهل الكتاب كأبنائهم هو الرسول ﷺ وليس الكتب الموجودة في أيدي أهل الكتاب، لكن: دعنا نفترض جدلاً – أقول جدلاً – أن الرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن الكريم قد شهدا للكتاب المقدس بالأصالة وعدم التحريف، هنا يبرز السؤال: أي كتاب مقدس شهدا له ؟؟

هل هو الكتاب المقدس للكنيسة الأرثوذكسية القبطية ؟ أم الأرثوذكسية اليونانية ؟ أم الكاثوليكية الرومانية ؟ أم السيريانية ؟ أم الأثيوبية ؟ أم ربما هو الكتاب المقدس للكنيسة البروتستانتية ؟ و لكل كنيسةٍ كتابٌ مقدسٌ !

نعود لكاتب المقال مرة أخري، و هذه المرة لنناقش اعتراضه على كون أهل الكتاب يعرفون الرسول عليه الصلاة و السلام كما يعرفون أبنائهم و الرد– ببساطة –هو شهادة حبر إسرائيلي جليل معاصر للرسول في مقام عبد الله بن سلام والذي شهد له يهود المدينة بالعلم ، بل والرياسة في العلم ، وكذلك دخول الآلاف المؤلفة من النصارى في الإسلام من أهل مصر والشام والعراق على أيدي الفاتحين المسلمين ولم يكن هذا إلا لأنهم وجدوا هذا تحقيقاً للنبوءات التي علموها من كتابهم (رغم تحريف العديد من المواضع فيه) و اقرأ إن شئت كتبهم التي فصلوا و شرحوا هذه النبوءات بدءاً من (الدين و الدولة) لابن ربان الطبري و انتهاءً بكتاب (محمد في الكتاب المقدس) لعبد الأحد داود (بنجامين كلداني سابقاً) . و من المعاصرين الذين يعرفونه كما يعرفون أبنائهم محمد زكي النجار صاحب كتاب (المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة) و كان أسقفاً مصرياً

---

[1] – الكشاف للزمخشري ج١ ص٢٠٤ . مرجع سابق .

[2] – تفسير النسفي (ج١ ص ١٤١) . راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

[3] – البيضاوي (ج١ ص ١١٢) الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي

بطهطا و الدكتور إبراهيم خليل محمد صاحب كتاب (محمد في التوراة و الإنجيل و القرآن) و كان قسيساً مصرياً أسلم و أبناؤه الأربعة في منتصف القرن العشرين و واصف سليمان الراعي صاحب كتاب (كنت نصرانياً) و غيرهم ..

هؤلاء هم الذين أتاهم الله الكتاب و يعرفونه كما يعرفون أبنائهم و ليسوا من المعاندين ككاتب هذا المقال نرجو له الهداية .

١٨ –ما معنى (حتى يقيموا التوراة و الإنجيل) ؟؟

يقول الله تعالى { قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الفاسقين }(المائدة:٦٨) وإشكالي في كون الله عز وجل أخبر عن أهل الكتاب أنهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل ومعلوم أن القرآن نسخ الكتب السابقة والخطاب كان موجها في الآية لمن هم في زمن النبي ﷺ .

الجواب : تم شرح معنى الآية والرد على ما فهموا منها في خلال الشبهات السابقة ونختصر : المقصود بالتوراة و الإنجيل هنا هي الكتب قبل التبديل والتحريف فلا سبيل لإقامتها إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم المهيمن الذي يشهد لما أنزله الله فيهما ويشهد على ما حرفه الناس فيهما وهذا ما أخبرنا به الله في سورة المائدة في قوله تعالى "مهيمناً عليه" فما وافق القرآن هو صدق أنزله الله وما خالفه كذب وما لم يوافقه ولم يخالفه نتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه، أما المقصود بقوله تعالى {وما أنزل إليكم من ربكم} فهو القرآن الكريم فهم ليسوا على شيئ حتى يقيموا التوراة الصحيحة والإنجيل الصحيح والقرآن المنزل وهذا كله لا يمكن بلوغه إلا بالقرآن المصدق المهيمن .

قال ابن حزم [١]: وأما قول الله عز وجل { يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم } فحق لا مرية فيه وهكذا نقول ولا سبيل لهم إلى إقامتها أبداً لرفع ما أسقطوا منها فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد ﷺ فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله منهما وجد أو عدم ويكذبون بما يدل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما وهذه هي إقامتهما حقاً فلاح صدق قولنا موافقاً لنص الآية بلا تأويل .

[١] – ابن حزم في الفصل بين الملل والنحل ج١ ص١٥٨ مرجع سابق .

١٩- معنى الاحتكام لكتب القوم في قوله: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك } (يونس : ٩٤).

تم التفصيل في شرح الآية والرد على الشبهة التنصيرية خلال الشبهات السابقة حول المسيحية ونختصر: لفظة (إنْ) لا تفيد أي تحقق لوقوع الشك من النبيﷺ، إذ قد يعلق المحال بـ (إنْ)، كما في قوله تعالى: {قُلْ (أي يا محمد) إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} (الزخرف:٨١)، وقوله: {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ (يا محمد) إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ} (الأنعام: ٣٥) وقد فسر العلماء مقصود الآية بقولين يكمل أحدهما الآخر:

الأول: أن المقصود بالسؤال هم المؤمنون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب فآمنوا به .. فاسألهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم)[١].

الثاني: أن المقصود في الآية ليس أمر النبي بالسؤال، بل الخطاب في ظاهره للنبي ﷺ، والمراد به غيرُه من المشركين، على عادة العرب في الخطاب "إياك أعني واسمعي يا جارة"[٢] ومثله في القرآن كثير، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} (الأحزاب: ١)، وقال: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الزمر: ٦٥)، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}(الطلاق: ١).

وهذا الوجه صححه الطبري، واستدل له الرازي بقول الله تعالى في آخر السورة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مّن دِينِي فلا أَعبُدُ الذِي تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللهِ} (يونس: ١٠٤)، وقال: "فبين أن المذكور في أول الآية على سبيل الرمز، هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح، فثبت أن الحق هو أن الخطاب، وإن كان في الظاهر مع الرسول ﷺ؛ إلا أن المراد الأمة، ومثل هذا معتاد، فإن السلطان الكبير إذا كان له أمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جمع، فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص، فإنه لا يوجه خطابه عليهم، بل يوجه ذلك الخطاب إلى ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم، ليكون ذلك أقوى تأثيراً في قلوبهم "[٣] ، بقي أن نشير إلى أن الأمر بالسؤال ليس على ظاهره، فإن العرب تستخدم طلب السؤال؛ بمعنى تأكيد الأمر، ولا تريد طلب السؤال حقيقة، ومنه قول الشاعر:

سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان.

وقول الآخر: سلوا نسمات الريح كم قد تحملت ... محبة صب شوقه ليس يكتم.

فهذان وأضرابهما لا يراد منه في لغة العرب حقيقة السؤال، إذ كيف يُسأل الليل أو نسمات الريح، إنما يراد تأكيد تلك المعاني التي طلب السؤال عنها، ومثله في القرآن قوله تعالى: {سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ} (القلم:

---

[١] – جامع البيان، الطبري (١٥/ ٢٠١). مرجع سابق تحقيق شاكر ،نشر مؤسسة الرسالة .

[٢] – انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (١٦٧).

[٣] – التفسير الكبير، الرازي (١٧/ ٣٠٠). مرجع سابق .

٤٠)، وقوله: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} (الزخرف: ٤٥)، وقوله: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} (الأعراف: ١٦٣)، ففي كل هذا لم يطلب الله من النبي ﷺ حقيقة السؤال، إنما قصد الإخبار وتأكيد صدق هذه المعاني والأخبار التي ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن.

وأما قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (النحل: ٤٣)، فهو خطاب من الله للمشركين المنكرين للنبوة؛ المستغربين نزول الوحي على رجل، فقد نبههم الله إلى أن نزول الوحي على بشر أمر معهود تعرفه البشرية، ودعاهم إلى سؤال أهل الكتاب للتأكد من حقيقته والوقوف على جلائه، يقول ابن القيم: "فبقاؤهم [أي أهل الكتاب] من أقوى الحجج على منكر النبوات والمعاد والتوحيد، وقد قال تعالى لمنكري ذلك {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} .. يعني سلوا أهل الكتاب: هل أرسلنا قبل محمد رجالاً يوحى إليهم أم كان محمد بدعاً من الرسل لم يتقدمه رسول حتى يكون إرساله أمراً منكراً؟[1].

وهكذا فالآية تجعل من شهادة أهل الكتاب دليلاً ناهضاً للاحتجاج على مشركي مكة في مسألة نبوة النبي ﷺ ، وهو معنى تكرر في مواضع أخرى من القرآن، كقوله: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} (الرعد: ٤٣)، وايضا هم قالو كيف ينزل الكتاب على بشر واستنكروا ذلك بحجة ان الذى اتى بالكتاب الانجيل لديهم ابن الله وهذا الله رد عليهم به وقال : {قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا} (الإسراء : ٩٥).

وهنا الدليل على انه يا محمد من ينكر عليك انك رسول بشر فأسال الذين لديهم الكتاب هل ارسلنا عليهم بشرا ام ملاكا فأن كان بشرا فلما تستكبرون ان اكون رسول بشرا مثلكم ؟ وان كان ملاك فان صفة المعية للملاك مختلفة عن البشر ذلك بان الملاك وجب ان يكون من صنفه لكى يرونه ويكلموه ويفهموا منه فان معية الملاك مختلفة عن معية البشر ولذلك الله يرسل لكل جنس من جنسه وحتى لما جاء جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام قال الله فتمثل لها بشرا سويا يعنى اخذ شكل بشر معتدل حتى تستطيع ان تراه ويكلمها لكى تكون الرسالة واضحة .

وهنا الله يخبر نبيه الكريم انه يا اهل الكتاب هل الذين اتو من قبلي كانوا بشرا ام ملائكة؟ ولهذا قال هاهنا { قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين } أي كما أنتم فيها { لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا } أي من جنسهم ولما كنتم أنتم بشرا بعثنا فيكم رسلنا منكم لطفا ورحمة .

وهذا الرد انه ليس المقصود اسالهم يا محمد واحتكم بما في كتبهم بل يقول الله : لو عارضوك فقل هاتوا كتبكم لنرى هل الحكم موجود به الذى عارضتم عليه ام لا فإن كان موجودا فلما تعترضون على ما هو أصلا موجود بكتبكم وترفضونه ؟ فهذه حجة عليكم ايها النصارى وليست لكم فقد رفضتم الجزية وهى مدونه فى كتابكم لما قال المسيح فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية والكرامة لمن له الكرامة والاكرام لمن له الاكرام فلما تعترضون عليها والمسيح قال انه حق من الحقوق ولم يقل كسب بالغصب .

---

[1] – أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١/ ٩٧). مرجع سابق .

٢٠-دعوى عدم حسم القرآن مسألة صلب المسيح عليه السلام

إن القرآن لم يكن حاسما في إثبات صلب المسيح، ويستدلون على ذلك بقوله سبحانه وتعالى: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم}(النساء: ١٥٧) حيث يدعون أنه يعارض قول الله على لسان المسيح: {فلما توفيتني} (المائدة: ١١٧)، مستنكرين الجمع بين إنكار صلب المسيح، وإلقاء الشبه على غيره وصلبه بدلا منه، ونجاته من الصلب مع الإقرار بوفاته عليه السلام. ويسوقون قول الإمام الرازي لتقوية زعمهم: لو كان الله يلقي شبه إنسان على آخر لاختلت الموازين. ويتساءلون: هل يصح أن يخلط القرآن في حديثه عن أحد أنبياء الله بهذه الصورة؟!

نقاط المناقشة:

-عرض القرآن في سورة النساء يؤكد نجاة المسيح برفعه إلى السماء من القتل والصلب، وعقيدة المسلمين في خاتمة المسيح يسيرة لا تعقيد فيها، خلافا لعقيدة النصارى.

-القرآن يقدم على الإنجيل في حادثة رفع المسيح وغيرها؛ لخلوه من الخلط والأباطيل، ولعصمته من التحريف، ولتواتره القطعي الثبوت، خلافا للإنجيل.

-الأدلة العقلية تؤكد نفي صلب المسيح وترد كل ما يقال عن قصة صلبه المزعومة.

-تعارض أقوال وأفعال المسيح في الإنجيل مع عقيدة الصلب والفداء عند النصارى، يؤكد عدم صلاحية الإنجيل كمرجعية لإثبات حادثة الصلب أو غيرها.

- مصادر مسيحية تؤكد نجاة المسيح من الصلب، ووقوعه على شبيهه.
- اختلاف الأناجيل في مسألة الصلب يؤكد أن المسيح لم يصلب.
- تنبؤات المسيح في الكتاب المقدس بنجاته من القتل!
- شخصية المسيح لا تتلاقى مع النهاية الاستسلامية التي صنعها كتاب الأناجيل.
- هناك طوائف نصرانية متعددة تنكر صلب المسيح!
- مسألة الصلب بين إقرار بولس ونفي المسيح، أيهما يصدق النصارى؟!
- نهاية يهوذا خير شاهد على صدق القرآن وتحريف الإنجيل، ونجاة المسيح.
- كلام الإمام الرازي مقطوع من السياق، إيهاما للمسلمين أنه ينكر أن عيسى شبه لهم، ولو رجعت إلى مصدر كلامه لعلمت تدليس المدلسين.

التفصيل:

أولا. عرض القرآن في سورة النساء يؤكد الرفع وينفي قتل المسيح وصلبه:

التبس على النصارى صلب عيسى كما التبس على اليهود.. وحل القرآن الإشكال، وأزال اللبس، لكن النصارى لم يصدقوا القرآن. قال الله عز وجل: {وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) وقولهم إنا

قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨)} (النساء).

واعترض النصارى على نفي القرآن قتل عيسى وصلبه، واعتبروه خطأ وقع فيه القرآن، واستغرب كثير منهم إنكار القرآن أمرا مجمعا عليه بين اليهود والنصارى، واليونان، والرومان. ويتساءلون: "لماذا ينكر القرآن صلب المسيح وقتله بأيدي اليهود، مع أن اليهود يعترفون بذلك، والنصارى يؤكدونه ويفتخرون به؟ ومدار الإنجيل كله على خبر صلب المسيح والبشارة به، كفاد للبشر"؟

ويدعون أن القرآن ذكر في مواضع أخرى موت المسيح وقيامته، وارتفاعه إلى السماء، كقوله سبحانه وتعالى: {إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي} (آل عمران: ٥٥)، وفيه يقول المسيح: {فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم} (المائدة: ١١٧)، ويقول أيضا: {والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (٣٣)} (مريم). ويقولون: أليس غريبا أن يجيء من ينكر صلب المسيح بعد حدوثه بستمائة سنة؟! إن حادثة الصلب حقيقة تاريخية، سجلها اليونان، والرومان، واليهود، والمسيحيون... وفي "مجمع نيقية" الذي انعقد سنة (٣٢٥م)، كتب أساقفة العالم المسيحي قانون الإيمان مقرين صلب المسيح!

يؤمن كل النصارى أن اليهود والرومان قتلوا عيسى وصلبوه، وأن روحه خرجت على الصليب، وبعد ثلاثة أيام من دفنه ردت إليه روحه، فقام من قبره، وصعد إلى السماء! وكان اليهود يتباهون ويتفاخرون بقتل عيسى قال سبحانه وتعالى: {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله} (النساء: ١٥٧). أما النصارى فقد جعلوا الصليب جزءا من عقيدتهم ودينهم، والشعار المميز لهم عن باقي أتباع الأديان، ووضعوا الصليب في أعناقهم وعلى كنائسهم، وملابسهم، ومرافق حياتهم، فإذا نفى القرآن صلب عيسى نفيا صريحا، فإن النصرانية تتهاوى من أساسها. أما القرآن الكريم فقد نفى صلب عيسى وكذب اليهود في ادعاء ذلك.

ويقرر القرآن أن المختلفين في موضوع القتل والصلب من اليهود والنصارى في شك منه لم يصلوا إلى اليقين؛ لأنهم لا ينطلقون من العلم، وإنما يتبعون الظن، والظن لا يوصل إلى يقين قال سبحانه وتعالى: {وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن} (النساء: ١٥٧). ويؤكد القرآن مرة أخرى أنهم لم يقتلوا عيسى يقينا؛ لأن الله العزيز الحكيم رفعه إليه قال سبحانه وتعالى: {وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨)} (النساء).

لقد أراد اليهود الرومان صلب عيسى ولكن الله حماه وعصمه منهم، ورفعه إلى السماء، أما هم فقد صلبوا رجلا آخر، وكل ظنهم أنه عيسى! فقال اليهود متبجحين: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله عليه السلام، أما معنى قوله سبحانه وتعالى: {ولكن شبه لهم} شبه لهم أمر الصلب والقتل، والتبس عليهم، وهذا معناه أنهم قتلوا وصلبوا شخصا آخر سوى عيسى ومعنى قوله سبحانه وتعالى: {وما قتلوه يقينا (١٥٧)

بل رفعه الله إليه} (النساء) لم يقتل اليهود عيسى يقينا، ولم يكن الشخص المقتول المصلوب عيسى حقيقة، إنما كان شخصا آخر غيره، بينما كان عيسى في السماء[1].

يقول الإمام محمد رشيد رضا في تفسيره لآيات سورة النساء: (وما قتلوه وما صلبوه) أي: والحال أنهم ما قتلوه، كما زعموا تبجحا بالجريمة، وما صلبوه كما ادعوا وشاع بين الناس: (ولكن شبه لهم) أي: وقع لهم الشبهة، أو الشبه فظنوا أنهم صلبوا عيسى، وإنما صلبوا غيره، ومثل هذا الشبه أو الاشتباه يقع في كل زمان كما سنبينه قريبا (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) أي: وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب في شك من حقيقة أمره، أي: في حيرة وتردد ما لهم به من علم ثابت قطعي، لكنهم يتبعون الظن أي القرائن التي ترجح بعض الآراء الخلافية على بعض، فالشك الذي هو التردد بين أمرين شامل لمجموعهم لا لكل فرد من أفرادهم، هذا إذا كان كما يقول علماء المنطق لا يستعمل إلا فيما تساوى طرفاه بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر، والذين يتبعون الظن في أمرهم هم أفراد رجحوا بعض ما وقع الاختلاف فيه على بعض بالقرائن أو بالهوى والميل، والصواب أن هذا معنى اصطلاحي للشك. وأما معناه في أصل اللغة فهو نحو من معنى الجهل، وعدم استبانة ما يجول في الذهن من الأمر، وفي لسان العرب: أن الشك ضد اليقين، فهو إذن يشمل الظن في اصطلاح أهل المنطق، وهو ما ترجح أحد طرفيه. فالشك في صلب المسيح هو التردد فيه أكان هو المصلوب، أم غيره؟ فبعض المختلفين في أمره الشاكين فيه يقول: إنه هو، وبعضهم يقول: إنه غيره، وما لأحد منهما علم يقيني بذلك، وإنما يتبعون الظن. وفي الأناجيل المعتمدة عند النصارى أن المسيح قال لتلاميذه: "كلكم تشكون في في هذه الليلة". (متى ٢٦: ٣١، ومرقس ١٤: ٢٧)، أي: التي يطلب فيها للقتل.

فإذا كانت أناجيلهم لا تزال ناطقة، فإنه أخبر أن تلاميذه وأعرف الناس به سيشكون فيه في ذلك الوقت وخبره صادق قطعا، فهل يستغرب اشتباه غيرهم وشك من دونهم في أمره، وقد صارت قصته رواية تاريخية منقطعة الإسناد؟

{وما قتلوه يقينا} أي: وما قتلوا عيسى ابن مريم قتلا يقينا أو متيقنين أنه هو بعينه؛ لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة. وهذه الأناجيل المعتمدة عند النصارى تصرح بأن الذي أسلمه إلى الجند هو يهوذا الإسخريوطي، وأنه جعل لهم علامة أن من قبّله يكون هو يسوع المسيح فلما قبّله قبضوا عليه. وأما إنجيل برنابا فيصرح بأن الجنود أخذوا يهوذا الإسخريوطي نفسه ظنا أنه المسيح؛ لأنه ألقي عليه شبهه. فالذي لا خلاف فيه هو أن الجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية. وقيل: إن الضمير في قوله سبحانه وتعالى: {وما قتلوه يقينا} للعلم الذي نفاه عنهم، والمعنى ما لهم به من علم، لكنهم يتبعون الظن، وما قتلوه عن علم وتثبت منه، بل رضوا بتلك الظنون التي يتخبطون فيها، يقال: قتلت الشيء علما وخبرا: إذا أحطت به واستوليت عليه حتى لا ينازع ذهنك منه اضطراب ولا ارتياب. وجاء عن ابن عباس أنه راجع إلى الظن الذي يتبعونه قال: "لم يقتلوا

---

[1] – بالنسبة لعقيدة الصلب والفداء: هي عقيدة عند النصارى في عيسى . عليه السلام . أنه صلب وتحمل الآلام؛ ليفدي البشرية من خطيئة آدم . عليه السلام . والتي لم تكن لتكفر في نظرهم إلا بصلبه، وإن المرء ليعجب من الاختلاف الكبير من قبل الأناجيل في إيراد هذه القصة، ولو صح أن هذا أساس وأن المسيح أنبأ له، لكان اهتمامهم بتدونه متساويا أو متقاربا، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٨٤: ١٨٦.

ظنهم يقينا"[1] أي: إنهم يتبعون ظنا غير ممحص ولا موفق أسباب الترجيح، والحكم التي توصل إلى العلم، {وكان الله عزيزا حكيما} فبعزته وهي كونه يقهر ولا يقهر، ويغلب ولا يغلب، أنقذ عبده ورسوله عيسى من اليهود الماكرين، والروم الحاكمين، وبحكمته جزى كل عامل بعمله[2].

خاتمة المسيح عند النصارى وعند المسلمين:

جعل النصارى خاتمة المسيح خاتمة شنيعة ومأساة مروعة، وجعلوا الاعتقاد بحصولها على الوجه الذي صوروه أصلا من أصول دينهم ودعامة من دعائم عقيدتهم لا يقبل من مؤمن إيمانه إلا بها ولا ينفعه عمل صالح ولا عبادة ولا بر، ولا تقوى، ولا إخلاص دون الاعتقاد بصلب المسيح.

وقد تلمسوا لتلك العقيدة أصلا في العهد القديم، وأسسوا عليه صلب المسيح. فقالوا: إن آدم وهو أول كل البشر قد عصى الله بالأكل من الشجرة، التي نهاه عن الأكل منها، فصار خاطئا وصار جميع ذريته خطاة مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي، وقد جاء جميع أبناء آدم خطاة مذنبين فهم يحملون وزر ذنوبهم، ووزر ذنب أبيهم الذي هو الأصل لذنوبهم.

ولما كان الله من صفته العدل والرحمة، فمن عدله أنه لا يترك الجريمة دون عقاب، وإلا لم يكن عادلا، والعقاب مناف للرحمة فلا يكون رحيما إذا عاقب، ولا بد من تحقق العدل والرحمة معا، وللخروج من هذا الإشكال شاء الله أن يحل ابنه الذي هو بنفسه الله في رحم امرأة من ذرية آدم، ويتجسد جنينا في رحمها ويولد منها، فيكون ولدها إنسانا كاملا من حيث إنه ابن لتلك المرأة، وإلها كاملا من حيث إنه ابن الله، ويكون معصوما من جميع المعاصي. ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس، ويأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون، ويتلذذ ويتألم كما يتلذذون ويتألمون، يأتي أعداء الله وأعداء شريعته ويقتلونه شر قتلة وأفظعها، وهي أن يصلبوه ويسمروا يديه ورجليه في الخشب، ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه، ويضفروا له إكليلا من الشوك، ويبصقوا في وجهه، كل ذلك ليفدي البشر من جريمة لم يقترفها هو ولا هم.

إن هذه العملية لم يتحقق بها عدل ولا رحمة؛ لأنه ليس من العدل في شيء أن يؤتى ببريء غير مذنب، ويطوق إثم جريمة جناها سواه، كما أن عقاب غير الآثم ليس فيه رحمة، وبخاصة إذا كان المعاقب من شأن الجبلة أن تشمله بالرحمة، ولو مع الذنب، فالابن البار غير الآثم أولى.

والعقاب على هذا الوجه يخالف الكتاب المقدس عندهم، فقد جاء فيه: "لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يقتل". (التثنية ٢٤: ١٦)، "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيبا". (التثنية ٢١: ٢٢، ٢٣)، وعلى قول المسيحيين قد بقي الله تعالى مجردا عن صفتي العدل والرحمة من زمن عصيان آدم إلى أن اهتدى إلى تلك الحيلة التي ظهرت له قبيل خلق المسيح في مريم. هذا فضلا عن أن عقيدة الصلب لما كانت هي كل الإيمان كانت حادية لمعتنقها إلى

---

[1] – أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٣٧٧) برقم (١٠٧٩٠).

[2] – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٦، ص١٨: ٢١ بتصرف.

نبذ كل الفضائل، بل مخذلة عن أفعال البر والتقوى، فيكون صاحبها إباحيا فاتكا ليس للفضيلة في نفسه نصيب.

أما خاتمة أمر المسيح بحسب قصص القرآن فهي بسيطة لا تعقيد فيها؛ ذلك أن المسيح قد أحرج الكهنة والفريسيين بتعليمه، وتجريمه إياهم في طريقتهم، وفضح ريائهم وخبثهم، فدفعهم ذلك إلى الكيد له والتدبير لقتله، فلما اختمر هذا الأمر في أنفسهم شكوا أمره إلى الوالي وزينوا شكواهم بما يستدعي اهتمامه بأن ادعوا عليه أنه يقول: إنه ملك اليهود، وأنهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية، فأرسل الوالي جندا للقبض على المسيح عيسى ابن مريم فلما أتوا ولم يبق إلا القبض عليه والمسيح قد اهتم لهذا الأمر، وخشى أن ينالوه بالأذى أنقذه الله من أيديهم وطهره منهم، وألقى شبهه على شخص آخر، علم فيما بعد أنه تلميذه الخائن وعرفته الأناجيل بأنه يهوذا الإسخريوطي كما هو مشهور وصار بحيث إن كل من رآه لا يشك في أنه يسوع، فأخذ وصلب وقتل ونجا المسيح من شرهم، وقد أعلم الله المسيح بما سيتم، وشاع في الناس أن يسوع الناصري قتل بعد أن صلب، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم[1].

ثانيا. القرآن يقدم على الإنجيل: لقد تتبع الحكام والأباطرة الرومان من يخالفهم الاعتقاد، فقتلوا وأحرقوا الكثير منهم، كما عقدوا العديد من المجامع التي تدرس العقيدة وتقررها حسب أهوائهم واعتقاداتهم الوثنية القديمة، وتحذف ما يعارضها في هذا الاعتقاد من الأناجيل، ولقد استمر هذا الأمر حتى اليوم، حيث يتم عقد العديد من المجامع على غرار مجمع نيقية وحذف الكثير من مواد الإنجيل، يقول أحمد ديدات تحت عنوان "كذبة الكتاب المقدس": "لم يسمر عيسى على الصليب، كما سمر الآخران، على العكس من الاعتقاد الشائع، هذا إذا كان فعلا قد صلب! شك توما في صلب المسيح، وقد تكون هذه القصة مجرد اختلاق أثيم، تماما كقصة المرأة التي أمسك بها متلبسة بفعل الزنا، وقد حذفت قصة المرأة هذه من إنجيل يوحنا في النسخة الإنجليزية الحديثة، يبدأ الإصحاح الثامن لهذا الإنجيل بفقرة (١٢)، أي كتاب ديني يبدأ بفقرة (١٢)، لقد أزيلت الفقرات (١. ١١)؛ لأن الاثنين والثلاثين عالما، والخمسين طائفة تعاونت معهم لتنقيح الكتاب المقدس، ووجدوا أن هذه النصوص مختلقة وكاذبة فأمروا بإزالتها"[2].

وإذا تكلمنا عن التواتر عند نقل النصارى للكتاب المقدس، فإن الواقع يؤكد لنا "أن دعوى التواتر ممنوعة، فإن التواتر عبارة عن إخبار عدد كثير لا يجوز العقل اتفاقهم وتواطؤهم على الكذب بشيء قد أدركوه بحواسهم إدراكا صحيحا لا شبهة فيه، وكان خبرهم بذلك متفقا لا اختلاف فيه، هذا إذا كان التواتر في طبقة واحدة، فإن كان التواتر في طبقات كان ما بعد الأولى مخبرا عنها، ويشترط أن يكون أفراد كل طبقة لا يجوز عقل عاقل تواطؤهم على الكذب في الإخبار عمن قبلهم، وأن يكون كل فرد من كل طبقة قد سمع جميع الأفراد الذين يحصل بهم التواتر ممن قبلهم، وأن يتصل السند هكذا إلى الطبقة الأخيرة، فإن اختل شرط من هذه الشروط لا ينعقد التواتر.

---

[1] – قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص٥٠٤: ٥١٤ بتصرف.

[2] – أضواء على المسيحية: دراسة تحليلية للكتاب المقدس، أحمد ديدات، ترجمة: د. عادل جلول، دار القارئ، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٠٨.

وأني للنصارى بمثل هذا التواتر، والذين كتبوا الأناجيل والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون عدد التواتر، ولم يخبر أحد منهم عن مشاهدة، ومن تنقل عنه المشاهدة كبعض النساء لا يؤمن عليه الاشتباه والوهم، بل قال يوحنا في إنجيله: إن مريم المجدلية وهي أعرف الناس بالمسيح اشتبهت فيه وظنت أنه البستاني، وهو قد كان صاحب آيات، وخوارق عادات، فلا يبعد أن يلقي شبهه على غيره، وينجو بالشكل بصورة غير صورته، كما رووا عنه أنه قال لهم: إنهم يشكون فيه، وكما قال مرقس: إنه ظهر لهم بهيئة أخرى، ثم إن ما عزى إليهم لم ينقله عنهم عدد التواتر بالسماع منهم طبقة بعد طبقة إلى العصر الذي صار للنصارى فيه ملك، وحرية يظهرون فيها دينهم. وقد بين الشيخ رحمة الله الهندي وغيره انقطاع أسانيد هذه الكتب بالبينات الواضحة.

وإذا كانت الأناجيل ورسائل العهد الجديد قد أثبتت صلب المسيح دون القول بغير ذلك، ودون قبول أي رأي آخر يقول بغير ذلك، فالحق الذي يبدو جليا ولا يحتاج إلى برهان أن هذه الكتب:

١. لا دليل على عصمتها، ولا على أن كاتبيها كانوا معصومين.

٢. لا دليل على نسبتها إلى من نسبت إليهم؛ لأنها غير متواترة كما تقدم.

٣. معارضة بأمثالها كإنجيل برنابا وترجيحهم إياها على هذا الإنجيل لا يصلح مرجحا عندنا؛ لأنهم اتبعوا في اعتمادها تلك المجامع التي لا ثقة لنا بأهلها، ولا كانوا معصومين عندهم ولا عندنا.

٤. إنها متعارضة في قصة الصلب وفي غيرها.

٥. إنها معارضة بالقرآن العزيز وهو الكتاب الإلهي الذي ثبت نقله بالتواتر الصحيح دون غيره، فقصارى تلك الكتب أن تفيد الظن بالقرائن، كما قال سبحانه وتعالى: {ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧)} (النساء) والقرآن قطعي فوجب تقديمه؛ لأنه يفيد العلم القطعي[1].

ثالثا. الأدلة العقلية على نفي صلب المسيح:

كلا يمكن أن يقبل العقل قصة صلب المسيح لعدد من النتائج التي تترتب عليها، ولعدد من الأسباب هي:

لا يمكن أن يقبل هذه القصة من يؤمن بالدليل العقلي أن خالق العالم لا بد أن يكون بكل شيء عليما، وفي كل صنعه حكيما؛ لأنها تستلزم الجهل والبداء على الباري كأنه حين خلق آدم ما كان يعلم ما يكون عليه أمره، وحين عصى ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرحمة في شأنه، حتى اهتدى إلى ذلك بعد ألوف من السنين مرت على خلقه، كان فيها جاهلا كيف يجمع بين تينك الصفتين من صفاته، وواقعا في ورطة التناقض بينهما، ولكن قد يقبلها من يشترط في الدين عندهم ألا يتفق مع العقل، وأن يأخذ صاحبه بكل ما يسند إلى من نسب إليهم عمل العجائب، ويقول آمنت به، وإن لم يدركه، ولم تذعن له نفسه، ومن ينقلون في أول كتاب من كتبهم الدينية سفر التكوين هذه الجملة: "فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه". (التكوين ٦: ٦)، تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا.

---

[1] – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٦، ص٣٥ بتصرف.

يلزم من يقبل هذه القصة أن يسلم بما يحيله كل عقل مستقل من أن خالق الكون يمكن أن يحل في رحم امرأة في هذه الأرض التي نسبتها إلى سائر ملكه أقل من نسبة الذرة إليها، وإلى سمواتها التي ترى منها، ثم يكون بشرا يأكل ويشرب ويتعب ويعتريه غير ذلك مما يعتري البشر، ثم يأخذه أعداؤه بالقهر والإهانة فيصلبوه مع اللصوص، ويجعلوه ملعونا بمقتضى حكم كتابه لبعض رسله، تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا.

تقتضي هذه القصة أن يكون الخالق العليم الحكيم قد أراد شيئا بعد التفكر فيه ألوفا من السنين، فلم يتم له ذلك الشيء، ذلك أن البشر لم يخلصوا وينجوا بوقوع الصلب من العذاب، فإنهم يقولون: إن خلاصهم متوقف على الإيمان بهذه القصة وهم لم يؤمنوا بها، ولنا أن نقول: إنه لم يؤمن بها أحد قط؛ لأن الإيمان هو تصديق العقل وجزمه بالشيء، والعقل لا يستطيع أن يدرك ذلك، والذين يقولون: إنهم مؤمنون بها يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تقليدا لمن لقنهم ذلك، فإن سمينا مثل هذا القول إيمانا، نقول: إن أكثر البشر لا يقولون به، بل يردونه بالدلائل العقلية، ومنهم من يرده أيضا بالدلائل النقلية، من دين ثبتت أصوله عندهم بالأدلة العقلية، ومنهم من لم يعلموا بهذه القصة، ومنهم من يقول بمثلها لآلهة أخرى، فإذا عذبهم الله في الآخرة ولم يدخلهم ملكوته كما تدعي النصارى لا يكون رحيما على قاعدة دعاة الصلب والصليب، فكيف جمع بذلك بين العدل والرحمة؟

يلزم من هذه القصة شيء أعظم من عجز الخالق عن إتمام مراده بالجمع بين عدله ورحمته، وهو انتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح؛ لأنه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب؛ لأنه لم يذنب قط، فتعذيبه بالصلب والطعن بالحراب على ما زعموا لا يصدر من عادل ولا من رحيم بالأحرى، فكيف يعقل أن يكون الخالق غير عادل ولا رحيم، أو أن يكون عادلا رحيما فيخلق خلقا يوقعه في ورطة الوقوع في انتفاء إحدى هاتين الصفتين، فيحاول الجمع بينهما فيفقدهما معا؟

إذا كان كل من يقول بهذه العقيدة، أو القصة ينجو من عذاب الآخرة كيفما كانت أخلاقه وأعماله، لزم من ذلك أن يكون أهلها إباحيين، وأن يكون الشرير المبطل الذي يعتدي على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم، ويفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل، من أهل الملكوت الأعلى لا يعذب على شروره وخطيئاته ولا يجازى عليها بشيء، فله أن يفعل في هذه الدنيا ما شاء هواه، وهو آمن من عذاب الله وناهيك بهذا مفسدا للبشر وإذا كان يعذب على شروره وخطيئاته كغيره من غير الصليبيين فما مزية هذه العقيدة؟ وإذا كان له امتياز عند الله في نفس الجزاء فأين العدل الإلهي؟

ما رأينا أحدا من العقلاء، ولا من علماء الشرائع والقوانين يقول: إن عفو الإنسان عمن يذنب إليه، أو عفو السيد عن عبده الذي يعصيه، ينافي العدل والكمال، بل يعدون العفو من أعظم الفضائل، وترى المؤمنين بالله من الأمم المختلفة يصفونه بالعفو، ويقولون: إنه أهل للمغفرة، فدعوى الصليبيين أن العفو والمغفرة مما ينافي العدل مردودة غير مسلمة[1].

رابعا. تعارض أقوال وأفعال المسيح في الإنجيل مع عقيدة الصلب والفداء عند النصارى:

[1] – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٦، ص٢٦: ٢٨.

هناك العديد من الشواهد والأدلة الواردة في الإنجيل التي تتعارض مع عقيدة الصلب والفداء عند النصارى، ومن هذه الشواهد:

أن أصل هذه العقيدة أن المسيح بذل نفسه باختياره فداء، وكفارة عن البشر، مع أن هذه الأناجيل تصرح بأنه حزن واكتأب عندما شعر بقرب أجله، وطلب من الله أن يصرف عنه هذه الكأس. ففي إنجيل متى: "ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب. فقال لهم: نفسي حزينة جدا حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي». ثم تقدم قليلا وخر على وجهه، وكان يصلي قائلا:«يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت». ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياما، فقال لبطرس: «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف». فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا: «يا أبتاه، إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك". (متى ٢٦: ٣٧ – ٤٢). ومثل هذا في لوقا: "لما صار إلى المكان قال لهم: «صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة». وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلا: يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك". (لوقا ٢٢: ٤٠ – ٤٢)، فكيف يقول المسيح هذا وهو إله عندهم، فهل يمكن أن يجهل بما يمكن وما لا يمكن، وأن يطلب إبطال الطريقة التي أراد الآب وهو هو عندهم أن يجمع بها بين عدله ورحمته؟!

ومن الشواهد عليها مسألة اللصين اللذين قالوا: إنهما صلبا معه، قال مرقس: "وصلبوا معه لصين، واحدا عن يمينه وآخر عن يساره. فتم الكتاب القائل:«وأحصي مع أثمة». وكان المجتازون يجدفون عليه، وهم يهزون رؤوسهم قائلين:«آه يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام! خلص نفسك وانزل عن الصليب!» وكذلك رؤساء الكهنة وهم مستهزئون فيما بينهم مع الكتبة، قالوا: «خلص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها! لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب، لنرى ونؤمن!». واللذان صلبا معه كانا يعيرانه". (مرقس١٥: ٢٧ – ٣٢).

وكذلك قال متى: "ثم جلسوا يحرسونه هناك. وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة: «هذا هو يسوع ملك اليهود». حينئذ صلب معه لصان، واحد عن اليمين وواحد عن اليسار. وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: «يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، خلص نفسك! إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب!». وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: «خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها! إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به! قد اتكل على الله، فلينقذه الآن إن أراده! لأنه قال: أنا ابن الله!». وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه. (متى ٢٧: ٣٦ – ٤٤).

وأما لوقا فقد سمى الرجلين اللذين صلبا معه مذنبين، ولكنه قال: "وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا: «إن كنت أنت المسيح، فخلص نفسك وإيانا!» فأجاب الآخر وانتهره قائلا:«أولا أنت تخاف الله، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه؟ أما نحن فبعدل، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل

شيئا ليس في محله». ثم قال ليسوع:«اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك». فقال له يسوع:«الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس». (مرقس ٢٣: ٣٩ – ٤٢)، فكانت نبوءة الكتاب (إشعياء) أنه يصلب مع أثمة بصيغة الجمع، ثم كان الجمع اثنين ولا بأس بذلك، ولكن كيف يقول اثنان من الإنجيليين المعصومين على رأيهم أن الذي عيّره وأهانه هو أحدهما، وهما مثله في عصمته؟

ومثل هذه المخالفات والمعارضات في هذه القصة كثيرة، ومن أظهرها مسألة دفنه ليلة السبت، وقيامه من القبر قبل فجر يوم الأحد، مع أن البشارة أنه يكون في بطن الأرض ثلاثة أيام بلياليها، وهي مدة مكث يونس في بطن الحوت، ومنها مسألة النساء اللواتي جئن القبر، وفيها عدة خلافات في وقت المجيء ورؤية الملك... إلخ[1].

إن وقوع التشابه أمر وارد وواقع يراه الناس ويتلمسونه ويدركونه حق الإدراك، فهو يقع في التوءم، ويقع في غيرهما من المتباعدين الذين يسكنون في أقطار شتى، وبيئات متباينة بين أفراد الجنس البشري، ووقوع شبه المسيح على غيره، سواء كان يهوذا أم غيره له ما يقويه وما يعضده من الأدلة، وهو متحقق من وجهين هما:

١. أنه عهد بين الناس أن يشبه بعضهم بعضا شبها تاما، بحيث لا يميز أحد المتشابهين المعاشرون والأقربون، وقد يكون هذا بين الغرباء كما يكون بين الأقربين، ولعله يقل في الذين يسافرون وينقلبون بين الكثير من الناس من لم يقع له الاشتباه بين من يعرف ومن لا يعرف، وإننا لزيادة البيان نورد قليلا من الشواهد عن الإفرنج الذين يثق دعاة النصرانية عندنا بهم ما لا يثقون بغيرهم؛ لأن هؤلاء الدعاة من أبناء جنسهم أو مقلدتهم.

قال إميل صاحب كتاب "التربية الاستقلالية" حكاية عن كتاب كتبته امرأة الدكتور إراسم إلى زوجها ما نصه: "لقد كثر ما لاحظت أنه يوجد في بعض الأحوال بين شخصين مختلفين في الذكورة والأنوثة والموطن تشابه كالذي يوجد بين أفراد أسرة واحدة، مع أن كلا منهما يكون أجنبيا عن الآخر من كل الوجوه، أتدري من هو الذي حضرت صورته في ذهني عند وقوع بصري على السيدة وارنجتون؟ ذلك هو صديقك يعقوب نقولا، خلتني أراه بذاته في زي امرأة". فهذا مثال لرأي الكاتب في تشابه الناس.

ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات دالة على أنه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الأشخاص، ويشتبهون عليهم بغيرهم، وقد ذكر جاي وفرير مؤلفا كتاب "أصول الطب الشرعي" في اللغة الإنجليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهدا لمعرفة شخص يدعى "مارتين جير"، فجزم أربعون منهم أنه هو هو، وقال خمسون: إنه غيره، والباقون ترددوا جدا ولم يمكنهم أن يبدوا رأيا، ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير، وانخدع به هؤلاء الشهود المثبتون، وعاش مع زوجة مارتين محاطا بأقاربه وأصحابه ومعارفه مدة ثلاث سنوات، وكلهم مصدقون أنه مارتين، ولما حكمت المحكمة عليه – لظهور كذبه بالدلائل القاطعة – استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون، فأقسم عشرة

[1] – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٦، ص٣٧، ٣٨.

منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة: إنه غيره، وتردد الباقون، وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩م في فرنسا.. وأمثالها كثير.

وقد بلغ من شبه بعض الأشخاص بغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم ممن شابههم من الكسور أو الجروح، أو آثارها وغير ذلك؛ حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض، ولذلك جد الأطباء في وضع مميزات لأشخاص البشر المختلفين.

٢. أن هذه الحادثة من خوارق العادات التي أيد الله بها نبيه عيسى ابن مريم، وأنقذه من أعدائه، فألقى شبهه على غيره، وغير شكله هو فخرج من بينهم وهم لا يشعرون، وفي أناجيلهم وكتبهم جمل متفرقة تؤيد هذا الوجه أشرنا إلى بعضها من قبل، ولا شك أن هذا من الممكنات الخاضعة لمشيئة الله وقدرته.

ويمكن أن يستدل على استجابة الله لدعائه بقول يوحنا حكاية عنه في سياق قصة الصلب: "أجابهم يسوع: ألآن تؤمنون؟ هوذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي. قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام. في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا: أنا قد غلبت العالم". (يوحنا ١٦: ٣١ – ٣٣)، وفي هذا المعنى قول متي: " في تلك الساعة قال يسوع للجموع: «كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني! كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل ولم تمسكوني. وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء». حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا. (٢٦: ٥٥، ٥٦)، وقول مرقص: "فأجاب يسوع وقال لهم: «كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني! كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني! ولكن لكي تكمل الكتب». فتركه الجميع وهربوا". (مرقس ١٤: ٤٨ – ٥٠). فهذا نص في أن التلاميذ كلهم هربوا حين جاء الجند ليقبضوا على المسيح، فلم يكن الذين يعرفونه حق المعرفة هنالك.

ومما يدل على استجابة الله دعوته بأن ينقذه ويعبر عنه تلك الكأس عبارة المزامير التي يقولون: إن المراد بها المسيح، وهذا نصها: "أعني يا رب إلهي خلصني حسب رحمتك وليعلموا أن هذه يدك أنت يا رب فعلت هذا، أما هم فيلعنون، وأما أنت فتبارك، قاموا وخزوا، أما عبدك فيفرح، ليلبس خصمائي خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء، أحمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين أسبحه؛ لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه". (المزامير ١٠٩: ٢٦ – ٣١)، وفي العبارات التي ينسوبنها إلى المسيح شواهد أخرى تدور حول هذا المعنى[1].

خامسا. مصادر مسيحية تؤكد نجاة المسيح من الصلب، ووقوع الصلب على شبيهه:

إن من أشهر وأقدم الأناجيل في الديانة النصرانية إنجيل برنابا، وهو أحد مصادر النصرانية الأساسية قبل انعقاد "مجمع نيقية"، ولقد كان برنابا صاحب هذا الإنجيل من أتباع المسيح القائمين على نشر دعوته، والتبشير باقتراب ملكوت السموات، وقد جاء عنه: "وكان هذا الرجل موثوقا به في الكنيسة ثقة تامة ويندب لوعظ الناس المدعوين للدخول في الدين". (الأعمال ٢: ٢٦).

[1] – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٦، ص٣٨: ٤٠ بتصرف.

هذا الرجل وجد له إنجيل مدون، وهو عبارة عن قصة للمسيح كإنجيل متى ولوقا، ومرقس، ويوحنا، منقطع السند كما هي منقطعة السند، وهذا الإنجيل يقول فيه مترجمه د. خليل سعادة: تضاربت فيه آراء الباحثين وتشعبت بخصوصه مذاهب المؤرخين وخبطوا فيه بين ضلالة وهدى، وتلمسوا حقيقته بين رشاد وهوى، واستنطقوا الآثار، والأسفار، واستفسروا الأعصار والأمصار، فما ظفروا بعد كل ذلك بما يشفي منهم عليلا، أو يبرد لهم غليلا.

وهذا الإنجيل كانت نسخته بمكتبة الباب سكتس بروما واختلسها أسقف يقال له "فرامرينو" حين عثر عليها مصادفة، فقرأها واعتنق الإسلام، وذلك في أواخر القرن السادس عشر، ويقول المترجم في مقدمته: إنه يرى أن كاتب إنجيل برنابا يهودي أندلسي متمكن من الديانة اليهودية والاطلاع عليها قد تنصر واطلع اطلاعا عظيما على النصرانية، ثم أسلم واطلع على الديانة الإسلامية، ويرى أن هذا الحل أقرب إلى الصواب، ثم قال: وبعد كل ما تقدم فإن هذا الإنجيل قد أتى على آيات باهرة من الحكمة وطراز راق من الفلسفة الأدبية وأساليب تسحر الألباب ببلاغتها السامية على ما فيها من البساطة في التعبير، وهو يرمي إلى ترقية العواطف البشرية إلى أفق سام وتنزيهها عن الشهوات البهيمية، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، حاثا على الفضائل، مقبحا للرذائل داعيا الإنسان إلى التضحية بنفسه في سبيل الإحسان إلى الناس حتى يزول منه كل أثر للأنانية ويحيا لنفع إخوانه.

وقال ناشره محمد رشيد رضا في مقدمته: "لم نقف على ذكر لإنجيل برنابا في أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول في بيان الكتب التي تحرم قراءتها فقد جاء في ضمنها إنجيل برنابا، وقد تولى جلاسيوس البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد أي قبل بعثة نبينا محمد على أن بعض علماء أوربا يرتابون اليوم في ذلك المنشور، كما ذكر د. سعادة في مقدمته والمثبت مقدم على المنفي.

مهما يكن من أمر فإنجيل برنابا واحد من الأناجيل التي ألفت في قصة المسيح، وإن كان يمتاز عن سائرها بالبلاغة، ودقة التعبير، ويصرح بأمور لعلها هي التي زهدت الكنيسة فيه حتى حرمه البابا جلاسيوس، ومن ذلك: التصريح باسم محمد في كثير من المواضع، وإني أنقل عن إنجيل برنابا لا لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ بل لأن روايته للحوادث أبين، واستقصاءه للأخبار أتم، وإن كان في نظري لا تخلو بعض الموضوعات فيه من المبالغات الشعرية.

على أن د. سعادة مترجم إنجيل برنابا قال في مقدمته بعد أن أفاض في الاحتمالات والآراء في إنجيل برنابا: "بيد أن هناك إنجيلا يسمى بـ "الإنجيل الأغنطسي" طمست رسومه، وعفت آثاره، يبتدئ بمقدمة تندد بالقديس بولس، وينتهي بخاتمة فيها مثل ذلك من إنجيل برنابا، فمن المحتمل أن يكون الإنجيل الأغنطسي أبا لإنجيل برنابا. وأقول: ومن المحتمل أيضا أن كاتب الإنجيل الأغنطسي ألم بما كتبه برنابا في إنجيله واقتبس منه ما أثبته في إنجيله وأن إنجيل برنابا يصح أن يكون أبا للإنجيل الأغنطسي. ولو أن المسيحيين أبقوا جميع الأناجيل ولم تحرم الكنيسة قراءتها لوصلت إلينا، ولو على نوع من التحريف، ولكن ذلك التحريم أعدم تلك الأناجيل وربما كان فيها الكثير الطيب، وإلا فأين الإنجيل الأغنطسي والأناجيل المذكورة في الأناجيل، وأنها وجدت

والأناجيل التي كان الداعون إلى المسيحية كبولس يحذرون الناس من اتباعها كالتي كانوا يقولون إن أصحابها يحرفون إنجيل المسيح([1])؟

ومن المعلوم أن إنجيل برنابا يقرر أن الذي صلب هو يهوذا الإسخريوطي تحديدا، وأن المسيح لم يصلب؛ لذا نجد أن هذا الإنجيل تم استبعاده من قبل الكنيسة، ومن قبل "مجمع نيقية"؛ لأنه يتعارض مع ما يعتنقه الإمبراطور الروماني، والطوائف النصرانية الحاكمة، والموجودة داخل هيكل السلطة، والقوة، والنفوذ، والتغيير، والعجب كل العجب أن تتبع الطوائف النصرانية بولس وتثق به، ولا تتبع برنابا ولا تثق بإنجيله، ومن يراجع صفحة أو صفحات في تاريخ النصرانية، يتبين له الحق، وليقارن بين بولس صاحب عقيدة الصلب والفداء وبرنابا صاحب الإنجيل الشهير ليجد العجب، حيث كان النصارى لا يثقون ببولس، بل كانوا يعتبرونه عدوا للنصرانية، أما برنابا فكان يقرر أن المسيح لم يصلب، وأن الذي صلب هو يهوذا شبيهه، ولكن النصارى لا يأخذون بقوله؟!

أضف إلى ذلك ما نشرته مجلة "المجلة" في عددها الصادر بتاريخ ١٩٩٣/١٠/٩م، برقم (٧١٢) حول اكتشاف عدد من المخطوطات الضائعة من مكتبة الإسكندرية، كانت بنجع حمادي، وعثروا فيما عثروا على أناجيل مكتوبة بالقبطية، كانت قد دفنت يوم أصدرت روما في القرن الرابع الميلادي أمرها بإحراق الأناجيل غير الأربعة. وقد جاء في الأناجيل القبطية المكتشفة: جاء على لسان بطرس: "إن الذي رأيته سعيدا يضحك هو يسوع الحي، لكن من يدخلون المسامير في يديه وقدميه فهو البديل، فقد وضعوا العار على الشبيه"، وورد فيها أيضا على لسان المسيح: "كان آخر هو الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه، كنت أنا في العلاء أضحك لجهلهم"([2])، لا أعلم إلى متى سيكتم النصارى المصادر التي تصرح بعدم صلب المسيح، ووقوع الصلب على شبيهه، وإلى متى لا يعترفون بالحقيقة الواضحة، أم إنهم كما يقول الله سبحانه وتعالى: {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم} (القصص: ٥٠).

سادسا. اختلاف الأناجيل في مسألة الصلب يؤكد أن المسيح لم يصلب:

لم تختلف الأناجيل الأربعة في مسألة من المسائل كاختلافها في تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله، فلا تكاد جزئية من الجزئيات في أحدها تتحد مع الجزئية نفسها في إنجيل آخر، ولما كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم يدعي المسيحيون لهم الإلهام ويعتقدون خلوها من الخطأ، كان ينبغي أن تكون كتابتهم في هذه الحادثة المهمة التي هي مناط النجاة، ودعامة الإيمان في نظرهم متطابقة متوافقة بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلا، إذ النفس لا تطمئن إلى الأخذ بروايات إذا اتفقت في موضع واحد من قصة جاءت في جميعها فإنها تتخالف في مواضع كثيرة، وإذا لم يكن الراوي أمينا كل الأمانة كانت الثقة بروايته ضعيفة والتصديق بها غير سائغ.

فقد خالف مرقس متى، فزاد في شهادة الشهود عليه قول الشاهدين: "إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي، وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد.. فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له: أأنت المسيح ابن

---

[1] – قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص٤٧٩: ٤٨١.

[2] – مدرسة الأنبياء: عبر وأضواء، محمد بسام الزين، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٣٢٩.

المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا في سحاب السماء". (مرقس ١٤: ٥٨ – ٦٢)، فخالف متى في هذه المواضع. وقوله: "المبارك" يريد "داود".

وأما لوقا فقد ضرب صفحا عن طلب شهود زور على المسيح، ولم يذكر سوى قول مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة: إن كنت أنت المسيح، فقل لنا! فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني. منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله. فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو". (لوقا ٢٢: ٦٧ – ٧٠)، فخالف بذلك كلا من سابقيه، ومن المفارقات قول لوقا: إنهم قالوا له: " أفأنت ابن الله"؟ مع أنه لم يدع أنه ابن الله، بل عبر بلفظ "ابن الإنسان".

وأما يوحنا فقد ألغى شهادة الزور وشهوده، وألغى محاكمة الكهنة والشيوخ والكتبة له، ولم يذكر من ذلك شيئا أصلا وهو من أصحاب المسيح وقد شهد ما لم يشهده متى؛ لأنه كان معروفا من رئيس الكهنة، ودخل داره مع يسوع، كما نص على ذلك يوحنا في إنجيله مكذبا مرقس الذي يقول: وهرب منهم عريانا". (مرقس ١٤: ٥٢)، وبعد هذا فشهادة من شهدوا بمسألة نقض الهيكل ليست شهادة زور، فقد جاء في يوحنا: "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه". (يوحنا ٢: ١٩)، فكيف يصح أن يقال: إنهم شهدوا زورا؟

وبعد هذا كله فإن الكهنة، ورئيسهم لم يقولوا: إن سبب الموت هو ما ذكر من هدم الهيكل، وبنائه، بل حين قال لهم: إنه المسيح على رأي مرقس، وإنه سيكون على يمين قوة الله، ومع هذا، فلم يرفعوه إلى الوالي بشيء من هذا، بل قالوا: إنه يفسد الشعب ويقول: إنه ملك اليهود.

قال متى: "ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي. (متى ٢٧: ١، ٢)، ووافقه مرقس غير، أنه لم يذكر صفة بيلاطس ولا جنسيته، واختصر فقال: "فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس". (لوقا ٢٣: ١)، وقال يوحنا: "ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية، وكان صبح. ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا، فيأكلون الفصح". (يوحنا ١٨: ٢٨). وهذه العبارة انفرد بها يوحنا دون الثلاثة.

قال متى: "حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا: قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا. فقالوا: ماذا علينا؟ أنت أبصر! فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء. لهذا سمي ذلك الحقل «حقل الدم» إلى هذا اليوم. حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة، ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل، وأعطوها عن حقل الفخاري، كما أمرني الرب". (متى ٢٧: ٣ – ١٠).

هذا التقرير قد أسقطه أصحاب الأناجيل الثلاثة وخالفه مؤلفه الأبركسيس: "فإن هذا أي يهوذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانكبت أحشاؤه كلها، وصار ذلك معلوما عند سكان أورشليم حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم "حقل دما" أي: حقل دم". (أعمال الرسل ١: ١٨، ١٩)،

فالفرق بين تقرير متى وتقرير سفر الأعمال ظاهر، وإذا أخذنا بأحدهما وجب أن يكون الآخر كاذبا، وعبارة سفر الأعمال تفيد أن مؤلفه ليس عبرانيا؛ بدليل قوله: "في لغتهم".

وبعد هذا فقد نسب متى إلى رؤساء الكهنة شراء حقل الفخاري بالفضة، وحينئذ تم ما قيل بأرمياء إلى آخره.

ونسب القول إلى أرمياء غلط؛ فإن هذا القول لا يوجد في كتب أرمياء فذكر متى لاسم أرمياء غلط يقينا، وورد هذا القول في سفر زكريا، ونصه: "فقلت لهم: «إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا». فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب: «ألقها إلى الفخاري، الثمن الكريم الذي ثمنوني به». فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب. ثم قصفت عصاي الأخرى حبالا لأنقض الإخاء بين يهوذا وإسرائيل". (زكريا ١١: ١١٢ – ١٤).

وبعد فهذا الكلام الذي في زكريا لا تعلق له بالمسيح أصلا، وليس في شأنه، ولكن القوم يتصيدون كل الكلام ويلحقونه بكتبهم المقدسة ليقيموه دليلا على أن الحادثة قد تنبأ بها الأنبياء من قبل، وهي بعيدة من غرضهم بعد السماء من الأرض.

وكذلك فقد اختلفت الأناجيل الأربعة في بسط السبب الذي بنى عليه الوالي صلب المسيح، وكل واحد يخالف الآخر، وإذا قلنا الوالي، فلا نعني بذلك أنه أدان المصلوب أو وجده مذنبا، فإن كل أناجيل القوم مصرحة بأنه لم يجد فيه علة تستوجب الموت، قال متى: "فوقف يسوع أمام الوالي. فسأله الوالي قائلا: «أأنت ملك اليهود؟» فقال له يسوع:«أنت تقول». وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء. فقال له بيلاطس:«أما تسمع كم يشهدون عليك؟» فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة، حتى تعجب الوالي جدا. (متى ٢٧: ١١ – ١٤)، وقد وافقه مرقس: "فسأله بيلاطس:«أأنت ملك اليهود؟» فأجاب وقال له:«أنت تقول». وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيرا. فسأله بيلاطس أيضا قائلا: «أما تجيب بشيء؟ انظر كم يشهدون عليك!» فلم يجب يسوع أيضا بشيء حتى تعجب بيلاطس". (مرقس١٥: ٢ – ٥)، وأما لوقا فأثبت ما لم يثبته متى ومرقس؛ حيث قال: "وابتدءوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يفسد الأمة، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر، قائلا: إنه هو مسيح ملك. فسأله بيلاطس قائلا: أنت ملك اليهود؟ فأجابه وقال: أنت تقول". (لوقا ٢٣: ٢، ٣)، وبدهي أن هذا ضد ما قاله متى من أنه لم يجب بشيء حتى تعجب الوالي.

والمطلع على الأناجيل يعلم فساد تلك الدعاوى بما أثبته أصحابه من قوله: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ومن هربه ممن أرادوا المناداة به ملكا، فلو أنه المسيح نفسه لتبرأ من مقالتهم واستشهد على نقض دعواهم، ولكنه المسكين يهوذا الاسخريوطي الذي دهش للقبض عليه وارتبك عقله واستغرق في التأمل فيما هو قادم عليه من أهوال الموت، فأنساه ذلك الجواب، وقد انفرد لوقا بإحياء هيرودس الذي أثبت موته من قبل، وذكر أن بيلاطس أرسل إليه بيسوع، وكان هيرودس الميت من زمن مديد يتمنى رؤية المسيح، وأراد أن يصنع أمامه آية، فلم يجبه بشيء، وكيف يجيبه أو يصنع آية وليس هو المسيح صاحب الآيات، وإنما هو يهوذ[1]؟

[1] – قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص٥١٦: ٥٢٦ بتصرف.

سابعا. تنبؤات المسيح بنجاته من القتل:

لعله قد تبين لنا مما سبق أن فكرة قتل المسيح كانت دخيلة على رسالته، وأنه بذل كل جهده للعمل ضدها. ويزداد الأمر يقينا حين نرى ما تذكره الأناجيل عن تنبؤات المسيح بنجاته من كل المحاولات التي يبذلها اليهود لقتله. وسوف نكتفي بذكر تلك التنبؤات الواضحة، التي لا يحتاج فهمها إلا لقراءتها فقط:

"فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلا: «تعرفونني وتعرفون من أين أنا، ومن نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه. أنا أعرفه لأني منه، وهو أرسلني». فطلبوا أن يمسكوه، ولم يلق أحد يدا عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد. فآمن به كثيرون من الجمع، وقالوا: «ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا؟». سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه. فقال لهم يسوع:«أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني. ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا». فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين؟ ما هذا القول الذي قال: ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟". (يوحنا ٧: ٢٨ – ٣٦).

لا نظن أن أحدا يشك في وضوح هذا القول الذي يعني رغم أي شيء أن اليهود حين يطلبون المسيح لقتله فلن يجدوه؛ لأنه سيمضي للذي أرسله، أي: سيرفعه الله إليه. ومن الطبيعي أن يقال: إن السماء مكان يعجز اليهود عن بلوغه تعقبا للمسيح، بالإضافة إلى عجزهم عن فهم قوله وتحديد المكان الذي أشار إليه في حديثه هذا، إن هذه النبوءة تقرر شيئا مهما، وهو أن اليهود حين يطلبون المسيح فلن يجدوه، سوف تحدث المعجزة قبل أن يمسكوه، وتتدخل ذراع الرب لإنقاذه قبل أن يلقي أحد عليه الأيادي.

وفي موقف آخر من مواقف التحدي بين المسيح واليهود أكد لهم نبوءته السابقة، وأن محاولاتهم ضده ستنتهي برفعه إلى السماء بعد عجزهم عن الإمساك به: "قال لهم يسوع أيضا: أنا أمضي وستطلبونني، وتموتون في خطيتكم. حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. فقال اليهود: ألعله يقتل نفسه حتى يقول: حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟ فقال لهم: أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم. فقلت لكم: إنكم تموتون في خطاياكم، لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم. فقالوا له: من أنت؟ فقال لهم يسوع: أنا من البدء ما أكلمكم أيضا به. إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم، لكن الذي أرسلني هو حق. وأنا ما سمعته منه، فهذا أقوله للعالم. ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب. فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أني أنا هو، ولست أفعل شيئا من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي. والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه". (يوحنا ٨: ٢١ – ٢٩).

ولقد كانت آخر أقوال المسيح لتلاميذه – في تلك اللحظات التي سبقت عملية القبض مباشرة – هو تأكيده لهم أن الله معه دائما، ولن يتركه: "أجابهم يسوع: ألآن تؤمنون؟ هوذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي. قد كلمتكم بهذا

ليكون لكم في سلام. في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا: أنا قد غلبت العالم". (يوحنا ١٦: ٣١ – ٣٣).

من المؤكد إذن أن ذلك المصلوب الذي تركه إلهه فأطلق صرخة اليأس على الصليب قائلا: "إلهي إلهي، لماذا تركتني". (متى ٢٧: ٤٦) – إنما هو شخص آخر غير المسيح الذي يقول لتلاميذه بكل ثقة ويقين: "أنا لست وحدي لأن الآب معي". وما من شك في أن المصلوب قد غلبه أعداؤه، وقهره الموت وساد عليه بعد أن تجرع كأسه المريرة حتى النهاية. ولهذا يقول بولس: "إن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضا. لا يسود عليه الموت بعد". (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٦: ٩)، نعم لقد ساد الموت على المصلوب كما يسود على كل الموتى كما قرر بولس أما ذلك الذي غلب العالم، فهو الذي حطم الإرادة الشريرة لمن في ذلك العالم من أشرار، فمنع محاولاتهم سحقه، ورد الضربة على رأس الخائن.

"أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب". (متى ٢٣: ٣٩). إن التحدي في هذا القول واضح، ذلك أن المسيح يؤكد لأعدائه أنهم لن يروه منذ تلك الساعة، حتى يأتي في نهاية العالم: "وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحابة بقوة ومجد كثير". (لوقا ٢١: ٢٧). لكن ذلك المصلوب رآه الكهنوت اليهودي أسيرا في قبضته أثناء المحاكمة، ثم رأوه بعد ذلك معلقا على الخشبة قتيلا، قد أسلم الروح والمشيئة، ولم يبق منه إلا جسد خامد، فقد نبض الحياة([1]).

ثامنا. شخصية المسيح لا تتلاقى مع النهاية الاستسلامية التي صنعها كتاب الأناجيل:

إذا كانت الأناجيل مليئة بالتناقضات التي يستحيل قبولها وتصديقها عقليا على المستوى العام، فإنها مليئة بتناقضات أشد استعصاء وأبعد تصديقا في الأحداث الأخيرة في حياة المسيح قبل الصلب المزعوم وبعده، وبوسع أي قارئ غير متخصص أن يدرك هذا بعد قراءة سريعة لصفحات الإنجيل فضلا عن عالم متخصص.

وتعليقا على الأحداث الأخيرة قبيل الصلب المزعوم وتحليلا لها يقول الداعية الإسلامي أحمد ديدات: "لن يظل يسوع كالبطة الساكنة في انتظار القبض عليه خلسة من اليهود، ها هو يهوذا يعد حواريه للخاتمة الوشيكة، وفي حيطة وحذر؛ حتى لا يدخل الخوف على قلوب حواريه، أعد خطة الدفاع، فيقول لهم في لطف: "حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية، هل أعوزكم شيء؟ فقالوا: لا. فقال لهم: لكن الآن، من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا". (لوقا ٢٢: ٣٥، ٣٦).

هذا الإعداد للجهاد، للحرب المقدسة ضد اليهود، لماذا؟ لماذا هذا التحول نحو العنف؟ ألم يسبق له أن نصحهم: "سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا". (متى ٥: ٣٨، ٣٩)، "حينئذ تقدم إليه بطرس وقال: يا رب، كم مرة يخطئ إلى أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات". (متى ١٨: ٢١، ٢٢)، (٧٠ × ٧ = ٤٩٠)، أليس هو الذي أرسل حواريه الاثني عشر

[1] – المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ،القاهرة،ط٢ ،١٩٨٨م، ص٢٠٧: ٢٠٩.

المختارين قائلا لهم: "ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام". (متى ١٠: ١٦).

الموقف والظروف تغيرت، وكأي قائد مقتدر وحكيم، فإن الاستراتيجية يجب أيضا أن تتغير. كان الحواريون قد تسلحوا بالفعل، كانت لهم بصيرة، لم يكونوا قد غادروا الجليل صفر اليدين من السلاح. أجابوا قائلين: "يا رب، هوذا هنا سيفان. فقال لهم: يكفي". (لوقا ٢٢: ٣٨).

يقول المبشرون إبقاء على الانطباع السائد عن يسوع الوديع المسالم أمير السلام: "إن السيوف كانت سيوفا روحية. ولكن إذا كانت السيوف روحية لكان من الواجب أن تكون الملابس أيضا ملابس روحية. ولو كان الحواريون سيبيعون الملابس الروحية لشراء سيوف روحية، فإنهم في هذه الحالة سيكونون عراة روحانيين، وبالإضافة إلى ذلك فإن أحدا لا يستطيع قطع آذان الناس بسيوف روحية، ففي إنجيل متى: "وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة، فقطع أذنه. فقال له يسوع: رد سيفك إلى مكانه. لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون". (متى ٢٦: ٥١، ٥٢)، إن العمل الوحيد للسيوف والبنادق هو القطع والقتل، والناس في عصر المسيح لم تكن تحمل السيوف لتقشير التفاح والموز"[١].

ويستطرد ديدات في تحليل ووصف مشهد القبض على يسوع، فيقول: "تم القبض عليهم نياما، داس عليهم عدوهم بأحذيته الثقيلة، "فلما رأى الذين حوله ما يكون، قالوا: «يا رب، أنضرب بالسيف؟» وضرب واحد منهم بطرس عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. فأجاب يسوع وقال:«دعوا إلي هذا!» ولمس أذنه وأبرأها. (لوقا ٢٢: ٤٩ – ٥١)، ألم يكن يسوع يعرف وجه الحق في قوله السالف، عندما أمر أتباعه أن يبيعوا ملابسهم، ويشتروا بثمنها سيوفا؟ بالتأكيد كان يعرف، إذن فلماذا هذا التناقض الآن؟! لماذا لا يعطي المسيحيون المجادلون سيدهم ومولاهم حقه وقدره؟ لأنهم برمجوا لمدة ألفين من السنين على أن عيسى الحمل الوديع، أمير السلام، لا يستطيع أن يؤذي ذبابة. ويتجاهلون الجانب الآخر في طبيعته الذي يتطلب الدم والنار. وهم يتناسون أوامره إلى أتباعه أن يحضروا أعداءه الذين لا يعترفون بحكمه: "جئت لألقي نارا على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟ ولي صبغة أصطبغها، وكيف أنحصر حتى تكمل؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض؟ كلا، أقول لكم: بل انقساما". (لوقا ١١: ٤٩ – ٥١)([٢]).

ثم يتكلم ديدات عن خطة الخلاص التي يعرضها الإنجيل، فيقول: "إذا كان ذلك هو خطة الله لاتخاذ قربان أخطاء البشرية فإنه يكون قد اختار الفداء غير المناسب، إن الممثل الشخصي لله كان حريصا على ألا يموت. يتسلح، يبكي، يعرق، يصيح، يشكو! وازن بينه وبين شخص آخر كاللورد نلسون بطل الحرب الإنجليزي الذي واجه الموت، بهذه الكلمات الخالدة: "شكرا لله فقد أديت واجبي"، هناك ملايين اليوم يقدمون أرواحهم طواعية، وفي سرور من أجل الملك ومن أجل الوطن بابتسامة على وجوههم، وهم يصيحون "الحمد لله"، أو "الله أكبر"، أو "فلتحيا الملكة". عيسى كان ضحية غير راغبة في ذلك.

---

[١] – أضواء على المسيحية: دراسة تحليلية للكتاب المقدس، أحمد ديدات، ترجمة: د. عادل جلول، دار القارئ، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٦٨، ١٦٩

[٢] – أضواء على المسيحية: دراسة تحليلية للكتاب المقدس، أحمد ديدات، ترجمة: د. عادل جلول، دار القارئ، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٧٤، ١٧٥

إذا كان ذلك حقا بتدبير الله في الخلاص، إذن فهي مؤامرة قاسية، إنه اغتيال بالدرجة الأولى وليس فداء شخصيا.

يقول الميجور بيتس براون في كتابه "حياة قناص في بلاد البنجال" ملخصا عقيدة الفداء المسيحية في جملة واحدة: "لم تتفهم قبيلة واحدة من تلك القبائل الوثنية مثل هذه الفكرة الهائلة، وفيها ما فيها من أن الإنسان كان قد جاء إلى الوجود ملطخا بالخطيئة، وأن هذه الخطيئة التي لم يكن مسئولا عنها كانت في حاجة إلى من يكفر عنها، وأن خالق كل الأشياء كان عليه أن يضحي بابنه الوحيد المولود من صلبه؛ لكي يزيل أثر هذه اللعنة المبهمة[1].

وهكذا نرى المسيحية غير مقنعة لدى المبشرين والمبشرين بها على حد سواء، ومن العجب أن يطلبوا منا أن نقبل هذه الأضاليل التي لا يسوغها عقل سليم، فكيف إذا كان بين أيدينا السراج الساطع، والبرهان الواضح، والتفسير الشامل، أنتركه ونتبعهم؟! ولقد ترتب على بحث قضية الصلب في الأناجيل الكلام للواء أحمد عبد الوهاب ما يلي:

١. اختلفت روايات الأناجيل الأربعة في أحداث الصلب: فقد اختلف الرواة في مقدمة الأحداث مثل قصة مسح جسد المسيح بالطيب، وقصة خيانة يهوذا. كذلك اختلف الرواة في العشاء الأخير وكيفية التحضير له وتوقيته ودور يهوذا، وما قيل عن شك التلاميذ الذي تنبأ المسيح بوقوعهم فيه في تلك الليلة الأخيرة، واختلفت الأناجيل في الليلة الأخيرة وأحداثها، وإن كان هناك اتفاق على أنه في قمة المحنة التي تعرض لها المسيح "تركه التلاميذ كلهم وهربوا".

واختلفوا في المحاكمات وإعدادها وزمانها ومكانها، كما اختلفوا في قصة إنكار بطرس، وكان الخلاف حادا في الصلب، وأحداثه السابقة واللاحقة، ولعل أخطر خلاف وقع هو ما قيل عن توقيت الصلب ويومه، فقد تأرجح ذلك بين يوم الخميس على أحد الأقوال، ويوم الجمعة على أقوال أخرى، وكما اختلفوا في الصلب، فإنهم اختلفوا في الدفن.

٢. واختلفت الروايات التي ذكرت عن نهاية يهوذا، وإن كانت قد اتفقت على أنه هلك في أعقاب حادث الصلب، وفي ظروف غامضة تناظر ما قيل عن هلاك بيلاطس الحاكم الروماني. وهذا الأخير ذكرت بعض الروايات أنه مات ميتة القديسين والشهداء، بينما قالت رواية أخرى أنه مات ميتة الشياطين.

٣. وفي شتى المناسبات رأينا المسيح يرفض كل محاولة لقتله يقول لليهود: "لماذا تطلبون أن تقتلوني"؟ وعند المحاكمة كان المقبوض عليه يقول لمحاكميه: "إن سألت لا تجيبوني ولا تطلقوني". بل في النزع الأخير نجد ذلك المصلوب يصرخ في يأس وحسرة قائلا: "إلهي إلهي لماذا تركتني"؟!

٤. ويكفي أن نورد في موضوع تنبؤات المسيح بنجاته من القتل قوله: "ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا".

---

[1] – أضواء على المسيحية: دراسة تحليلية للكتاب المقدس، أحمد ديدات، ترجمة: د. عادل جلول، دار القارئ، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٧١، ١٧٢.

٥. وأما عن تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل، فقد ظهرت فيها الحقيقة بأوضح ما تكون مؤكدة جميعها نجاة المسيح؛ لأن "الرب يحفظه ويحييه، يغتبط في الأرض، ولا يسلمه إلى مرام أعدائه". (المزامير ٤١: ٢). وجاء على لسان المسيح أيضا: "لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب. تأديبا أدبني الرب، وإلى الموت لم يسلمني". (المزامير ١١٨: ١٧، ١٨)، أما يهوذا الخائن فإنه "سقط في الهوة التي صنع. يرجع تعبه على رأسه، وعلى هامته يهبط ظلمه. أحمد الرب حسب بره، وأرنم لاسم الرب العلي". (المزامير٧: ١٥. ١٧)، وذلك لأن: "معروف هو الرب. قضاء أمضى. الشرير يعلق بعمل يديه". (المزامير ٩: ١٦)، لقد صلب يهوذا، فهكذا تنبأت المزامير.

٦. ولقد اختلف المسيحيون الأوائل في صلب المسيح: اختلفوا فيه كحادث فقال بعضهم: ما صلب المسيح، ولكن صلب أحد تلاميذه. كذلك اختلفوا في الصلب كنظرية تتكلم عن الفداء والخلاص، فرفضه الرافضون، وقالوا: إن الإنسان يعتمد على ركيزتين اثنتين هما: إيمان بالإله الواحد خالق الأكوان، وعمل صالح يثبت ذلك الإيمان ويصدقه. وما عدا ذلك فهو ضلال وضياع.

تلك هي خلاصة النتائج التي انتهى إليها بحث قضية الصلب، وهي تبين أن الصلب يمثل بحق ذروة المشاكل والتناقضات التي تحتويها الأناجيل.

إنه مشكلة رئيسة يكمن حلها في عقل القارئ، وضميره، وهو يستطيع حلها بسهولة بشرط ألا يكون من الذين قال عنهم المسيح: تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة: "اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا. غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه، لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه، ويرجع فيشفى". (إشعياء ٦: ٩، ١٠)[1].

تاسعا. طوائف نصرانية تنكر صلب المسيح:

إذا نظرنا إلى مسألة صلب المسيح وقتله لم نجدها عند المسيحيين مسألة إجماعية، بل وجد من طوائف المسيحيين من ينفي الصلب والقتل، فمن القائلين بذلك: (الساطرسيون – والكاربوكراتيون – والمراكيونيون – والباردیسیانیون – والبارسكاليونيون – والبوليسيون)، هؤلاء مع كثير غيرهم لم يسلموا بوجه من الوجوه بأن المسيح سمر فعلا، ومات على الصليب وما ذكر هنا مقرر في تاريخهم الذي يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية.

ومن القائلين بأن الشخص المصلوب غير عيسى قطعا، وأنه لم تسلط عليه أيدي مضطهدين، بل رفع إلى السماء طوائف: (الدوسيتية – والمرسيونية – والقلنطنيائية)، ونذكر هنا شهادات من بعض علماء النصرانية تفيد المطلع بصيرة:

١. قال المسيو إرادوارسيوس الشهير بمعارضة المسلمين في كتابه "عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية" صفحة ٤٩ قال: "إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه ألقي شبهه على غيره فغلط اليهود

[1] – المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ،القاهرة،ط٢ ،١٩٨٨م، ص٢٨٠: ٢٨٣ بتصرف.

فيه وظنوا أنهم قتلوه، وما قاله القرآن موجود عند بعض طوائف النصارى، وقد صرح إنجيل القديس برنابا باسم الذي صلب بدل عيسى فذكر أنه يهوذا".

٢. ذكر الهرارنست دي بونس الألماني في كتابه "الإسلام أي النصرانية الحق" في صفحة ١٤٢: أن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح من أصول النصرانية الأصلية

٣. قال ملمن في الجزء الأول من كتابه المسمى "تاريخ الديانة النصرانية": "إن تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال أحد المجرمين بالمسيح ممن كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم، كما اعتقدت بعض الطوائف وصدقهم القرآن"([1]).

٤. ألقى البروفسور فنك مؤسس "ندوة عيسى" الشكوك على قصة صلب المسيح إذ كتب: "إن قصة الصلب ليست من الأمور المقطوع بها"، وكتب أيضا: "إن قصة إلقاء القبض على المسيح ومحاكمته وإعدامه هي في معظمها من نسج الخيال"، وكتب: "إن رواية مرقس عن الآلام التي تصل ذروتها بإلقاء القبض على عيسى، ومحاكمته وصلبه هي من نسج خياله القصصي"، وأيضا: "إن قصة الصلب لا تليق أن تحدث للمسيح إطلاقا".

٥. وكتب ويلسون: "ليس هنالك من براهين حقيقية وصادقة لقصة اعتقال عيسى وإعدامه"، وكتب أيضا: "تذكر الأسفار الثلاثة الأولى أن عيسى أسس طقس القربان المقدس خلال، أو بعد الوجبة التقليدية لعيد الفصح اليهودي، فلو صح ذلك لكانت كل تفاصيل القصة: الاعتقال والمحاكمة، والصلب من نسج الخيال، إذ لا يعقل أن يقوم اليهود بخرق أكثر أعيادهم قداسة لأجل محاكمة شخص".

٦. أما البروفسور بورتون ماك فليس لديه أي شك في أن القصة خرافية؛ حيث كتب: "أما بالنسبة لقصة الصلب والقيامة، فإن مرقس – أول من كتب القصة – أخذ الفكرة الأساسية من أسطورة كريستوس، غير أنه تجرأ بأن تخيل كيف يمكن أن تبدو قصة الصلب والقيامة لو كتبها تاريخا فعليا تمت أحداثه في القدس، وهو ما كانت الأسطورة ترفضه، وهكذا يمكننا أن نفهم قصة مرقس باعتبارها دمجا لأحداث عيسى الحقيقي مع أسطورة كريستوس"، وكتب: "كافة القصص في الأسفار الأخرى تبدأ من مرقس فلا يغير أحد من المؤلفين بعد مرقس أساس القصة"، وكتب أيضا: "ثم بعد ذلك صار المسيحيون يتخيلون قصة مرقس الخيالية كما لو كانت تاريخا واقعا".

٧. وكتب البروفسور Geza Vermes ما يلي: "لم يكن النصارى يعتقدون بقصة آلام المسيح ولا بقصة صلبه"، و"إن أحداث محاكمة المسيح من قبل المحكمة اليهودية العليا بتهمة دينية، وصدور الحكم عليه ثم تصديقه من السلطة السياسية، كل هذه الأحداث ليست خارج نطاق الالتباس والريبة"، وفوق كل ذلك نلاحظ أنه لا يوجد في سفر الأقوال، ولا في سفر توما، المكتشف حديثا، أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد

[1] – قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص٥٣٠، ٥٣١.

عن قصة الآلام والصلب، مع أنهما كتبا في وقت مبكر أي حوالي ثلاثين عاما قبل أول ما كتب من الأسفار الأربعة، فلا بد أنهما أقرب إلى الحقيقة فيما يتعلق بحياة عيسى عليه السلام من الأسفار القانونية الأربعة.

٨. كانت رسالة شيث الكبير الثانية Second Treatise of the Great Seth من جملة المخطوطات التي تم اكتشافها في نجع حمادي بمصر سنة (١٩٤٥م)، وقد ورد فيها على لسان المسيح ما يلي: "لقد كان شخصا آخر.. الذي شرب المر والخل، لم يكن أنا.. كان شخصا آخر. كان شخصا آخر الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه، في حين كنت مبتهجا في الأعالي من فوق.. كان خطؤهم وكنت أضحك من جهلهم". (٥٦: ٦ - ٢٠).

٩. كما ورد أيضا في مخطوطة "رؤيا بطرس Apocalypse of Peter"، المكتشفة أيضا في نجع حمادي ما يلي: "لقد رأيته، كما بدا لي في ظاهره، وهم يقبضون عليه فقلت: ماذا أرى؟ يا إلهي! هل أنت حقا الذي أخذوه؟ وهل يدقون المسامير في قدمي ويدي شخص آخر؟ ومن هو هذا الذي فوق الصليب يضحك مبتهجا؟ قال لي: هذا الذي تراه يضحك مبتهجا فوق الصليب هو المسيح الحي، أما الذي يدق المسامير في يديه ورجليه فهو البديل، لقد ألحقوا العار بشبيهه الذي بقي بين أيديهم فانظر إلي، وانظر إليه!". (رؤيا بطرس ٨١: ٤ - ٢٤)[1].

إن القرآن الكريم حسم التخبط واللغط في موضوع الصلب حين قال سبحانه وتعالى: {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧)} (النساء).

عاشرا. مسألة الصلب بين إقرار بولس ورفض المسيح:

نشر ماكيل هـ. هارت وهو مؤرخ بحاثة وعالم رياضيات مشهور كتابا بعنوان "المائة العظام في التاريخ" ووضع لائحة بأسماء هؤلاء المائة العظام، موضحا الأسباب الموجبة لموقع كل واحد منهم في لائحته، ومن المدهش حقا أن يضع محمدﷺ على رأس لائحة المائة وذلك لأسباب وجيهة، في حين أنه وضع عيسى المسيح الرجل الذي يدعوه المسيحيون "الرب" و "المخلص"، ولأسباب وجيهة أخرى، وضعه في المقام الثالث في القائمة.

مع العلم بأن عدد المسيحيين اليوم يزيد على عدد المسلمين بما يقرب من مائتي مليون، فإن موقع عيسى هو الثالث في اللائحة؛ لأن المؤرخ هارت يقول بأن بولس وعيسى هما مؤسسا المسيحية، ولكنه يعطي الفضل الأكبر إلى بولس، وكل مسيحي يسلم بأن المؤسس الفعلي للمسيحية هو بولس، وليس عيسى عليه السلام.

إن أسباب الخلاف بين المسلم والمسيحي حول العقيدة، والإيمان، والأخلاق، والفضائل تعود إلى أقوال بولس في رسائله، كورنثوس، فيلبي، غلاطية، تسالونيكي وغيرها في الكتاب المقدس.

[1] - المسيحية والإسلام والاستشراق، محمد فاروق الزين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٢١: ٢٢٣.

وعلى العكس مما نصت عليه تعاليم المعلم عيسى بأن الخلاص يتم فقط بحفظ الوصايا وتطبيق الناموس: "فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات". (متى ٥: ١٨، ١٩)، يدق بولس هذا مسماره واضعا الوصايا والناموس على الصليب "كولوسي ١٤٠٢ مدعيا أن الخلاص هو فقط في موت وقيامة عيسى المسيح: "لأنه يقول: «الرسائل ثقيلة وقوية، وأما حضور الجسد فضعيف، والكلام حقير». لأننا لا نمدد أنفسنا كأننا لسنا نبلغ إليكم. إذ قد وصلنا إليكم أيضا في إنجيل المسيح. غير مفتخرين إلى ما لا يقاس في أتعاب آخرين، بل راجين إذا نما إيمانكم أن نتعظم بينكم حسب قانوننا بزيادة". (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١٠: ١٤، ١٥). يقول القديس بولس: ليس لدى المسيحية ما تقدمه إلى البشرية غير دم المسيح، فإن لم يمت عيسى ولم يقم من الموت، فلا خلاص في المسيحية!

يقول البروفسور جورغين مولتمان في كتابه "الرب المصلوب": "إن موت عيسى على الصليب هو أساس اللاهوت المسيحي.. وترتكز جميع الأقوال المسيحية عن الرب، والخلق، والخطيئة، والموت على مسألة المسيح المصلوب. كما تنبع كل الأقوال المسيحية عن التاريخ والكنيسة، والإيمان، والقدسية، والمستقبل، والأمل، عن قصة المسيح المصلوب".

وبعبارة موجزة: لا اعتقاد بالصلب.. إذن لا مسيحية!!

إن دعاة المسحية يزعمون أن الخلاص يأتي فقط من "دم الرب عيسى"، ويقولون في ذلك: إن كل أعمالكم نجس فلو قبلتم دم عيسى لغسل الخطايا، ولو قبلتم به على أنه مخلصكم لأصبحتم كملائكة تمشي على الأرض.

ماذا نقول نحن المسلمين ردا على هذا الادعاء المسيحي؟ ليس لدينا جواب أفضل من رد الله على التجمع اليهودي: {وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨)} (النساء).

لقد تبنى بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة من خطايا البشر، وروج لها في رسائله، تلك الرسائل التي لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من ٢٠ عاما، فلقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على ألا يعرف من المسيحية شيئا غيره، وهو يقرر ذلك في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، حيث يقول: " أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا". (رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٣: ١).

ولقد كان ذلك هو ما قبله بولس وإنجيله الذي ذهب يبشر به: "وأما أنتم أيها الإخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور وأبناء نهار... وأما نحن الذين من نهار، فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة، وخوذة هي رجاء الخلاص. لأن الله لم يجعلنا للغضب، بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح،

الذي مات لأجلنا، حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعا معه". (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥: ٤ – ١٠)([1]).

ومن المعلوم أن بولس كان عدو المسيحيين وخصمهم، وأنه لما ادعى الإيمان لم يصدقه جماعة المسيح ولولا أن شهد له برنابا لما قبلوه. وبرنابا يقول في أول إنجيله: إن بولس نفسه كان من الذين بشروا بتعليم جديد غير تعليم المسيح".

وإذا كان بولس مجرد مبشر يهودي بالإنجيل اعتنق النصرانية بدون قبول له من النصارى، لعداوته السابقة للنصرانية، وإذا كان بولس قد أخذ عقيدة الصلب والفداء من الوثنيين الهنود وقام بنسبها للمسيح تلفيقا وزورا، على ما يؤكده علماء النصرانية المنصفون؛ فإننا – أولا وأخيرا – لا نريد أن نقف عند مصب النهر، بل أن نقف عند منبعه، إن الأهم من رأي بولس هو رأي المسيح، هل وافق المسيح على الصلب، وهل سلم نفسه لليهود، وهل تخلى الله عنه؟ ما هو تصورنا لما حدث من خلال تعاليم المسيح، وما ورد على لسانه في الكتاب المقدس، إن عقيدة الصلب والفداء تقتضي أن يبذل المسيح نفسه عن رضا، وطيب خاطر فداء للبشرية، كما يفعل المواطنون حينما يبذلون أنفسهم طواعية في الحروب، ويقبلون على الموت فداء لأوطانهم، فهل كان هذا هو موقف المسيح؟

"منذ بدأ المسيح دعوته حتى آخر يوم فيها، نجد الأناجيل تضع لنا، بين الحين والحين علامات على طريق الرسالة المسيحية، تذكرنا دائما باستبعاد فكرة قتل المسيح مهما وضع من أجل تبريرها من نظريات وفلسفات، فالمسيح صاحب الدعوة الذي يعلم حقيقتها وحدودها، أكثر من بولس وغيره من كتبة الرسائل المسيحية، هو الذي رفض فكرة قتله واستنكرها تماما، ثم هو قد عمل كثيرا لإحباط جميع المحاولات التي رآها تبذل من اليهود لقتله، فلقد حدث أن "ولما كان العيد قد انتصف، صعد يسوع إلى الهيكل، وكان يعلم. فتعجب اليهود قائلين: كيف هذا يعرف الكتب، وهو لم يتعلم؟ أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم، هل هو من الله، أم أتكلم أنا من نفسي. من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم. أليس موسى قد أعطاكم الناموس؟ وليس أحد منكم يعمل الناموس! لماذا تطلبون أن تقتلوني"؟ (يوحنا ٧: ١٤ – ١٩). "أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم. لكنكم تطلبون أن تقتلوني؛ لأن كلامي لا موضع له فيكم. أنا أتكلم بما رأيت عند أبي، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم». أجابوا وقالوا له:«أبونا هو إبراهيم». قال لهم يسوع:«لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم! ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم". (يوحنا ٨: ٣٧ – ٤٠).

ولما كان المسيح يخشى على حياته من القتل، فإنه اتخذ من الاحتياطات ما يجنبه الوقوع في براثن أعدائه من اليهود؛ فقد " وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ، فدفع إليه سفر إشعياء النبي.. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه.. فامتلأ غضبا جميع

[1] – المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ،القاهرة،ط٢ ،١٩٨٨م، ص١٩١، ١٩٢.

الذين في المجمع حين سمعوا هذا، فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل. أما هو فجاز في وسطهم ومضى. (لوقا ٤: ١٦ – ٣٠).

"فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه. فعلم يسوع وانصرف من هناك". (متى ١٢: ١٤، ١٥). "فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا". (يوحنا ٨: ٥٩). "وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل؛ لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية؛ لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه". (يوحنا ٨: ١). "فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه، فلم يكن يسوع أيضا يمشي بين اليهود علانية، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها أفرايم، ومكث هناك مع تلاميذه". (يوحنا ١١: ٥٣، ٥٤).

وفي الساعات العصيبة، أو الساعات الأخيرة للمسيح بين الناس نجده يصرخ بكل قوته طالبا النجاة، فما كانت فكرة سفك دمه فدية عن خطايا الكثيرين إلا سرابا علق برسالته فيما بعد. إن الذين يرفضون هذا القول، إنما يلحقون بالمسيح صفات يبرئه منها كل مؤمن وعاقل. إن الأناجيل ترينا وخاصة في الساعات الأخيرة مواقف حاكمة، ترفض كلها فكرة قتل المسيح، وتقطع كل صلة بينها وبين رسالته ومن هذه المواقف ما يلي:

١. في نهاية الفترة التي سبقت عملية القبض مباشرة، كان آخر ما نطق به المسيح في صلاته، هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأنه المسيح رسول الله، فقال: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته". ثم أعقب المسيح ذلك مباشرة بتقرير واضح لا لبس فيه ولا إبهام بين فيه أن الرسالة التي بعثه الله بها قد اكتملت؛ فقال: "أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته". (يوحنا ١٧: ٣، ٤). لقد اكتملت رسالة المسيح تماما قبل حادث الصلب، فمن الذي يفتي بما يخالف شهادة المسيح؟!

٢. وينطق كل مشهد من مشاهد المعاناة في النصوص الحديثة برفض المسيح فكرة قتله: "ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وابتدأ يدهش ويكتئب. فقال لهم: «نفسي حزينة جدا حتى الموت! امكثوا هنا واسهروا». ثم تقدم قليلا وخر على الأرض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن. وقال:«يا أبا الآب، كل شيء مستطاع لك، فأجز عني هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت». ثم جاء ووجدهم نياما، فقال لبطرس:«يا سمعان، أنت نائم! أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف». ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه. ثم رجع ووجدهم أيضا نياما، إذ كانت أعينهم ثقيلة، فلم يعلموا بماذا يجيبونه. ثم جاء ثالثة وقال لهم:«ناموا الآن واستريحوا! يكفي! قد أتت الساعة! هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة. قوموا لنذهب! هوذا الذي يسلمني قد اقترب". (مرقس ١٤: ٣٣ – ٤٢).

٣. وحين شعر المسيح بالخطر يقترب منه وقوة الظلم تتقدم للقبض عليه، كانت صيحته لتلاميذه: "قوموا ننطلق؛ هوذا الذي يسلمني قد اقترب". (متى ٢٦: ٤٦). لقد كان يطلب بإلحاح إلى تلاميذه أن ينهضوا لمعونته

في الانطلاق بعيدا عن المحنة الوشيكة، إلا أنهم كانوا "نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه" وتركوه وحيدا يعاني آلامه.

٤. وحين جاءت قوة الظلم وتقدم يهوذا ليدلهم على سيده: "قال له يسوع: يا صاحب، لماذا جئت"(متى ٢٦:٥٠)

٥. وفي المحاكمة: "ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب: رؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين: إن كنت أنت المسيح، فقل لنا! فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني". (لوقا ٢٢: ٦٦ – ٦٨)، وهنا نجد أن المسئول لو جاوبهم، فلن تخرج الإجابة عن أحد قولين، لا ثالث لهما:

- نعم، أنا المسيح.
- لا، لست أنا المسيح.

ومن الواضح أن كل من يؤمن بروايات الأناجيل عن أحداث الصلب، سوف يرفض حتما الإجابة الثانية، وبذلك تبقى الإجابة الأولى، والتي يمكن أن توضع في الصيغة الآتية: "فقال لهم: نعم، أنا المسيح، لكنكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبونني، ولا تطلقونني"، وسواء وضعت الإجابة الأولى في الصيغة المقترحة، أم لم توضع، فالنتيجة التي لا مفر من قبولها تقول: بفرض أن الذي يستجوبه الكهنوت اليهودي هو المسيح، فمن الواضح أنه كان يطلب إطلاق سراحه. وبذلك لا يوجد محل لأي قول يقول: إنه جاء ليبذل نفسه فدية عن كثيرين.

ومن الواضح أيضا أنه باستخدام القول الثاني، فإن إجابة المقبوض عليه يمكن أن تأخذ الصيغة التالية: "فقال لهم: لا، لست أنا المسيح الذي تطلبونه، لكنكم لا تصدقون. وإن سألت النجاة لا تجيبونني ولا تطلقونني". وسواء كان هذا أو ذاك، فإن ما جاء في هذه المحاكمة يلغي كل ما يقال عن نظرية قتل المسيح.

٦. ونصل الآن إلى الشهادة الأخيرة، التي تنسبها الأناجيل للمصلوب في الرمق الأخير، ألا وهي: صرخة اليأس على الصليب. من يسمع قول مصلوب يصرخ إلى ربه "بصوت عظيم قائلا: إلوي إلوي، لما شبقتني؟ الذي تفسيره: إلهي إلهي لماذا تركتني"؟ (مرقس ١٥: ٣٤)، من يسمع هذا ثم يقول إن المسيح "بذل نفسه لأجل خطايانا؛ لينقذنا من العالم الحاضر الشرير". (رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ١: ٤)، وإنه "بذل نفسه فدية لأجل الجميع". (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تيموثاوس٢: ٦)، أو إنه "إذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب". (رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ٢: ٨)، أو إنه "بعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله، منتظرا بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئا لقدميه". (الرسالة إلى العبرانيين١٠: ١٢، ١٣)؟!

منذ ما يقرب من ٢٠٠٠ عام وقف المسيح يعلم الكهنوت اليهودي مشيئة الله، فقال لهم: "لو علمتم ما هو؛ إني أريد رحمة لا ذبيحة". (متى ١٢: ٧)، وحتى اليوم لا يزال الكثيرون مصرين على تجاهل مشيئة الله، فيرفضون الرحمة، ويقبلون الذبيحة [١]!

إننا نظلم عيسى ونغمطه حقه إذا قلنا: إنه كان يبكي كامرأة لينقذ جسده من الآلام الجسمية، سوف يحملون منطقا زائفا لو أنهم نجحوا في قتل أي واحد على أنه المسيح، سوف يتأكدون حينئذ أنه دعا؛ لأن الله العلي القدير لم يكن ليسمح أبدا بقتل المسيح الحق، ومن هنا كان الرفض الدائم لليهود لعيسى ابن مريم على أنه المسيح الذي وعدوا به "الرفض الأبدي"[٢].

حادي عشر. نهاية يهوذا خير شاهد على صدق القرآن وتحريف الإنجيل:

اتفقت النصارى على القول بأن يهوذا الإسخريوطي هو الذي دل على يسوع المسيح، وكان يهوذا هذا رجلا عاميا من بلدة تسمى "خريوت"، تبع المسيح وصار من خواص أتباعه الذين يلقبونهم بالتلاميذ الاثني عشر، الذين بشرهم بأنهم يكونون معه في الملكوت على اثني عشر كرسيا، ويدينون بني إسرائيل، أي: يحاسبونهم يوم الدين، ومن الغريب أن يهوذا كان يشبه المسيح في خلقه، كما نقل "جورج سايل" الإنكليزي في ترجمته للقرآن المجيد، في تعليقه على سورة آل عمران، وعزا هذا القول إلى "السيرنثيين والكربوكراتيين" من أقدم فرق النصارى الذين أنكروا صلب المسيح، وصرحوا بأن الذي صلب هو يهوذا الذي كان يشبهه شبها تاما.

وقالوا: "حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا: قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا». فقالوا:«ماذا علينا؟ أنت أبصر!» فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه". (متى ٢٧: ٣ – ٥)، وغرضنا من هذا الخبر بيان أنهم معترفون بأن يهوذا فقد بعد حادثة الصلب، ولم يظهر في الوجود، وأنهم يدعون أن سبب هذا هو قتل نفسه من الحزن والأسف. ونحن نرى أنه إنما فقد؛ لأنه هو الذي صلب، والمسيح هو الذي نجاه الله ورفعه، فإن الذي يحمله حزنه وألم نفسه على أن يبخع نفسه بيده خنقا أو شنقا لا يستبعد منه أن يسلبها بالاستسلام إلى من يتولى ذلك عنه فإنه أهون عليه، فمن المعقول أن يكون يهوذا عندما دل اليهود على المسيح في الليل رأى بعينيه عناية الله بإنجائه وإنقاذه من بين أيديهم "كما أنجى أخاه محمدا عليهما الصلاة والسلام من أيدي كفار قريش، وكانوا أشد معرفة له من معرفة اليهود للمسيح لأنهم لم يكونوا يحتاجون إلى بذل المال لمن يدلهم عليه، كما بذلت اليهود ثلاثين قطعة من الفضة ليهوذا فخرج ليلة الهجرة من بين الذين كانوا ينتظرونه عند داره ليقتلوه ولم يبصروه"، فلما رأى يهوذا ذلك وعلم درجة عناية الله بعبده ورسوله عظم ذنبه في نفسه، واستسلم للموت ليكفر الله عنه ذنبه كما كفر ذنب الذين اتخذوا العجل من بني إسرائيل بقتل أنفسهم فأخذوه وصلبوه من غير مقاومة تذكر، فرواية الإنجيل وسفر الأعمال عن وجدانه مخنوقا أو مشنوقا غير مسلمة، وقد تعارض القولان فتساقطا، ووجب اعتماد قول برنابا الذي أخذ به بعض قدماء النصارى.

---

[١] – المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ،القاهرة،ط٢ ،١٩٨٨م، ص٢٠٢: ٢٠٦.

[٢] – أضواء على المسيحية: دراسة تحليلية للكتاب المقدس، أحمد ديدات، ترجمة: د. عادل جلول، دار القارئ، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٧١.

وإذا كان إيمان يهوذا قويا إلى هذه الدرجة درجة الانتحار والبخع من ألم الذنب فليت شعري، لماذا لا تقبل توبته ولا ينفعه إيمانه حتى ادعوا أنه مات كافرا، وأن كرسيه في الملكوت سيبقى خاليا، وبشارة المسيح لا تكون صادقة؟ ولماذا تقبل توبة بطرس الذي أنكر المسيح ولعنه المسيح في حياته وسماه شيطانا، على أن توبته دون توبة يهوذا، وما كان يهوذا إلا متمما لذريعة الفداء التي هي أساس الدين عندهم".

"إن ما اتفق عليه متى ولوقا وصمت عنه مرقس ويوحنا هو أن يهوذا الخائن قد هلك في ظروف مريبة، لكن روايتهما اختلفت في ثلاثة عناصر:

الأول: كيفية موته، وفيها يروي متى أن يهوذا قد انتحر بخنق نفسه، بينما يروي لوقا أنه مات ميتة دموية، انشق فيها وسطه وانسكبت جميع أحشائه.

الثاني: يتعلق بمشتري الحقل، فيروي متى أن رؤساء الكهنة هم الذين اشتروه، بينما يروي لوقا أن يهوذا كان هو الشاري.

الثالث: كذلك اختلفت روايتا متى ولوقا في سبب تسمية الحقل باسم: حقل دم، فرواية متى ترجع ذلك لكونه قد اشترى بنقود كانت ثمنا بيع به دم بريء، بينما يرد لوقا تلك التسمية إلى الميتة الدموية التي ماتها يهوذا.

إن ما يذكره متى ولوقا عن هلاك يهوذا لا يعني إلا شيئا واحدا هو: أن يهوذا قد اختفى في فترة الاضطراب التي غشيت أحداث الصلب وملابساته. وإذا كان هناك من يعطي أيا من هاتين الروايتين قدرا من الثقة، فإن ذلك القدر يمكن تقييمه بمقارنتهما بما ترويه المصادر المسيحية القديمة عن هلاك بيلاطس.

عجبا، وأي عجب... لقد جعلت القصة الأولى من بيلاطس شهيدا، تتسلم رأسه ملائكة السماء؟! في حين جعلت منه القصة الثانية شيطانا، ترتع في جسده الشياطين؟! على أن ما يعنينا هو التشابه الملحوظ بين نهايتي كل من يهوذا وبيلاطس، فقد وجدت روايات تقول أن كلا منهما أهلك نفسه انتحارا، بينما وجدت روايات أخرى تقول بعكس ذلك. فأيهما نرفض، وأيهما نصدق؟!!

إن ذلك يعني شيئا جوهريا لا مناص من الأخذ به في كل ما يتعلق بالعقائد، والروايات الدينية، ألا وهو أن تخضع جميعها للبحث والتمحيص على ضوء ما ميز به الله الإنسان من عقل وفكر، وعندئذ يستطيع الإنسان أن يميز الخبيث من الطيب، والحق من الضلال، أما أن يدعي الناس إلى إبطال عقولهم، والتسليم بكل ما يقال عنه أنه كتاب مقدس، باعتبار "أن كل الكتاب هو موحى به من الله"، فتلك مغامرة لها باب واسع يستطيع التوصيل بسرعة إلى الهلاك الأبدي[1].

إن ما يحكيه متى عن نهاية يهوذا يتعارض كما بينا مع ما يحكيه لوقا، والقاعدة الأصولية في المتعارضين إذا لم يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح أحدهما على الآخر أن يقال: "تعادلا فتساقطا"، وبهذه القاعدة التي لا

[1] – المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ،القاهرة،ط٢ ،١٩٨٨م، ص١٨٣: ١٨٨.

مندوحة عن القول بها في هذه القصة وغيرها من التعارض في هذه الأناجيل اتقاء الوقوع في الترجيح بغير مرجح.

إذن فرواية متى عن نهاية يهوذا ساقطة وكذلك رواية لوقا، فإذا أضفنا إليها إنجيل مرقس ويوحنا، صار عندنا أربعة أناجيل لا يوجد بها رواية صريحة وصحيحة لنهاية يهوذا، وإننا بناء على ما سبق لا يسعنا إلا أن نتوجه إليهم بالسؤال قائلين: كيف كانت نهاية يهوذا عندكم يا كتاب الأناجيل ويا أصحاب المعرفة والعلم؟!

إن الإجابة المتوقعة هي: ليس في الإمكان أفضل مما كان، وما كان للأسف الشديد من رواية متى ولوقا ساقط، لا يعتد به! وإذا سألنا: لماذا لا يقبل النصارى إلقاء شبه المسيح على يهوذا، أو غيره وصلبه بدلا من المسيح؟ وهل هذا الأمر صعب الحدوث على أرض الواقع؟

يجيب عن هذا السؤال د. عبد الوهاب النجار فيقول: مما يسهل إلقاء شبه المسيح على غيره هذه الحادثة التي ذكرها متى في إنجيله، ونصها: "وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين. وتغيرت هيئته قدامهم، وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور. وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه. فجعل بطرس يقول ليسوع: «يا رب، جيد أن نكون ههنا! فإن شئت نصنع هنا ثلاث مظال: لك واحدة، ولموسى واحدة، ولإيليا واحدة». وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم، وصوت من السحابة قائلا:«هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا». ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا. فجاء يسوع ولمسهم وقال: «قوموا، ولا تخافوا». فرفعوا أعينهم ولم يروا أحدا إلا يسوع وحده". (متى ١٧: ١. ٨).

وقد ذكر هذه الحادثة أو المعجزة كل من مرقس ولوقا، وأغفلها يوحنا، ومن العجيب أنه كان أحد شهودها، ومع ما بينهم من التناقض في عدد الأيام فقد اتفقوا على حصولها في الجملة، إن هذا التغيير الذي يقرون به في هيئة المسيح في وجهه وثيابه يفسر لنا بأجلى بيان إلقاء شبهه على غيره وتغير هيئته، حتى إن الذين أتوا للقبض عليه أخذوا من ألقى عليه شبه المسيح فوقع في الورطة ونجا عيسى عليه السلام[١].

ثاني عشر. كلام الإمام الرازي مقطوع من سياقه:

وأما كلام الإمام الرازي المستدل به فكلام مقطوع من السياق، إيهاما للمسلمين بأن أحد علماء المسلمين ينكر أن عيسى شبه لهم، ولو رجعنا إلى مصدر كلامه لعلمت تدليس هؤلاء المدلسين.

والذي ذكره الإمام الرازي هو سؤال أي: اعتراض نقله عن أصحابه نقلا أمينا بكامل أدلته كعادة علمائنا في المنهجية والأمانة العلمية، ثم أعقب هذا السؤال بعدة أجوبة عليه من علماء الأمة، ولما وجد أن هذه الأجوبة لا تسلم من الاعتراض ولم ترق إلى الأجوبة العقلية المقنعة من وجهة نظره فوض حقيقة الأمر إلى علم الله فقال: "وهذه الوجوه متعارضة متدافعة، والله أعلم بحقائق الأمور".[٢][٣]

---

[١] – قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص٥٠٧، ٥٠٨.

[٢] – مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، عند تفسير قوله تعالى: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم).

[٣] – الشبهة والجواب كاملا عن: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط٢٠١٢/١.

٢١- إنّ القرآن ينكر صلب المسيح والأناجيل تثبته، وهل كان الصلب أولا ثم القتل أم القتل ثم الصلب، وفي هذه الآية مشاكل : {وَقَوْلِهِمْ (أي اليهود) إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ} (النساء: ١٥٧).

١ - لقد قوَّل القرآن اليهود ما لم يقُولُوه، فمن المفترض (عقلاً ومنطقياً) أن اليهود لم يقولوا إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فلو أنهم اعتقدوا أنه رسول الله لما صلبوه وقتلوه.

٢ - أليس من المنطقي أن الصلب يسبق القتل؟ فكان الأصوب أن يقول وما صلبوه وما قتلوه .

٣ - صلب المسيح حادثة حقيقية مؤيَّدة بالنبوات والتواريخ والمؤرخين اليهود والرومان من أمثال فيلو ويوسيفوس فكيف ينكرها القرآن بعد ٦٠٠ سنة من حدوثها، والبيّنة على من ادَّعى؟ .

٤- ناقض القرآن نفسه، فهو يقول {ما قتلوه} ولكنه يقول {إني متوفِّيك} (آل عمران: ٥٥) ويقول {فلما توفَّيتني} (المائدة: ١١٧) و يقول {والسلام عليَّ يوم وُلدت ويوم أموت} (مريم: ٣٣).

٥ - إن قتلوه ترجع لليهود فلماذا ينكر المسلمون تاريخية الصليب؟ ولماذا لا يكون المعنى أن اليهود صلبوا المسيح فعلاً (تاريخياً) ولكن لم يصلبوه أثراً، أي لم تتحقق لهم النتيجة المرجوَّة من صلبه وهي اندثار دعوته إن القرآن نفسه يعترف بقتل بعض الناس دون أن يعترف بوفاتهم، فيقول: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} (البقرة ٢: ١٥٤).

الرد :

١- **فلو أنهم اعتقدوا أنه رسول الله لما صلبوه وقتلوه** عن قوله: { وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله }والمعنى: أي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء، كقول المشركين: {يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون}(الحجر: ٦)، فكفار قريش يصفون النبيﷺ بالجنون، ولا يؤمنون بأن القرآن (ذكر)، ولا يصدقون بنزوله على النبي ﷺ، وقولهم: {نزل عليه الذكر} خرج مخرج السخرية منه، أو بمعنى: (يا أيها الذي يزعم أنه نزل عليه الذكر). ومثله أيضا ما حكاه الله تعالى من قول كفار قوم شعيب عليه السلام {قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد} (هود: ٨٧)، أي (أنت الذي تزعم أنك الحليم الرشيد). ومثله كذلك خرج مخرج السخرية والاستصغار للمشرك حين يدخل النار قول الله تعالى: {ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمترون} (الدخان:٥٠)، أي (كنت تزعم أنك العزيز الكريم). فمن عرف ما عرف العرب لم ينكر ما سكتوا عنه، فإن القرآن نزل بلسانهم، ووفق طرائقهم في البيان والتعبير، ومنها التهكم والحكاية.

٢- هل صُلب المصلوب ثم مات على الصليب أم قتل ثم صُلب ؟

لنلاحظ الدقة في قول: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ} وقد وجه النصارى سؤال عجيب لهذه الآية وضح من خلال هذا السؤال أمر خطير وهو : أليس من المنطقي أن الصلب يسبق القتل؟ فكان الأصوب أن يقول وما صلبوه وما قتلوه ؟ ولكن عهدهم القديم يقول: بسفر التثنية : ٢١: ٢٢ (و اذا كان على انسان خطية حقها

الموت فقتل وعلقته على خشبة) وبسفر يشوع ٨: ٢٣ (و اما ملك عاي فامسكوه حيا و تقدموا به الى يشوع ٨: ٢٤ و كان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم و سقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا ان جميع اسرائيل رجع الى عاي و ضربوها بحد السيف ثم بعد ضربه بحد السيف { أي قُتل } ٨: ٢٩ و ملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء) و بسفر استير ٩: ١٠ كذلك، إذن من خلال ما جاء بالعهد القديم وقوانين الصلب نجد أنه لا يُصلب أحد إلا بعد قتله أولا ، وبهذا فكل النصوص والفقرات الواردة عن قصة صلب اليسوع باطلة، لأنه لا يصلب أحد إلا بعد قتله أولاً.

٣- **يدعي النصارى أن المسلمين بقولهم بنجاة المسيح من الصلب ينكرون حقيقة تاريخية** أجمع عليها اليهود والنصارى الذين عاصروا صلب المسيح ومن بعدهم. فكيف لنبي الإسلام وأتباعه الذين جاءوا بعد ستة قرون من الحادثة أن ينكروا صلب المسيح؟!! عند التأمل في شهادة الشهود تبين لنا تناقضها وتفكك رواياتهم. ولدى الرجوع إلى التاريخ والتنقيب في رواياته وأخباره عن حقيقة حادثة الصلب، ومَن المصلوب فيها؟

يتبين أمور مهمة: أن قدماء النصارى كثر منهم منكرو صلب المسيح، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق مسيحية كثيرة أنكرت الصلب. وهذه الفرق هي: الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والبارديسيانية والسيرنثيون والبارسكاليونية والبولسية والماينسية، والتايتانيسيون والفلنطانيائية والهرمسيون.

وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول ففي كتابه "الهرطقات مع دحضها " ذكر القديس الفونسو ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري: إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشح ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي، وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء [1]. ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول المفسر جون فنتون شارح متى (ص ٤٤٠): " إن إحدى الطوائف الغنوسطية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلاً من يسوع"[2]. وقد نقل أوريجانوس تقليداً شائعاً في عهده بأن يسوع كانت يستطيع في حياته أن يغير شكله وقتما وكيفما يشاء، ويقول إن هذا كان السبب في ضرورة قبلة يهوذا الخائن؛ وإلا فإن المسيح كان معروفاً لدى عموم أهل أورشليم [3].

وقد استمر إنكار صلب المسيح، فكان من المنكرين الراهب تيودورس (٥٦٠م) والأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص (٦١٠م) وغيرهم.

ولعل أهم هذه الفرق المنكرة لصلب المسيح الباسيليديون الذين تعتبرهم الموسوعة الكاثوليكية في نسختها الإنجليزية من أهم الفرق النصرانية في القرن الثاني؛ وقد نقل عنهم سيوس في " عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية " والمفسر جورج سايل القول بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني، وسماه بعضهم سيمون السيرناي، ولعل الاسمين لواحد. وهذه الفرقة كانت تقول أيضاً ببشرية المسيح، يقول باسيليوس الباسليدي: "

---

[1] - Bruce Metzger , Canon of the new testament , page 79 نقلا عن هل افتدانا المسيح على الصليب؟(ص ٤٥)المؤلف: منقذ بن محمود السقار الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

[2] - المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، ص (٢٧٣، ٢٧٤) ط٢. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٤٠٨هـ. ، وانظر تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ٢٠٧)، وقاموس الكتاب المقدس، ص (١١١٢). عن السقار المرجع السابق ص ٤٦

[3] - دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٠ - ٤١). عن هل العهد الجديد كلمة الله؟ للسقار ص ٤٦

إن نفس حادثة القيامة المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح".

ولعل هؤلاء المنكرين لصلب المسيح قديماً هم الذين عناهم جرجي زيدان حين قال: " الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب، وإنما صلب رجل آخر مكانه "[1].

ومن هذه الفرق التي قالت بصلب غير المسيح بدلاً عنه: الكورنثيون والكربوكراتيون والسيرنثيون. يقول جورج سايل: إن السيرنثيين والكربوكراتيين، وهما من أقدم فرق النصارى، قالوا: إن المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل، وإنما صلب واحد من تلاميذه، يشبهه شبهاً تاماً، وهناك الباسيليديون يعتقدون أن شخصاً آخر صلب بدلاً من المسيح. وثمة فِرق نصرانية قالت بأن المسيح نجا من الصلب، وأنه رفع إلى السماء، ومنهم الروسيتية والمرسيونية والفلنطنيائية. وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح، ويرون القول بصلب المسيح وإهانته لا يلائم البنوة والإلهية [2].

كما تناقل علماء النصارى ومحققوهم إنكار صلب المسيح في كتبهم، وأهم من قال بذلك الحواري برنابا في إنجيله، ويقول ارنست دي بوش الألماني في كتابه " الإسلام: أي النصرانية الحقة " ما معناه: إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا في أصول النصرانية الأصلية.

ويقول ملمن في كتابه " تاريخ الديانة النصرانية ": " إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس، وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف، وصدقهم القرآن " [3]. و أخيراً نذكر بما ذكرته دائرة المعارف البريطانية في موضوع روايات الصلب حيث جعلتها أوضح مثال للتزوير في الأناجيل [4].

وأما الطائفة التي يسميها القس الخضري بالرومانسيين (القرن التاسع عشر) فقد ذكروا أن المسيح "أنزل من على الصليب فاقد الوعي، وعالجه أطباء أسينيون إلى أن استرد قوته وظهر لتلاميذه الذين اعتقدوا أنه مات" [5]، وإذا كان هؤلاء جميعاً من النصارى، يتبين أن لا إجماع عند النصارى على صلب المسيح، فتبطل دعواهم بذلك.

ويذكر معرِّب " الإنجيل والصليب " ما يقلل أهمية إجماع النصارى لو صح فيقول: إن العالم المسيحي العظيم الذي أطبق على ترك السبت خطأ ١٩٠٠ سنة، هو الذي أطبق على الصلب. وأما إجماع اليهود فهو أيضاً لا يصح القول به، إذ أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس المعاصر للمسيح والذي كتب تاريخه سنة ٧١م أمام

---

[1] – أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ص (٧٥)، الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي، ص (٤٦٥ – ٤٦٦)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٥٠٣)، عقيدة الصلب والفداء، محمد رشيد رضا، ص (١٠١). عن السقار هل العهد الجديد كلمة الله؟ ص ٤٧

[2] – الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي، ص (٤٦٥)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٥٠٣).مرجع سابق .

[3] – الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي، ص (٣٦٦)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٥٠٣).

[4] – دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعد، ص (٥٣٠ – ٥٣١). عن السقار هل العهد الجديد كلمة الله؟ ص ٤٧

[5] – تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ١٥٨) وهل حقاً قام المسيح؟ د. صموئيل حبيب، ص (٣٩). عن السقار هل العهد الجديد كلمة الله؟ ص ٤٧ . مرجع سابق .

طيطوس لم يذكر شيئاً عن قتل المسيح وصلبه. أما تلك السطور القليلة التي تحدثت عن قتل المسيح وصلبه في كتابه، فهي إلحاقات نصرانية كما جزم بذلك المحققون وقالوا: بأنها ترجع للقرن السادس عشر، وأنها لم تكن في النسخ القديمة [1]. ولو صح أنها أصلية فإن الخلاف بيننا وبين النصارى ومن وافقهم قائم في تحقيق شخصية المصلوب، وليس في وقوع حادثة الصلب. {وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه} (النساء: ١٥٧)، وهذا حال اليهود والنصارى فيه.

ولكن قد يقال: إن المؤرخ الوثني تاسيتوس كتب عام ١١٧م كتاباً تحدث فيه عن المسيح المصلوب. وعند دراسة ما كتبه تاسيتوس، يتبين ضعف الاحتجاج بكلامه، إذ هو ينقل إشاعات ترددت هنا وهناك، ويشبه كلامه أقوال النصارى في محمد ﷺ في القرون الوسطى.

ومما يدل على ضعف مصادره وتخبطه، ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية، من أنه ذكراً أموراً مضحكة، فقد جعل حادثة الصلب حادثة أممية، مع أنها لا تعدو أن تكون شأناً محلياً خاصاً باليهود، ولا علاقة لروما بذلك ، ومن الجهل الفاضح عند هذا المؤرخ، أنه كان يتحدث عن اليهود – ومقصده: النصارى. فذكر أن كلوديوس طردهم من رومية، لأنهم كانوا يحدثون شغباً وقلاقل يحرضهم عليها " السامي " أو " الحسن " ويريد بذلك المسيح. ومن الأمور المضحكة التي ذكرها تاسيتوس قوله عن اليهود والنصارى بأن لهم إلهاً،

رأسه رأس حمار، وهذا هو مدى علمه بالقوم وخبرته.

كما قد شكك المؤرخون بصحة نسبة العبارة إلى تاسيتوس، ومنهم العلامة أندريسن وصاحبا كتابي " ملخص تاريخ الدين " و " شهود تاريخ يسوع ". وقد تحدث أندريسن أن العبارة التي يحتج بها النصارى على صلب المسيح في كلامه مغايِرة لما في النسخ القديمة التي تحدثت عن CHRESTIANOS بمعنى الطيبين، فأبدلها النصارى، وحوروها إلى : CHRISTIANOS بمعنى المسيحيين. وقد كانت الكلمة الأولى (الطيبين) تطلق على عُبّاد إله المصريين "أوزيريس"، وقد هاجر بعضهم من مصر، وعاشوا في روما، وقد مقتهم أهلها، وسموهم: اليهود، لأنهم لم يميزوا بينهم وبين اليهود المهاجرين من الإسكندرية، فلما حصل حريق روما؛ ألصقوه بهم بسبب الكراهية، واضطهدوهم في عهد نيرون.

وقد ظن بعض النصارى أن تاسيتوس يريد مسيحهم الذي صلبوه، فحرف العبارة، وهو يظن أنه يصححها. ويرى العلامة أندريسن أن هذا التفسير هو الصحيح.وإلا كان هذا المؤرخ لا يعرف الفرق بين اليهود والنصارى، ويجهل أن ليس ثمة علاقة بين المسيح وروما [2].

وهكذا فإن التاريخ أيضاً ناطق بالحقيقة، مُثبت لما ذكره القرآن عن نجاة المسيح وصلب غيره.

---

[1] – قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٤٨٥)، دين الله في كتب أنبيائه، محمد توفيق صدقي أفندي، ص (٧٩)، تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ١٥٠).

[2] – عقيدة الصلب والفداء، محمد رشيد رضا، ص (٩٤ – ٩٧) وموت أم إغماء؟ د. فريز صموئيل، ص (٨٠). و هل افتدانا المسيح على الصليب؟ منقذ بن محمود السقار ص ٤٥ – ٥٠

٢- معنى (التوفي) والقدر الجامع في مشتقاته في القرآن إنما هو الأخذ والاستيفاء، وهو يتحقق بالإماتة، وبالنوم، وبالأخذ من الأرض وعالم البشر إلى عالم السماء. راجع التفاصيل في الشبهة السابقة الخاصة بمعنى التوفي.!

٥- **من صلب هو الشبيه** لذا فالذين قالوا: "رأيناه مصلوباً" أخبروا بما رأوا إذ ظنوا الشبيه هو عيسى عليه السلام نفسه، والذين قالوا: "رأيناه بعد الحادثة" هم على حق، لأنه لم يصلب، وأتى القرآن الكريم بالعلم الذي يكشف الحقيقة ويخرج الناس من الاختلاف وهذا النوع من الإعجاز يعد من أدلة صدق الرسول، لأن القصة وقعت بعيدة عن زمن سيدنا محمد ﷺ وصار أهلها في ارتباك وحيرة، ويأتي نبي أمي في أمة أمية بعد قرون يكشف لهم السر ويبين لهم التفسير الحقيقي للمشاهدات التي تبدو متناقضة، فيرفع عنها التناقض ويزيل الإشكال وهذا دليل على أن هذا العلم الذي جاء علي يد النبي الأمي لا يمكن أن يكون إلا من عند الله وبعد اعتناق العدد الكثير من الأحبار والرهبان الإسلام طوال التاريخ إقراراً بصدق ما جاء في القرآن من خبر صادق عن التاريخ الصحيح للرسل وأتباعهم، والذي جاء على يد نبي أمي ليس في ثقافة قومه شئ من هذه الأخبار .

ولقد أورد الأستاذ أحمد ديدات في كتابه " مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء " ثلاثين نقطة استخلصها من أسفار الأناجيل المختلفة من بين أدلة أخرى تفند فرية صلب المسيح عليه السلام وتؤكد ما أقره القرآن الكريم بشأن الحادثة، أمّا هم فيقولوا العلّة المترتبة على صلب المسيح هي غفران خطايا من يؤمن به ربًّا مصلوباً والغفران لكل من كان في المدة من آدم إلى المسيح إذا قدّر أنهم لو كانوا له مشاهدين لكانوا به مؤمنين. فهل هذه العلة صحيحة؟ بالتأكيد ليست بصحيحة وذلك لأن آدم لما أخطأ هدته الحكمة أن يعترف بخطئه وأن يتوب. فتاب الله عليه. وإذ هو قد تاب ، فأية فائدة من سريان خطيئة آدم في بنيه ؟ ففي سفر الحكمة: (والحكمة هي التي حمت الإنسان الأول أب العالم الذى خلق وحده لما سقط في الخطيئة ؛ رفعته من سقوطه ، ومنحته سلطة على كل شيء) الحكمة(١٠: ١.٢).

وفى التوراة: أن نجاة المرء من غضب الله يكون بالعمل الصالح حسبما أمر الله. ومن لا يعمل بما أمر الله ؛ فإنه لا يكون له نجاة. ففى سفر الحكمة عن نوح. عليه السلام. وولده: " وعندما غاصت الأمم فى شرورها ؛ تعرفت الحكمة برجل صالح ، وحفظته من كل عيب فى نظر الله ، وجعلته قويًّا يفضل العمل بأمر الله على الاستجابة إلى عاطفته تُجاه ولده " حكمة (١٠: ٥) انظر إلى قوله " تجاه ولده " أي ولده الذى غرق لعدم إيمانه وعمله ويقول المسيح عيسى عليه السلام : "كل كلمة فارغة يقولها الناس؛ يُحاسبون عليها يوم الدين. لأنك بكلامك تُبرّر، وبكلامك تُدان " متى(١٢: ٣٦.٣٧).

وفى التوراة: " لا يُقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يُقتل " تث(٢٤: ١٦)، اذا رجعنا للكتاب المقدس عند النصارى وجدنا اقوال المسيح على الصليب اذا فرضنا صحه هذا الأقوال، فإنها تخلف بكل عقل نظريتهم المزعومة و لكنها قد توافق هذه القصة حيث ان المحكوم عليه

بالصلب رفض التصريح بانه ملك اليهود و هي كما يلي في انجيل متي : نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «إِيلِي، إِيلِي، لَمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ متي (٢٧:٤٦)

انه ذلك الشاب الذي تطوع لأخذ مكان المسيح فهو يستغيث بالله من الألم و ذلك طبيعي للمعذب ولكنه بالقطع ليس طبيعي بالنسبة للرواية المسيحية ان الله يستغيث بالله! واذا كان ابن الله فمن الأحرى ان يقول: " ابي ابي لما تركتني"، في انجيل متي مره اخري : وَلَكِنَّ يَسُوعَ ظَلَّ صَامِتاً. فَعَادَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسْأَلُهُ: قَالَ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟»، ٦٤فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً إِنَّكُمْ مُنْذُ الآنَ سَوْفَ تَرَوْنَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُدْرَةِ ثُمَّ آتِياً عَلَى سُحُبِ السَّمَاءِ!» متي (٢٦:٦٥)، فانه لم يكذب كلام الحاخام اليهودي ولم يقول ومن الطبيعي انه اذا كان هو المسيح وهو كما يدعون ابن الله لما كان كذب ![1].

[1] – راجع حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، الشبهة رقم ١١٧، لمجموعة من العلماء نشر وزارة الاوقاف المصرية

٢٢-ادعاء أن الوضوء مأخوذ من التعميد في المسيحية.

يزعمون أن الوضوء في الإسلام مأخوذ عن التعميد في المسيحية، ويستدلون على ذلك بأن الوضوء يبدأ بالبسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" التي تقابل التثليث في المسيحية. ويهدفون من وراء ذلك إلى إثبات أن الإسلام لم يأت بجديد في جانب العبادات.

الجواب: ١) الوضوء هو التطهر بالماء بطريقة معينة، وهو واجب شرعا للصلاة والطواف، وقراءة القرآن ومقاصد الوضوء التربوية والشرعية كثيرة، والحكمة منه ظاهرة، إذ هو طهارة للجوهر والمظهر.

٣) الوضوء يختلف عن التعميد قصدا وكيفية وعبادة؛ فالوضوء طهارة، أما التعميد فبقصد محو الخطايا خصوصا الخطيئة الأصلية لآدم، وهي ما لم يرتكبه الطفل المعمد ولا ذنب له فيه، مع العلم أن التعميد عادة وثنية قديمة.

٤) البسملة تشتمل على صفات متعددة لله الواحد، أما التثليث فيشتمل على أقانيم – آلهة – ثلاثة، فلا وجه للتشابه أو التقارب بينهما.

أولا: انعقد إجماع المسلمين على مشروعية الوضوء من لدن رسول الله إلى يومنا هذا فصار معلوما من الدين بالضرورة[١].قال صلى الله عليه وسلم: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ.[٢] وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله يقول: «لا تقبل صلاة بغير طهور» [٣].

الوضوء واجب في مواضع ثلاثة: الصلاة مطلقا: فرضا، أو نفلا، ولو صلاة جنازة لقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) (المائدة: ٦)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول»[٤] ، وللطواف بالبيت: لما رواه ابن عباس أن النبي قال: «الطواف حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلمن إلا بخير»[٥]، ولمس المصحف على خلاف: لما رواه أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده «أن النبي كتب لأهل اليمن كتابا، وكان فيه: لا يمس القرآن إلا طاهر»[٦] ، وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله: «لا يمس القرآن إلا طاهر». فالحديث يدل على أنه لا يجوز مس المصحف، إلا لمن كان طاهرا، ولكن "الطاهر" لفظ مشترك، يطلق على الطاهر من الحدث الأكبر، والطاهر من الحدث الأصغر، ويطلق على المؤمن، وعلى من ليس على بدنه نجاسة، ولا بد لحمله على معين من قرينة، فلا يكون الحديث نصا في منع المحدث حدثا أصغر من مس المصحف، وأما قول الله سبحانه: {لا يمسه إلا المطهرون (٧٩)} (الواقعة)؛ فالظاهر رجوع الضمير إلى الكتاب المكنون، وهو اللوح المحفوظ؛ لأنه الأقرب، والمطهرون الملائكة، فهو كقوله تعالى: {في صحف مكرمة (١٣) مرفوعة مطهرة (١٤) بأيدي سفرة (١٥) كرام

---

[١] – المختصر في شرح أركان الصلاة، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط٢، ١٤٢٦ هـ، ص٣٦، ٣٧.
[٢] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيل، باب في الصلاة (٦٥٥٤)، وفي موضع آخر، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، (٥٥٩).
[٣] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة (٥٥٧).
[٤] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة (٥٥٧). والغلول السرقة من المال العام وبالاخص الغنيمة.
[٥] – صحيح: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصوم (٩٦٠)، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب المناسك، (٢٧٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٥٥).
[٦] – صحيح: أخرجه مالك في الموطأ، كتاب النداء للصلاة، (٦٨٠)، والدرامي في سننه، كتاب الطلاق، (٢٢٦٦)، وصححه الألباني في الإراواء (١٢٢).

برزة (١٦)} (عبس)، وذهب ابن عباس، والشعبي، والضحاك، وزيد بن علي، والمؤيد بالله، وداود، وابن حزم، وحماد بن أبي سليمان، إلى أنه يجوز للمحدث حدثا أصغر مس المصحف، وأما القراءة بدون مس فهي جائزة اتفاقا [١].

أما المقاصد التربوية والشرعية للوضوء فلها جوانب متعددة:

فالوضوء يعيد للنفس نقاءها من الذنوب التي يرتكبها الإنسان، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، قال: ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له.[٢]

بهذا يكون الوضوء سببا في عودة الروح إلى صفائها مثلما يعود الثوب الأبيض الملوث إلى نقائه، وربط الوضوء بالذكر الذي يطمئن القلب ويشرح النفس، قال صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»[٣] .

والوضوء من علامات الإيمان التي يعرف بها المؤمنون يوم القيامة. فالوضوء يبعث في الوجه نورا، وفي اليدين نورا، والرجلين ضياء يعرف به الصالحون من الكالحين. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله»[٤]. فإطالة الغرة في الوجه، والتحجيل في اليدين والرجلين، هما من العلامات المضيئة التي تشع النور يوم القيامة.

والوضوء يجعل المسلم أنيقا نظيفا، في جميع أوقاته؛ لأن الصلوات تتوزع على اليوم والليلة، فإذا قام المسلم من نومه يبادر إلى الوضوء، وفيه طهارة لأعضاء جسمه، ثم يصلي الصبح، ويتوضأ لصلاة الضحى، وفي أثناء عمله يتوضأ لصلاة الظهر، وعند عودته من عمله يزيل بقية الشوائب التي تعلق به في وضوء العصر وفي المغرب والعشاء، حتى يبيت خاليا من جميع الأقذار والأدران والأوساخ، هذا يحول النظافة إلى أدب، وخلق يتحلى به المسلم [٥].

والوضوء تطهير لليدين والأظافر، والثابت علميا أن هناك أمراضا تنقلها اليدان من خلال الأظافر التي تتراكم تحتها جراثيم تنقل مرض التيفود والدوسنتاريا والنزلات المعوية، لكن المسلم الذي يتوضأ خمس مرات، ويغسل يده أول شيء، ثم يغسل يده مع كل عضو يغسله أيضا، ويحرص على غسل الأظافر بشكل دائم، كل هذا يجعله في حصن وقائي من هذه الأمراض.

---

[١] – فقه السنة، السيد سابق، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج١، ص٦٩، ٧٠.

[٢] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه (٥٦٢).

[٣] – صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، (٩٤٠٨)، وأبو داود في سننه، كتاب الطهارة، (١٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥١٤).

[٤] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (٦٠٢).

[٥] – المقاصد التربوية للعبادات في الروح والأخلاق والعقل والجسد، د. صلاح الدين سلطان، سلطان للنشر، أمريكا، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص، ٤١-١٢.

من الثابت علميا أن كل سنتيمتر مكعب من الهواء به ملايين الميكروبات، وأكثر الأعضاء تعرضا لهذه الميكروبات هي الأيدي والفم والأنف والوجه واليدان والرجلان؛ لانكشافها طوال الوقت أمام هذا الهواء فيأتي الوضوء طهارة كاملة من كل هذه الميكروبات التي تعلق قطعا بجسم الإنسان، خاصة هذه الأعضاء الظاهرة في أغلب الأحوال للهواء، الذي قد يحمل التراب أو الدخان أو تلوثا إشعاعيا أو غيره من صور التلوث التي امتلأ بها عالم العوادم والنفايات، وأعضاء الوضوء هي أكثر أعضاء الجسم تعرضا لهذه الأجواء الملوثة فتحظى عند المسلم بعناية فائقة في التخلص المستمر منها بين حين وآخر في خمس مرات على الأقل يوميا، وفي هذا يقول الأستاذ محمد كامل عبد الصمد: أثبت العلم الحديث أن الوضوء يقلل من حدوث الأورام السرطانية التي تسببها المواد الكيميائية؛ لأن الوضوء يكفل إزالتها قبل أن تتراكم بكمية تمكنها من النفاذ إلى الجسم عبر الجلد مما يؤدي إلى حدوث تغيرات سرطانية. ويشير إلى أن سرطان الجلد أكثر شيوعا في المجتمع الغربي والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا رغم ضعف أشعة الشمس هناك وقوتها في بلاد الشرق، لكن الوضوء يرطب الجلد، ويقلل من آثارها السلبية عليه، وأشار كذلك إلى أثر الغسل والوضوء في إزالة العرق الذي يحتوي على أملاح، ومواد دهنية، فإن تبخر تبقى هذه الأملاح والدهون، وتسد مسام الغدد العرقية [1]، وقد ثبت علميا أن لغسل كل عضو من أعضاء الوضوء على حدة فوائد صحية كثيرة.

ثانيا. الوضوء يختلف عن التعميد قصدا وكيفية وعبادة:

الوضوء في الإسلام يختلف تماما عن التعميد في النصرانية من حيث القصد والكيفية والعبادة، فيمكننا تفصيل ذلك على النحو الآتي:

١. من حيث القصد:

يؤدي الوضوء إلى طهارة الجوهر مع طهارة المظهر، وتنقية النفس من الذنوب والمعاصي، فالوضوء يحث الإنسان على الطهارة الحسية والمعنوية، وتشريع الوضوء في الإسلام قد ألغى العقائد الباطلة التي تؤمن بتقوية الروح عند إهمال البدن حتى عرف ذلك عندهم بالقذارة المقدسة، والوضوء يطهر اليدين والأظافر وكل أطراف الجسم المعرضة للتلوث؛ فالوضوء يطهر هذه الأطراف من الجراثيم والميكروبات، وأثبت العلم الحديث أن الوضوء يقلل من حدوث الأورام السرطانية... إلخ.

أما التعميد في النصرانية، فيقصد به تعميد الأطفال عقب ولادتهم بغطاسهم في الماء، أو الرش به باسم الأب والابن والروح القدس، بزعم أنه يحمل عنهم آثار الخطيئة الأصلية التي لم يرتكبوها، وإعطاء الطفل شيئا من الحرية والمقدرة لعمل الخير، فهذه عادة وثنية كانت عند الهندوس وعند البرهميين، وهي تشبه ما كان يعمله الفرس، والمصريون، واليونانيون، والرومانيون القدماء، فقد كانوا يتوسلون للشمس، ويأخذ الكاهن البرهمي الطفل، ويلطخه بالوحل، ثم يغمسه في الماء ثلاث مرات.

---

[1] – المقاصد التربوية للعبادات في الروح والأخلاق والعقل والجسد، د. صلاح الدين سلطان، سلطان للنشر، أمريكا، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١١٤، ١١٥.

وعند تغطيسه يقول الكاهن: "يا أيها الرب العظيم، إن هذا الطفل خاطئ تلطخ بخطيئة كتلطخه من وحل هذه القناة، فكما أن الماء ينظفه من الوحل طهره وخلصه من الخطيئة" ويعتقدون أن العمادة بالماء تزيل الخطايا، مهما تكن ويسمون الكهنة الذين يقومون على حافتي الأنهار لأجل عمادة الطالبين "أبناء الشمس".

وقال لندي: "إذا تصفحنا التاريخ نرى طقس العمادة قديم العهد جدا فقد كان شائعا في آسيا، وأمريكا، وكانوا يدعون ماء العمادة ماء الولادة الثانية، وقد ذكرنا العمادة عند الأمم الوثنية قبل الميلاد، وبهذا يتضح أن التعميد عادة وثنية قديمة، وليست مسيحية، وأن المسيحية أخذت هذه العادة عن الأمم السابقة عليها، وبذلك يتضح تحريفهم لكتابهم المقدس، ويبطل زعمهم هذا"[1].

٢. ومن حيث الكيفية:

فالوضوء له فرائض لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين} (المائدة: ٦)، مع بعض السنن في أدائه.

أما كيفية التعميد في المسيحية: فالتعميد عندهم هو غمر الأطفال وغطاسهم في الماء، أو الرش باسم الأب والابن والروح القدس.

٣. ومن حيث العبادة:

ففي الوضوء يمتثل العبد لأوامر خالقه؛ ابتغاء مرضاته، ويطهر جوارحه ويغذي بها إيمانه؛ استعدادا للوقوف بين يدي الله، فهو يهيئ المسلم لتذوق لذة العبادة، وتتكرر عملية الوضوء في اليوم الواحد، وتستمر كل يوم، فيزداد الإنسان طمأنينة وسكينة، ويرتفع رصيده من الإيمان، وتتربى النفس على مراقبة الخالق والتوبة والعودة مع كل وضوء وصلاة.

أما التعميد: هو عبارة عن غطاس الطفل عند السابعة من عمره أو رش الماء عليه، بزعم أن هذا يحميه من آثار الخطيئة الأصلية، وهذا على خلاف بينهم في صورته ووقته، ولا يكون إلا مرة واحدة في العمر، فهل هذه عبادة؟!! أرى أنها مجرد مظهر شكلي لا أثر له في حياة الإنسان، وهي عادة وثنية قديمة من قبل الميلاد.

فأين التشابه بين التعميد على هذه الصورة والوضوء في الإسلام؟![2].

الوضوء يبدأ بالبسملة: "بسم الله الرحمن الرحيم"، وهي من سنن الوضوء، وهي تعني التوحيد الخالص لله تعالى. أما التعميد باسم الأب والابن والروح القدس، فهذه الأقانيم الثلاثة آلهة ثلاثة، كيف تكون إلها واحدا، فهذا كفر وشرك بالله الواحد.

والوضوء يقوم به الإنسان بكامل حريته وإرادته، راجيا عبادة الله ونيل مغفرته ورضوانه. أما التعميد في المسيحية: فيتم بلا إرادة من المعمد؛ لأنه طفل صغير لا يفهم شيئا عن التعميد، ولا حرية له ولا اختيار، فهو مجبر على ذلك.

---

[1] – العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد بن طاهر التنير البيروتي، دار عمران، بيروت، الزهراء، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص١٧٩: ١٨١.

[2] – الصلاة، عبد الله بن محمد الطيار، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٩.

البسملة يبدأ بها المسلم كل عمل، وليس الوضوء فقط، فليست قاصرة عليه.

وبهذا البيان يتضح أن هناك فرقا شاسعا بين الوضوء في شكله وكيفيته وقصده، وبين التعميد الذي يشبه العبادات الوثنية، ويتضح عدم وجود تشابه بين الوضوء والتعميد في أي شيء.

رابعا. شتان بين البسملة والتثليث:

في محاولة إيجاد وجه شبه بين البسملة والتثليث، مماحكة فجة، وتعسف ظاهر، فما أبعد الشقة بين ابتداء باسم الإله الواحد الموصوف بالرحمة، وتبرك بذلك في كل شيء في حياة المسلم، وبين إقرار بآلهة ثلاثة: أب وابن وروح قدس. في شأن هذه المحاولة السقيمة يقول د. شوقي أبو خليل: كل شيء خطر في البال، إلا نسبة عبادة الثالوث إلى الإسلام.

جاء في ملحمة رولان، والتي تمثل فرسان شارلمان وهم يحطمون أصنام المسلمين، أن المسلمين يعبدون ثالوثا مؤلفا من: ترفاجانت ومحمد وأبولون. واستدل بعض القسس في دلهي كما يذكر رحمة الله خليل الرحمن الهندي في إثبات التثليث في الإسلام، بقوله تعالى: {بسم الله الرحمن الرحيم} (الفاتحة)، زعما أن فيه ثلاثة أسماء: "الله، الرحمن، الرحيم"، فيدل على التثليث.

وسمع بعض الظرفاء في مدينة دلهي قول المبشر في إثبات التثليث بقوله تعالى: "بسم الله، الرحمن، الرحيم"، فقال له: إنك قصرت، عليك أن تستدل بالقرآن على التسبيع بمبدأ سورة غافر: {حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٢) غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير (٣)} (غافر)، بل عليك أن تقول: إنه يثبت وجود سبعة عشر إلها من القرآن، بثلاث آيات من آخر سورة الحشر، التي ذكر فيها سبعة عشر اسما متوالية.

فما حرص الإسلام على شيء في صلب عقيدة المسلم حرصه على التوحيد الخالص: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما (٤٨)} (النساء)، وجعل التوحيد المصفى في سورة الإخلاص: {قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفوا أحد (٤)}

والتثليث دخيل على المسيحية التي أنزلها الله على المسيح عليه السلام: {وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠)} (التوبة). لقد عرفت العقائد الوثنية القديمة جميعها التثليث، ولا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي، أي: الأب والابن والروح القدس، وكان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي، أي أن الإله ذو ثلاثة أقانيم.. وإذا أرجعنا البصر نحو الهند، نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم. براهاما، وفشنو، وسيفا.

وفي الديانة المصرية القديمة "جب" إله الأرض تزوج "نوت" إلهة السماء، وأنجبا "رع" أي الشمس، وكان كهنة معبد ممفيس يعبدون هذا الثالوث المقدس، ومع التثليث عرف الوثنيون الصلب والفداء أيضا.

ورد عند الهنود بأن "كرشنا" المولود البكر، الذي هو نفس الإله "فشنو"، والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم، تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها. فأتاها وخلص الإنسان بتقديمه نفسه ذبيحة عنه، فصلب.

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، وومضة سريعة، وقطوف قليلة مختارة عن التثليث عند النصارى: {يضاهئون قول الذين كفروا من قبل}، وهي عقيدة أدخلها "شاؤول بولس" إلى المسيحية، بعد التوحيد الذي أنزل على السيد المسيح.

لقد عبد النصارى ثالوثا أحد أقانيمه "يسوع"، فأسقطوا ما فيهم على المسلمين، وحين وفاة رسول الله نزل نبأ وفاته على الصحابة كالصاعقة، ولم يكد بعضهم يصدق هذا النبأ، قال أبو بكر الصديق عندها، مخاطبا المسلمين: «من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»[1]. هذه عقيدة المسلم لا ما يدعون في إسقاطهم.

ولم يخل الغرب من صاحب كلمة حق، يقولها ولو أغضب الكنيسة، يقول كلود إيتان سافاري في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم: "أسس محمد ديانة عالمية، تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكافئ على الفضيلة، ويعاقب على الرذيلة، فالغربي المتنور، وإن لم يعترف بنبوته، لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ[2].

هل بقي بعد كل هذا مجال للقول بالتشابه بين البسملة عند المسلمين وبين التثليث عند النصارى؟![3]

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذا خليلا" (٣٤٦٧)، وفي مواضع أخري.

[2] – أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، د. شوقي أبو خليل، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط٢، ١٤٢٨ هـ/ ١٩٩٩م، ص٢٤٣ وما بعدها، وإن كانت كلمة حق عرجاء، فلفظة "أسس" في بداية هذا الاقتباس توحي بما تعوده المستشرقون المنكرون لنبوة محمد . صلى الله عليه وسلم . وسماوية رسالته وقرآنه، من نسبة القرآن والإسلام لشخص الرسول، أي أنه . في زعمهم . قد ألفه من تلقاء نفسه، وليس وحيا من ربه.

[3] – راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط١/٢٠١٢.

٢٣–توهم أن التكبير في الصلاة مأخوذ عن المسيحية، وعادات الجاهلية

إن التكبير الذي يبتدئ به المسلمون صلاتهم مأخوذ عن المسيحية وعن عرب الجاهلية، ويستدلون على زعمهم ذلك بوجود طائفة من المسيحيين يقولون: إن أقنوم الأب أعظم من أقنوم الابن، وأن عرب الجاهلية كان من عادتهم التكبير عند البيت، وقد صاحوا بالتكبير عند نجاة عبد الله بن عبد المطلب من الذبح. كما يتوهمون أن معنى "الله أكبر" وجود إله آخر، الله أكبر منه. وهذا دليل في زعمهم على أن العبادات الإسلامية مأخوذة من الأديان والعادات السابقة.

الجواب:

أولا. فرق شاسع بين التكبير عند المسلمين، وبين ما يقوله المسيحيون وما صنعه عرب الجاهلية:

عندما يقول المسلم في بداية صلاته "الله أكبر" فهذا معناه أنه في موقف جليل يجمعه مع الله فليتنبه، ويسمي الفقهاء هذه التكبيرة تكبيرة الإحرام، كأن الإنسان حرم على نفسه الانشغال بشيء آخر؛ لأنه شرع في مناجاة الله، والالتفات إليه وحده[1]، فيحس أن الله أكبر من كل ما يروعه ومن يروعه في هذه الدنيا، معلنا أنه قد توجه إلى الخالق الكبير العليم العظيم، وأنه قد ترك الدنيا وما فيها وتعلق بحبال الله المتينة ورحمته العميمة، وأنه قد أسلم أمره إلى ربه وتوكل عليه وأطاع أوامره وترك نواهيه.

أما ما تقوله هذه الطائفة من المسيحيين: "إن أقنوم الأب أعظم من أقنوم الابن" فهذا نابع عن عقيدتهم الباطلة التي يؤمنون بها، وهي عقيدة التثليث، فشتان بين ما يقوله المثلثون، وبين ما يقوله الموحدون الذين يؤمنون أن الله واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

إن العرب الجاهلية كانت تعرف وتؤمن أن الله رب كل شيء، وقد نص القرآن على ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون (٨٧) وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (٨٨) فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون (٨٩)} (الزخرف)، وقوله تعالى: {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم (٩)} (الزخرف).

وإيمانهم هذا يسمى بـ "توحيد الربوبية"، أما "توحيد الألوهية"، فلم تكن العرب تجهله، وإنما كانت تتجاهله؛ حتى توهم بأنها ذات دين دون تكليف يأمرهم به إلههم، فإله بدون تكليف خير من لا إله، وذلك زعم المبطلين، فالعرب كانوا كغيرهم يقولون إن الله أكبر لكنهم لم يحسوها كإحساس المسلمين بها، ولم يؤمنوا بها كإيمانهم، فما قاله الجاهليون كان مجرد لفظة صاحوا بها في حال فرحهم وسعادتهم، دون أن يشعروا معناها، ويعملوا بمقتضاها، أما ما يصنعه المسلمون، فهو يصدر عن إيمان بهذه الكلمة "الله أكبر"، وبعد أن يقولوها يعملون بمقتضاها، فيتركون الدنيا بزينتها ونوائبها ويقبلون على الله خاشعين تائبين راجين رحمته خائفين من عذابه، فشتان بين هذا وذاك، ثم إنهم عددوا الآلهة واتخذوها واسطة تقربهم إلى الله زلفى، وما هي إلا أحجار وأصنام، فلا إخلاص ولا توحيد عندهم.

---

[1] – مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٤م، ص٦٢.

ثانيا. المسلمون يكبرون طاعة لربهم، وتصديقا لأمر نبيهم، إذ إن تكبيرة الإحرام ركن من أركان الصلاة التي لا تنعقد الصلاة إلا به:

إنه ليس عيبا ولا منقصة أن يقول المسلمون كلمة قالها أحد قبلهم، ولا أن يصنعوا شيئا فعلوه، فهم حين يقولون أو يصنعون، فلا يكون هذا من سبيل التقليد، أو الأخذ عن أحد، ولكنهم يأخذون بما أمرهم به دينهم، ويصنعون ما كلفهم به ربهم ونبيهم.

فقد ورد في القرآن الكريم مواضع فيها تكليف للمسلمين بما كان يصنعه السابقون مثل التكليف بالصوم، وقول "الله أكبر" وقول "لا إله إلا الله"، والمسلمون يصنعون هذا الفعل طاعة لربهم لا تقليدا لما كان يصنع غيرهم، وقد أمر الله تعالى بالتكبير حيث يقول: {وذكر اسم ربه فصلى (١٥)} (الأعلى)، وعين قول "الله أكبر" بقوله تعالى: {وربك فكبر (٣)} (المدثر). ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم» فتكبيرة الإحرام ركن من أركان الصلاة التي لا تنعقد الصلاة إلا بها، ومن تركها عمدا، أو سهوا لم تنعقد صلاته[1].

الخلاصة:

هناك فرق شاسع بين التكبير عند المسلمين، وبين ما يقوله المسيحيون، وما صنعه الجاهليون، فعندما يقول المسلم "الله أكبر" فإنه يعلم أنه قد ترك الدنيا وما فيها، وتعلق بحبال الله المتينة، ورحمته العميقة. أما ما يقوله المسيحيون، فهو نابع من عقيدة التثليث التي يؤمنون بها فشتان بين قول الموحدين، وقول المثلثين، وما قاله العرب الجاهليون هو كلام لا يتعدى كونه لفظة جافة خالية من المشاعر والإحساس، صاحوا بها وقت فرحهم وسعادتهم.

المسلمون يكبرون طاعة لربهم، وتصديقا لأمر نبيهم لا تقليدا وأخذا عن أحد، فالتكبير – تكبيرة الإحرام – ركن من أركان الصلاة الذي لا تنعقد الصلاة إلا به.

ولعل التكبير عند الجاهليين كان من بقايا ملة إبراهيم وهي الإسلام؛ لأن العرب كانوا على ملة إبراهيم ردحا من الزمن إلى أن دخل فيهم الشرك وغيروا شريعة الله في الحج وغيرها، كما غيرت اليهود والنصارى في دينهم؛ وبذلك يكون الإسلام موافقا لما صح وبقي دون تحريف من الملة الحنفية السمحاء فهو مصدقا لما سبقه من الحق، ومبينا الصواب فيما بدل وحرف.

---

[1] – فقه السنة، السيد سابق، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج١، ص١٥٧ بتصرف. والحديث صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، (١٠٠٦)، وأبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب فرض الوضوء (٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٨٥).

٢٤- توهم أن المسلمين يرسمون الصليب في صلاتهم.

يقولون: أن التفات المسلم المصلي عند إنهاء صلاته يمينا ويسارا، يشبه تماما ما اعتاده المسيحيون عند ابتداء الصلاة وانتهائها، حين يرسمون علامة الصليب، فالمسيحيون يرسمون الصليب بأصابعهم والمسلمون يرسمونه برؤوسهم حسب تصور هؤلاء الواهمين.

أولا. كيف ينقض الإسلام عقيدة النصارى المحرفة، ثم ينتحل منها التصليب؟!

لقد جاء الإسلام بالدين الحق، والتوحيد الذي لا يعترف بعبادة غير الله من الشركاء، فقد نقض الإسلام عقيدة النصارى المحرفة، لما شابها من التحريف والتبديل؛ ولأن أهلها حرفوا الكلم عن مواضعه، وكان نتاج هذا التحريف والتضليل والتزييف للكتب السماوية احتواء كتبهم على سخافات الإنتاج الفكري للبشر، فبدلوا بكلام رب الأرض والسماوات زبالات الفكر البشرية، فكتبوا ما تهواه أنفسهم كما قال لنا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١].

لذلك حذرنا من التهاون في تطبيق شرعنا حتى لا نكون مثلهم، فكيف يأخذ عنهم وينتحل منهم التصليب في أهم ركن من أركان الإسلام؟! وكيف يأمرنا النبي بعدم موافقة أهل الكتاب، ثم بعد ذلك ينتحل هذه النحلة في الصلاة؟!! {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦)} (الحج).

لقد جاء الإسلام مصححا لما غير وبدل قبله، ومتمما للشريعة، فلقد كانت الرسالات السابقة تناسب في الشريعة القوم الذين شرعت لهم، ونتيجة لهذا التطور في عقلية البشرية ووصولها إلى مرحلة النضج الذهني، فكان لا بد من إرسال خاتم الأنبياء بالرسالة الخاتمة، فلقد أصبحت البشرية بعد هذا التدرج والنضج العقلي قادرة على تحمل أعباء هذه الرسالة وتبليغها، فهي ليست في حاجة إلى رسالة أخرى متممة لها، فهي رسالة خاتمة كاملة؛ حيث قال الله تعالى عنها: {اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} (المائدة: ٣)[٢].

فهذا الدين أتمه الله عز وجل فهو لا يأخذ من ديانات أخرى وخصوصا إذا كانت هذه الديانات محرفة وعقائدها باطلة، بل إن أصحاب هذه الديانات هم الذين دهشوا بما في الإسلام وتمنوا لو أن عندهم مثله، فلقد قال يهودي عن هذه الآية السابقة لعمر بن الخطاب: «آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا»[٣]، فكيف يدعون بعد ذلك أن الإسلام أخذ شيئا عقيما فاسدا من النصارى؟ كيف هذا، والإسلام ينقض عقيدة الصلب، وينكرها على النصارى؟! كيف هذا وهو يعلمنا أن الصلب

---

[١] - مؤلفات أحمد يدات: المجموعة الثانية، أحمد ديدات، ترجمة: محمد مختار، رمضان الصفناوي، على عثمان، كتاب المختار، القاهرة، د. ت، ص٦. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ((الكهف) (٣٢٨٨)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره (٤٥٠٥).

[٢] -مؤلفات أحمد يدات: المجموعة الثانية، أحمد ديدات، ترجمة: محمد مختار، رمضان الصفناوي، على عثمان، كتاب المختار، القاهرة، د. ت، ص٦، ٧.

[٣] - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (٤٥)، وفي مواضع أخرى، ومسلم في صحيحه، أوائل كتاب التفسير (٧٧١٢).

والصليب ليس له أصل إلا في العقائد الوثنية؟! فكيف يحارب الإسلام عقيدة الصلب كل هذه المحاربة ثم يعتمد على التصليب في ركن من أهم أركان دينه وهو الصلاة؟!!

ثانيا. لا وجه للشبه بين التسليم من الصلاة عند المسلمين، وبين التصليب عند المسيحيين:

ثم إن الناظر في هذه الشبهة ليرى عجبا عجابا، فأين التسليم في الصلاة؟ وأين التصليب عند النصارى؟ أين وجه الشبه؟ وفيم يتشابهان؟! وهما يفترقان في كل شيء، أم هو تلفيق أعمى وإلحاق أي شيء بأي شيء؟ إذ إن التصليب عند النصارى يبدأ من اليسار، ويكون باليد، وبنية التصليب، ويكون فيه الإيماء لأعلى وأسفل، أما التسليم عند المسلمين فيبدأ باليمين، ويقترن بلفظ السلام، على عكس ما في التصليب، ثم إن المصلي له أن ينهي صلاته بتسليمة واحدة، وهذا ما ذهب إليه المالكية والشافعية[1]، فهل في التسليمة الواحدة رسم للصليب، أو حتى في التسليمتين؟! أم أنه كلام بلا معنى يحاولون أن يزيفوا به الحقائق، ولكن أين الثرى من الثريا؟ ثم إن المسلم حينما يسلم عن يمينه وعن يساره، فإنه ينوي بهما الخروج من الصلاة، بعكس التصليب؛ ثم إن الصليب ليس خطا مستقيما، فإن التسليم لو افترضنا جدلا أنه يرسم شيئا أو يرمز لشيء فإنه يرسم خطا مستقيما، فأين هذا من شكل الصليب؟ وبذلك يتبين لنا زيف هذه الشبهة، وسفه عقولهم، وخراب فكرهم، وضيق أفقهم، وانتكاسة فطرتهم.

الخلاصة:

لقد جاء الإسلام ناقضا لعقيدة النصارى الزائفة، داعيا لعبادة الله وحده، مبينا فساد ما في النصرانية من عقائد فاسدة باطلة، ومن ذلك عقيدة الصلب والفداء، ولذلك فلقد نهى الإسلام أتباعه عن التشبه باليهود والنصارى حتى في أبسط الأمور «خالفوا اليهود والنصارى»[2]، فكيف يوافقهم ويتشبه بهم في عقيدة نقضها وتبين زيفها؟!

ثم إنه لا وجه للشبه بين التسليم عند المسلمين والتصليب عند النصارى، فلو قلنا إن التسليم يرسم شيئا أو يرمز لشيء، فإنه لا يعدو أن يكون خطا مستقيما، وكذلك فإن هناك اختلافات أخرى إذ إن التسليم يكون بنية الخروج من الصلاة، والتصليب يكون بنية التصليب، ثم إن التسليم تصاحبه لفظة السلام، وهذا عكس التصليب، فأين وجه الشبه بينهما؟!

إن المسلم لا يكون في نيته ولا يخطر بباله أن يرمز لشيء أو يرسم أي شيء عندما يخرج من الصلاة بالتسليم ويلتفت يمينا ويسارا مصاحبا ذلك بالتسليم وإنما تكون نيته الخروج من الصلاة كما أمر ربه وبالكيفية التي شرعها.

---

[1] – الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، دار الصفوة، الكويت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٢٧، ص١٠١.

[2] – صحيح: أخرجه أبو داود في سننه، (٦٥٢)، وابن حبان واللفظ له (٥/ ٥٦١)، كتاب الصلاة، (٢١٨٦)، وصححه الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان.

٢٥-ادعاء أن القرآن والإنجيل يثبتان أفضلية المسيح على محمدﷺ

يدعي بعض المتوهمين أن القرآن الكريم والإنجيل يثبتان أفضلية المسيح على محمدﷺ ويستدلون على زعمهم بما يأتي:

-أن عيسى ابن الله، وأن محمداﷺ بشر، ويستندون في ذلك إلى عبارة: "أني قلت: إني ابن الله".

-أن يسوع أجرى المعجزات، وأن محمداﷺ لم تؤثر عنه أية معجزة، ويستندون في دعواهم إلى قوله سبحانه وتعالى: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون} (الإسراء: ٥٩).

-أن عيسى يعلم الغيب: {وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم} (آل عمران: ٤٩)، وأن محمداﷺ لا علم له به: {ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير} (الأعراف: ١٨٨).

-أن عيسى يشفع في خطايا العالم كله، وأن محمداﷺ لا يشفع، ولا تقبل منه الشفاعة، ويستدلون بقوله سبحانه وتعالى: {إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} (التوبة: ٨٠).

-أن المسيح دعا للمحبة والسلام، وأن محمداﷺ سن لأمته الإرهاب، ويستندون في ادعائهم إلى قوله سبحانه وتعالى: {يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٦٥)} (الأنفال).

نقاط المناقشة:

-المفاضلة الصحيحة بين اثنين تكون في نص واحد، لا في نصين متباينين، من حيث صحة المعنى وصحة التوثيق، وعبارة: "أني قلت: إني ابن الله" مقابلة ومعارضة بتصريحات الأناجيل المتكررة بأن عيسى عليه السلام "ابن الإنسان"؛ فكيف يقوي الإنجيل على محاجة القرآن وهو متناقض ينقض بعضه بعضا، فمرة يقول هو: "ابن الله"، ومرة يقول: "ابن الإنسان".

- المسيح لم يفعل المعجزات استقلالا، ولكن الله أجراها على يديه تصديقا له، ولقد أيد الله محمداﷺ بالمعجزات المبهرة، وأعظمها معجزة القرآن، والمقصود بالآيات الممتنع إرسالها إلى النبيّ هي الآيات المقترحة من المشركين، لا مطلق الآيات.

- إن علم الغيب هو بيد الله لا يظهر عليه أحد إلا من ارتضى من رسول مرسل أو ملك مقرب، وما اطلع عليه عيسى من أمر الغيب هو من هذا القبيل، وهو ليس بدعا من الرسل، فنبينا محمدﷺ أيضا ممن أطلعه الله على أمور غيبية، وقوله وتعالى على لسان نبيه: {ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير} (الأعراف:١٨٨) لا تفيد نفي علم الغيب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

- إن الشفاعة التي يزعمها النصارى لعيسى شفاعة أوحى بها فكرهم الباطل ومنطقهم الفاسد، ليبيحوا لأنفسهم فعل المنكرات واستحلال المحرمات، وبلغ من حمقهم أن أجازوها أي: الشفاعة للناس برمتهم المؤمنين منهم بعيسى عليه السلام وغير المؤمنين به.

– ما نسب ولفق للمسيح من دعوته للسلم في الأحوال كلها مهانة ومذلة، لا يرضاها ذو مروءة وكرامة فضلا عن نبي مرسل فالأمر إذا اقتضى القتال فالعفو فيه تهاون وخذلان، وتحريض النبي للمؤمنين على القتال من هذا الباب.

التفصيل:

أولا. المفاضلة الصحيحة بين اثنين تكون في نص واحد، لا في نصين متباينين:

على من أراد المفاضلة بين اثنين مفاضلة صحيحة، أن يفاضل بينهما في نص واحد، أما أن يفاضل بعضهم بين النبي في القرآن، وعيسى في الإنجيل، فأمر لا يجوز؛ ذلك أننا لا نؤمن بأن الكتاب المقدس الحالي بعهديه وحي من عند الله، ولا النصارى أنفسهم يقولون: إنه وحي منزل، بل هو مكتوب بأيدي من نسب إليهم؛ وعليه فالمفاضلة ليست من الصحة في شيء.

أما عبارة: "أني قلت: إني ابن الله" فهي مناقضة ومعارضة بتصريحات الأناجيل المتكررة بأن عيسى عليه السلام "ابن الإنسان": "فإني الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان". (متى ١٠: ٢٣)، "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم: إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته". (متى: ١٧: ٤٠)، "وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء. وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان". (يوحنا ٣: ١٣، ١٤).

وعقلاء النصارى يدركون أن معتقد بني دينهم أن الله ثلاثة باطل، وأنه إله واحد، وكون عيسى ابن الله على الحقيقة لم يرد في كلام عيسى، وأن التعبير بـ "ابن الله" تعبير مجازي، كما جاء أن الجميع أبناء الله، يقول د. نظمي لوقا: "ولم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في بشارات حواريه (الأناجيل) إشارة إلى شيء من ذلك "التثليث النصراني"، بل كان يدعو نفسه على الدوام بـ "ابن الإنسان"، أما البنوة لله فما ورد لها ذكر إلا على سبيل المجاز المطلق، وبمعنى يشمل البشر كافة، حين أوصى أن تكون صلاة الناس إلى الله بادئة بقولهم: "أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك". (متى ٦: ٩)، وحين طالب أتباعه وجميع الناس أن يسلكوا طريق البر؛ كي يكونوا جديرين بنسبتهم إلى الله: "أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات". (متى ٥: ٤٤، ٤٥)[1].

وبناء على ما سبق، فلا فرق بين ما صرحت به الأناجيل في شأن عيسى من أنه ابن الإنسان، وبين النبي محمدﷺ ومجيء القرآن مصرحا بأنه بشر؛ فالأنبياء جميعا بشر أرسلهم الله إلى البشر، قال سبحانه وتعالى: {وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم} (الأنبياء: ٧)، وقال سبحانه وتعالى: {وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق} (الفرقان:٢٠) بشر بكامل خواص البشرية.

[1] – محمد الرسالة والرسول، نظمي لوقا، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٥٩م، ص٤١.

ثانيا. المسيح لم يفعل المعجزات استقلالا، ولكن الله أجراها على يديه تصديقا له، كما أن الله أيد محمدا بالمعجزات المبهرة، وأعظمها معجزة القرآن الكريم:

إن من يزعمون أن يسوع أجرى المعجزات، مستدلين بنص الأناجيل: "عمل كل شيء حسنا، جعل الصم يسمعون، والخرس يتكلمون". (مرقس ٧: ٣٧)، وأن محمدا لم يجر المعجزات، مستدلين على ذلك بقوله سبحانه وتعالى: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا (٥٩)} (الإسراء)، متخذين ذلك دليلا على تفضيل عيسى على محمدﷺ زعم باطل وقول متهافت.

نعم إن الله أجرى المعجزات على يد عيسى تصديقا له، ولا ينكر ذلك المسلمون، والقرآن الكريم يذكر ذلك في الآيات: {ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم} (آل عمران)، ولكنه لم يفعلها استقلالا، وإنما هي من فعل الله، أظهرها على يدي عيسى وإذا نسبت إليه في القرآن، أو في الإنجيل، فهي نسبة مجازية، كما ينسب الشيء الواحد إلى أكثر من ذات، حسب دور كل من نسب إليه، فينسب إلى فاعله الأصلي، وينسب إلى من باشره، وينسب إلى من تسبب فيه... إلخ.

كما نسب الله التوفي إلى الله، وإلى ملك الموت، فعيسى يمسح بيده على الأبرص، فيعقب هذا المسح أن يبرئه الله من هذا الداء، وينفخ فيما شكله من الطين، فيعقب هذا النفخ أن يوجد الله الحياة، فنسب هذا وذاك إلى عيسى باعتباره متسببا.

وأما نفي المعجزات عن النبي بحجة قوله سبحانه وتعالى: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون} (الإسراء: ٥٩)؛ فليس المراد بالآيات التي امتنع الله من إرسالها مطلق المعجزات التي تؤيد الرسول في صدقه ودعواه النبوة، ولكن المراد الآيات التي يقترحها المشركون، فالله لم يلب ما طلبوه؛ لأن من سبقهم من الأمم طلبوا من رسلهم آيات، وجاءتهم الآيات بناء على ما طلبوا، فما ازدادوا إلا تكذيبا، كما حدث من بني إسرائيل مع نبيهم موسى وكما حدث من عاد وثمود، فإن من طلب الآيات وجاءته، واستمر على التكذيب هلك، فالمقصود بالآيات الممتنع إرسالها الآيات المقترحة، لا مطلق الآيات.

عن ابن عباس قال: «سأل أهل مكة النبي أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: لا، بل أستأني بهم، فأنزل الله قوله: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا (٥٩)} (الإسراء)»[1].

وقد أيد الله تعالى نبيه بالمعجزات الباهرات، وأعظمها معجزة القرآن الكريم، تلك المعجزة التي تخاطب العقول وتستحوذ على القلوب، وهي معجزة باقية صالحة للأمم جميعا، ولمستويات الناس كافة أبد الدهر، وما زال القرآن الكريم يثبت لأولي العلم كل يوم أنه وحي من الله، وليس من عند بشر، وأنه الذي بلغه رسول الله

[1] – صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنه (٢٣٣٣)، وصحح إسناده الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

للناس، هذا فضلا عن معجزاته الأخرى التي جرت على يديه، منها ما أثبته القرآن الكريم، ومنها ما جاء في سنته، فمن معجزاته في القرآن الكريم معجزة الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وإخباره بالغيب بجميع أنواعه: الماضي، والحاضر، والمستقبل، وما أكثر ما جاء في السنة من معجزات، كنبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع، وتكثير الطعام القليل[1].

ثالثا. الذي يعلم الغيب ويعلم ما في القلوب هو علام الغيوب وحده دون غيره:

ينسب بعضهم علم الغيب إلى عيسى استنادا إلى عبارة جاءت في العهد الجديد تقول: "فستعرف جميع الكنائس أني أنا هو الفاحص للكلى والقلوب، وسأعطي كل واحد منكم بحسب أعماله". (رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢: ٢٣). وينفي علم الغيب عن النبي استنادا إلى قوله تعالى: {ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير} (الأعراف: ١٨٨)

وللجواب عن هذا نقول: لا نسلم بأن عيسى يقول مثل هذا الكلام، فهو ليس إلها ولا ابن إله، حتى يوحي إلى يوحنا بهذا الكلام، وإذا كان عيسى سيكلف يوحنا برسالة إلى الكنائس كما جاء في مستهل رؤيا اللاهوتي، فإنما يكلفه بأن يدعو الناس إلى عبادة الإله الواحد، ومتى كانت الكلى موضع أسرار؟! على أي حال، إن الذي يعلم ما في القلوب هو علام الغيوب وحده دون غيره.

وأما قول الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: {ولا أعلم الغيب} (الأنعام: ٥٠) فهذا حق لا ريب فيه، فلا النبي يعلم الغيب من تلقاء نفسه، ولا غيره من البشر، ولكن النبي إذا علم، وظهر له من الغيب شيئا، فإنما بتعليم الله له، قال سبحانه وتعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول} (الجن)، وقد أظهر الله لنبيه من الغيب ما كان آية على صدقه، فقال سبحانه وتعالى: {غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤)} (الروم)، ولو لم يتحقق ما جرى على لسان النبي ونبوءته بهذا الحدث الكبير في هذه الأمة العظمى وهو حدث ترقبه العالم آنذاك لكذب الناس بالقرآن وما صدقه أحد، وهناك الكثير من الأحداث التي أخبرت بالغيب جاءت على لسان رسول الله في سنته؛ كإخباره بعلامات الساعة: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان»[2]. وقد تحققت هذه الأخبار وغيرها، مما يثبت صدقه صلى الله عليه وسلم.

ولو افترضنا أن عيسى قال هذا الكلام، فليس معنى ذلك أنه يعلم الغيب بل يكون علمه بأمور جزئية أعلمها الله له لتقع في المستقبل للدلالة على نبوته، كما أخبر النبي محمدﷺ عن أمور كثيرة تقع في المستقبل ووقعت بالفعل مثل فتن وملاحم آخر الزمان، وعلامات الساعة، والإعجاز العلمي الذي أخبر به القرآن والسنة، وما زال يقع ويتحقق حتى اليوم.

---

[1] – سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٩، ص٥٥٥: ٦١٨، ج١٠، ص١٣: ٩٠٠. دلائل النبوة، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٥٧: ١٦٤.

[2] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر (١٠٢).

رابعا. دليلهم على شفاعة عيسى للخطايا يتعارض مع العقل والواقع النصراني نفسه، وقد نفى الله شفاعة محمدﷺ في المنافقين:

في هذه المقارنة يثبتون الشفاعة لعيسى، وينفونها عن محمد ففي حق عيسى جاء في إنجيل يوحنا: "أنا قد جئت نورا إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة. وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم". (يوحنا ١٢: ٤٦، ٤٧). وفي حق محمد يستشهدون بقوله سبحانه وتعالى: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} (التوبة: ٨٠).

أما ما جعلوه دليلا على شفاعة عيسى لخطاياهم، وخطايا كل العالم، فهو يتعارض مع العقل والواقع النصراني نفسه؛ حيث إن شفاعة عيسى للخطايا تعد تحريضا على ارتكاب كل الرذائل والمنكرات، ما دام المسيح يشفع لكم بمجرد أن تؤمنوا بأنه المخلص، فهل ترضون معاشر القساوسة لأتباعكم أن يرتكبوا كل المنكرات باسم شفاعة عيسى وتكفيره لخطاياكم؟! وما جدوى مواعظكم في بني دينكم إذا كان الأمر كذلك؟

لقد فهم المسيحيون في الغرب الأمر على هذا الوجه، إنهم يستبيحون لأنفسهم كل الشهوات الدنيوية بلا حدود على اعتبار أن هذا حق الجسد من المتعة، ويكفيهم من أمر الآخرة أن المسيح مخلص لهم!

وأعجب من ذلك حينما يعممون القاعدة في حق العالم جميعا، حتى من لم يؤمن بالمسيح على طريقتهم فهل تكفر خطايا جميع العالم بشفاعة المسيح من آمن به، ومن لم يؤمن به؟!

إذن فليفسد العالم، ولينتشر الفسق والفجور ما دام المسيح سيشفع للعالم عن خطاياه في نهاية الأمر!

أما الآية التي استدلوا بها على نفي شفاعة نبينا محمد فهي واردة في حق المنافقين، وهم قوم أظهروا الإيمان، وأبطنوا الكفر، والنفاق أشرس أنواع الكفر، وأخطر من الكفر الصريح، فحق عليهم ألا يغفر لهم، وهذا إخبار من الله لنبيه، ما لم يكن يعلمه في شأنهم، وصدق الله القائل: {ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (١٢٣) ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (١٢٤)} (النساء)، إن الشفاعة لا تكون إلا لمن آمن بالله ورسوله واليوم الآخر، ومن آمن فإن إيمانه حتما سيدفعه إلى شيء من العمل، فيتداركه الله بشفاعة الشافعين في بعض ما قصر بمنه وكرمه.

خامسا. ما نسب ولفق للمسيح من دعوته للسلم في كل الأحوال مهانة ومذلة، لا يرضاها ذو مروءة وكرامة، فضلا عن نبي مرسل، فالأمر إذا اقتضى القتال فالعفو فيه تهاون وخذلان:

وهذه المفاضلة تدخل ضمن ترويج اتهام الإسلام بالإرهاب، وأنه انتشر بالسيف، وأن النبي سن لأمته الإرهاب، فكانوا إرهابيين، أما المسيحية فهي دعوة للمحبة والسلام. ويستدلون على منع يسوع أتباعه من استعمال السيف بقوله: "رد سيفك إلى مكانه؛ لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون". (متى ٢٦: ٥٢) وبقوله: "سمعتم أن قيل: عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا". (متى ٥: ٣٨، ٣٩).

أما محمدﷺ فقد حث أتباعه على استعمال السيف: {يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال} (الأنفال: ٦٥)، وهذه مغالطة ومناقضة، فهم لا ينقلون عن المسيح قوله: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما، بل سيفا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني". (متى ١٠: ٣٤: ٣٧).

"لكن المسيحية اضطرت في القرن الرابع أي بعد أن أصبح لها دولة تحت قيادة الإمبراطور قسطنطين أن تستأصل شأفة الوثنية من المملكة الرومانية بالحديد والنار؛ ثم لما حصلت الكنيسة على السلطة الزمنية، جعلت الحرب من وسائلها، فاتخذت الجيوش والأساطيل.. وهل يغيب عن ذاكرة أحد.. الحروب الصليبية أو ما ورد في الكتاب المقدس من أوامر بالقتل، والتدمير، والقهر، والاستئصال لسكان المدائن التي اختص بها بنو إسرائيل دون أهلها الأصليين([1]).

فكيف يلتقي هذا مع ما استدلوا به من ترك السيف؟! فإما أن يكون النصان متناقضين، وإما أن تكون تعاليم السيد المسيح مثل تعاليم النبي في هذا الأمر، وإن أخطئوا في تصويرها؛ فيكون العفو في موضعه، والقتال في موضعه، فإذا كان الأمر يقتضي قتالا لعدو معتد باطش؛ فالعفو هنا تهاون وفتنة في الدين، ومهانة لدين الله وتابعيه، وإن كان العفو عند القدرة يقود إلى تذوق سماحة الإسلام؛ للانقياد له فهو عفو مطلوب.

لكن هذه المهانة والمذلة التي تقولوها على السيد المسيح لا يرضاها ذو مروءة وكرامة فضلا عن نبي مرسل، فمن من العقلاء إذا لطمه شخص على خده حول له خده الآخر، ليلطمه بدل اللطمة لطمتين؟! وهل يرضى مسيحي بهذا من مسيحي مثله فضلا عمن يخالفه في الدين؟! هل عمل بهذا مسيحي في تاريخهم؟ كم لطموا الأبرياء بغير حق لطمات تلوثت بها أيديهم، وتلوثت بها صفحات التاريخ الذي كتب مآسيهم[2].

---

[1] – الإسلام دين الهداية والإصلاح، محمد فريد وجدي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م، ص١٨١، ١٨٢.

[2] – راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط١/٢٠١٢.

٢٦-ادعاء أن القرآن الكريم أقر أزلية المسيح

إن القرآن الكريم أقر أزلية المسيح ويستدلون خطأ على زعمهم بقوله سبحانه وتعالى: {إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم} (آل عمران: ٤٥)، قائلين: إن القرآن شهد للمسيح بأنه كلمة الله، وبما أن الله له صفة القدم، فإن كلمة الله قديمة، ونتيجة لذلك يكون عيسى أزليا.

الجواب:

أولا. **الأزلي هو الذي لا أول لوجوده ولا يكون إلا ذاتا وهو الله وما عداه حادث له أول**: إن كل موجود يسأل عمن أوجده، فهو حادث، ومن أوجده إما أن يكون أزليا أو حادثا، فإن كان حادثا فهو يسأل أيضا عمن أوجده، وهكذا تنتهي سلسلة المحدثات بنا إلى موجود واحد ليس قبله موجود وهو الله فالأزلي هو الله وحده، وصفاته أزلية؛ لأنه لا يكون إلها حقا إلا بتحققه بصفاته، والصفات لا تتحول إلى ذوات، كما زعموا تحول الكلمة إلى المسيح، وزاد بعضهم الأمر جهلا على جهل حينما زعموا أن عيسى كلام الله، وليس فقط كلمته، فخالفوا كتابهم المحرف، ومن على دينهم، وأضافوا إلى باطلهم باطلا! كيف يكون عيسى كلام الله؟ هل يقصدون أن الإنجيل هو عيسى مثلا؟!

ثانيا. المراد بلفظ "كلمة " يقع على خمسة أوجه هي:

١. أن الكلمة هي كلمة التكوين لا كلمة الوحي؛ ذلك أنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن الباري مما يعلو على عقول البشر، فقد عبر عنه بقوله: {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢)} (يس)، فكلمة "كن" هي كلمة التكوين وهنا يقال: إن كل شيء قد خلق بكلمة التكوين، وخص المسيح بإطلاق الكلمة عليه؛ لأن الأشياء تنسب في العادة والعرف عند البشر إلى أسبابها، ولما فقد في تكوين المسيح تلقيح ماء الرجل لما في الرحم من البويضات التي يتكون منها الجنين، أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله؛ لأن الله أكمل هذه الحلقة المفقودة في عملية خلق المسيح بقوله: {كن} فكان.

٢. لفظ "الكلمة" أطلق على المسيح لمزيد إيضاحه لكلام الله الذي حرفه اليهود حتى أخرجوه عن وجهه، وجعلوا الدين ماديا محضا، قاله الرازي، وجعل من قبيل ذلك وصف الناس للسلطان العادل بظل الله ونوره؛ لأنه سبب لظهور ظل العدل، ونور الإحسان، قال: فكذلك كان عيسى سببا لظهور كلام الله بسبب كثرة بياناته له، وإزالة الشبهات والتحريفات عنه.

٣. لفظ "الكلمة" أطلق على المسيح للإشارة إلى بشارة الأنبياء به. فقد عرف بكلمة الله، أي: بوحيه إلى أنبيائه، والكلمة تطلق على الكلام، كقوله سبحانه وتعالى: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (١٧١)} (الصافات).

٤. المراد بالكلمة "كلمة البشارة" فقوله: {بكلمة منه} أي: بخبر عنده أو بشارة، وهو كقول القائل: ألقى إلى فلان بكلمة سرني بها، أي: أخبرني خبرا فرحت به، قاله ابن جرير، واستشهد له بقوله سبحانه: {وكلمته

ألقاها إلى مريم} (النساء: ١٧١) أي: بشرى إلى مريم بعيسى ألقاها إليها([1])، قال القرطبي: وقيل: "كلمته" إشارة الله تعالى لمريم ورسالته إليها على لسان جبريل وذلك قوله: {إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه} (آل عمران: ٤٥).

٥. قيل: الكلمة هاهنا بمعنى الآية، قال الله سبحانه وتعالى: {وصدقت بكلمات ربها} (التحريم:١٢) و {ما نفدت كلمات الله} (لقمان: ٢٧)، وكان لعيسى أربعة أسماء: المسيح، وعيسى، وكلمة، وروح، وقيل غير هذا مما ليس في القرآن، ومعنى: {ألقاها إلى مريم} أمر بها مريم[2].

وذهب بعضهم إلى أن "عيسى" سمي كلمة الله من حيث إنه صار نبيا، كما سمي النبي رسولا، وعلى كل فليس إطلاق "كلمة" على المسيح يعد إطلاقا حقيقيا، فالكلمة لا تتجسد لتكون كائنا حيا، وهذا الكائن يكون إلها كما يزعمون حل في بطن مخلوق، فكيف تكون الكلمة الأزلية متصفة بصفات الحوادث؛ من حلوله في بطن مخلوق، وكونها محاطة بجدران الرحم، ودخول وخروج من الرحم، وغير ذلك من الصفات الخاصة بالحوادث، والتي لا تصلح صفات للقديم ولا للأزلي.

[1] – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٣، ص٢٥٠.
[2] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م،

٢٧–الزعم أن القرآن ينص على أن المسيح ابن الله

يزعم بعض المتوهمين أن القرآن الكريم يقرر أن المسيح هو روح الله، وروح الله غير مخلوقة، وإذا كانت روح الله مخلوقة وكلمته مخلوقة، فإن الله كان قبل خلقهن بلا روح ولا عقل، وهذا لا يمكن تصوره، ويستدلون على ذلك بقوله سبحانه وتعالى: {والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين (٩١)} (الأنبياء). مستدلين بذلك على أن عيسى ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

الجواب: **أولا. نسب المسيح عند النصارى يقرر بشرية المسيح، وأنه ليس ابن الله.**

إن زعم النصارى أن المسيح ابن الله، في نفس الوقت الذي ينسب فيه الكتاب المقدس عيسى إلى يوسف النجار، يدل على فساد هذا القول وعدم صحته؛ حيث ورد في إنجيل لوقا في نسب المسيح: " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف، بن هالي، بن متثات، بن لاوي، بن ملكي، بن ينا، بن يوسف، بن متاثيا، بن عاموص، بن ناحوم، بن حسلي، بن نجاي، بن مآث، بن متاثيا، بن شمعي، بن يوسف، بن يهوذا، بن يوحنا، بن ريسا، بن زربابل، بن شألتيئيل، بن نيري، بن ملكي، بن أدي، بن قصم، بن ألمودام، بن عير، بن يوسي، بن أليعازر، بن يوريم، بن متثات، بن لاوي، بن شمعون، بن يهوذا، بن يوسف، بن يونان، بن ألياقيم، بن مليا، بن مينان، بن متاثا، بن ناثان، بن داود، بن يسى، بن عوبيد، بن بوعز، بن سلمون، بن نحشون، بن عمينداب، بن أرام، بن حصرون، بن فارص، بن يهوذا، بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم، بن تارح، بن ناحور، بن سروج، بن رعو، بن فالج، بن عابر، بن شالح، بن قينان، بن أرفكشاد، بن سام، بن نوح، بن لامك، بن متوشالح، بن أخنوخ، بن يارد، بن مهللئيل، بن قينان، بن أنوش، بن شيت، بن آدم، ابن الله". (لوقا ٣: ٢٣ – ٣٨).

فالمسيح كما هو واضح من النص على فرض صحته لم ينسب لله، بل الذي نسب لله هو آدم، ويعني ذلك أن الكتاب المقدس نفسه يضع آدم في مكانة أعلى من المسيح.

ويذكر إنجيل متى نسب المسيح فيقول: "كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم، إبراهيم ولد إسحق... ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح". (متى ١ – ١٦). وورد فيه أيضا: "فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع؛ لأنه يخلص شعبه من خطاياهم، وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل. هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا، فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب، وأخذ امرأته ولم يعرفها، حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع". (متى ١: ٢١ – ٢٥).

إذن فآدم في زعمهم هو ابن الله، وأما المسيح فهو أحد أبناء آدم كما في كتبهم. وأما نحن المسلمين فعقيدتنا واضحة فهو ابن مريم، وهو كلمة الله ألقاها إلى مريم.

ومن الجدير بالذكر أن المسيح لم يدع "عمانوئيل" رغم أن هذا الاسم يطلق على من ليسوا بأبناء الله، كما أن النص يقول: إنها ستسميه "يسوع"؛ لكي تتحقق النبوءة القديمة التي تقول: إنه سيسمى "عمانوئيل"،

ومن فمهم وبلسانهم أنفسهم يدانون! فقد كان الناس جميعا يقولون بأن أبا عيسى هو يوسف النجار، لا نقول افتراء عليهم ذلك، بل إن أناجيلهم هي التي تقول، ومن ذلك: "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة". (يوحنا ١: ٤٥). "ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعي المسيح". (متى ١: ٥٥). "وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه، ويقولون: أليس هذا ابن يوسف"؟ (لوقا: ٤: ٢٢)، وكان عيسى يسمع ذلك منهم فلا ينكره عليهم، بل إن لوقا نفسه قال عن مريم ويوسف: إنهما "أبواه" أو "أبوه وأمه". ونص ذلك: "وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه، ليصنعا له حسب عادة الناموس، أخذه على ذراعيه". (لوقا ٢: ٢٧). "وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح. ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد. وبعدما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما. وإذ ظناه بين الرفقة، ذهبا مسيرة يوم، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف. ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل، جالسا في وسط المعلمين، يسمعهم ويسألهم. وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته. فلما أبصراه اندهشا. وقالت له أمه:«يا بني، لماذا فعلت بنا هكذا؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين!» فقال لهما:«لماذا كنتما تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي"؟ (لوقا ٢:٤١ – ٤٩)[1].

نصوص الكتاب المقدس أكبر دليل على أن المسيح ليس ابن الله:

إن الكتاب المقدس لم يقل: إن عيسى وحده هو ابن الله، بل لقد أطلقت هذه اللفظة على بشر كثيرين منذ أول الخليقة؛ حيث سمى آدم كما رأينا "ابن الله". وهذه شواهد على ما نقول، وهي أكبر برهان على أن كل ما يزعمه القوم كلام باطل بأدلة من كتابهم المقدس نفسه، لا من العقل والمنطق فحسب، ناهيك عن أدلة القرآن الكريم: "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات. فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب: «لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه، هو بشر. وتكون أيامه مئة وعشرين سنة». كان في الأرض طغاة في تلك الأيام. وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم". (تكوين ٦: ١ – ٤)، "قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا للرب مجدا وعزا". (المزامير ٢٩: ١)، "من في السماء يعادل الرب، من يشبه الرب بين أبناء الله". (المزامير٨٩: ٦)، "طوبى لصانعي السلام؛ لأنهم أبناء الله يدعون". (متى ٥: ٩).

فلماذا يخصون عيسى وحده بهذه الصفة، فضلا عن أن المسيح قد أخذه الشيطان ليجربه فوق الجبل ويدفعه إلى السجود، وليس من المعقول أن يجرب الشيطان الله، ليرى أيمكن أن يسجد له الله أم لا، كما أنه ليس من المعقول أن يكون رد الله على الشيطان هنا هو "اذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد". (لوقا ٤: ٨)، وهو ما يعني بكل جلاء أن عيسى كان ينظر لله على أنه "ربه" ومن الواجب

[1] – انظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م، ص٦٥ وما بعدها. المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة ،القاهرة،ط٢ ،١٩٨٨م ، ص٧٨ وما بعدها.

عليه أن يسجد له لا على أنه هو نفسه ولا على أنه "أبوه"، كما أنه قد سمى نفسه أيضا: "ابن الإنسان". (متى ١١: ١٩).

فهذا كتابهم المقدس يدلل على أن المسيح ليس ابن الله، وإلا لكان كل هؤلاء أيضا أبناء الله تعالى وهناك دليل آخر من أفواههم، حيث يقول د. شارل جنيبر الذي نشأ مسيحيا من أب مسيحي، وأم مسيحية في بيئة مسيحية صحيحة في كتاب "المسيحية: نشأتها وتطورها": والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه: إنه "ابن الله"، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين، كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير "ابن الله" على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين المتأثرين بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس منشئ الديانة المزعومة، والذي وقف وراء زعم ألوهية المسيح[١].

إن القرآن الكريم لم يذكر أن عيسى ابن الله، بل إن القرآن بين أنه بشر:

لقد دعا القرآن إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده؛ مما يدل على جهل الكافرين الفاضح بحقيقة الأمور، حيث إنهم تركوا كل هذه الآيات التي تقرر بشرية المسيح، وما هذا إلا لجهلهم واعتمادهم على منهج الانتقائية في الاستدلال بآيات القرآن الكريم.

ومن الآيات التي تبين بشرية المسيح، وتدعو إلى التوحيد قوله في سورة المائدة: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (٧٥)} (المائدة). وقال سبحانه وتعالى: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧)} (المائدة).

فهذا هو القرآن الكريم الذي تستدلون بكلامه يدعو إلى التوحيد، بل إنه يصف من يقول: إن المسيح ابن الله بالكفر، ولكن إذا احتاج ضوء النهار إلى دليل فلا يثبت في الأذهان شيء: {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦)} (الحج)[٢].

---

[١] – أساقفة كنيسة إنجلترا وألوهية المسيح، أحمد ديدات، ترجمة: محمد مختار، رمضان الصفناوي، علي عثمان، كتاب المختار، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٠٢، ٢٠٣.

[٢] – الرسول النكاح، والقمص المنكوح، د. إبراهيم عوض، مقال من شبكة الإنترنت.

ثانيا. أصل الإشكال عند النصارى في هذه الآية هو عدم فهمهم وإدراكهم للنص القرآني، واعتمادهم على منهج الانتقائية في الاستدلال بآيات القرآن:

يحاول النصارى الاستدلال بالقرآن الكريم على أن المسيح جزء من الإله، انفصل عن الكل، ولهم أن يعتقدوا من العقائد الباطلة ما يشاءون، أما أن يستدلوا على عقيدتهم الباطلة في أن عيسى ابن الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا بآيات القرآن الكريم التي تدعو إلى توحيد الله، وتحارب الوثنية بكل وسيلة، فهذا لا سبيل لهم إليه.

حيث إن الإشكال عند النصارى في هذه الآية هو عدم فهمهم، وإدراكهم للنص القرآني، أو فهمهم للنص القرآني وفق ما يروق لهم؛ واعتمادهم على منهج الانتقائية في الاستدلال بآيات القرآن الكريم.

ولو كان هذا الاستدلال بالآية الكريمة: {فنفخنا فيها من روحنا} (الأنبياء: ٩١) صحيحا، لكان هذا دليلا على بنوة آدم لله من باب أولى وليس عيسى وحده، فالله يقول: {فإذا سويته ونفخت فيه من روحي} (الحجر: ٢٩)، تماما مثلما جاء في الحديث عن عيسى وأمه.

بل ليس آدم وعيسى وحدهما فقط يصيران ابني الله إن صحت الآية دليلا، بل كل أبناء آدم يصبحون أبناء الله سبحانه وتعالى فالله يقول عن النوع الإنساني كله: {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين (٧) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (٨) ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (٩)} (السجدة).

وأما استدلالهم هذا فغير صحيح، بل هو استدلال فاسد، فلو أننا تأملنا القرآن الكريم حيث يقول عن آدم: {ونفخت فيه من روحي} مثلما يقول عن مريم: {فنفخنا فيها من روحنا} لوجدنا أن النفخ حسبما يقول، لم يتم في آدم وعيسى، بل في آدم ومريم.

إن الذي يترتب على ذلك أن يكون الخارج من آدم ومريم متشابها، أي: إن البشر جميعا، وهم الذين خرجوا من صلب آدم، يشبهون عيسى الذي خرج من رحم مريم، وعلى هذا فإما أن نقول: إن الطرفين جميعا البشر من ناحية، وعيسى من الناحية الأخرى آلهة إذا قلنا إن "الروح" تعني "الألوهية"، أو أن نقول: إنهم جميعا بشر على أساس أن "الروح" تعني "الحياة، والوعي، والإرادة، وما إلى ذلك"، وعلى النصارى والزاعمين أن عيسى ابن الله أن يختاروا الطريق للتمييز بين عيسى وأبناء آدم، وليعلموا أن الطريق أمامهم مسدود، إذ هما شيء واحد، على حد زعمهم.

فلو كان إلها لكان البشر جميعا آلهة، فأنت إله، وأنا إله، فإذا حكموا بذلك فلن تستقيم الحياة، ولن يكون لإرسال الرسل فائدة، وستكون الدنيا بأسرها عبثا، ولن تكون هناك خطيئة، فلا بد إذن أن يكونوا بشرا، فمن هنا نقول بأن عيسى بشر[1].

[1] – راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط١/٢٠١٢.

٢٨–ادعاء أن بنوة المسيح عليه السلام لله سبحانه وتعالى لا تنافي التوحيد

يدعي بعض المتوهمين أن بنوة عيسى لله ليست بنوة جسدية تناسلية، وإنما هي بنوة روحية كبنوة الفكر للعقل، والأبوة عندهم لها معان عدة؛ فهي قد تكون مجازية كقولك "أبو الخير"، وقد تكون شرعية كـ "التبني" في زعمهم، وقد تكون جوهرية كـ "تولد النور من النار"، وقد تكون روحانية كـ "بنوة عيسى من الله"؛ ولذلك فإن بنوة المسيح لا تنافي التوحيد في زعمهم.

الجواب:

١) لو كانت بنوة عيسى لله عز وجل بنوة روحانية كما يزعمون لكان من الأولى أن تكون هذه البنوة لآدم عليه السلام فهو أول من خلقه الله من البشر، ونفخ فيه من روحه.

٢) محاولة تفسير البنوة بأنها بنوة روحية محاولة باطلة؛ لأن عيسى مثل سائر الخلق في ذلك، هذا فضلا عن أن نسبة الولد لله عز وجل إنقاص من كمال عظمته.

٣) إقرار عيسى ببشريته في الكتاب المقدس وبكونه عبدا لله تأكيد منه على أن ادعاء البنوة لله ينافي التوحيد، فضلا عن أنها ذريعة للإشراك بالله.

أولا. إذا كانت بنوة عيسى لله بنوة روحانية كما يزعمون لكان من الأولى أن تكون هذه البنوة لآدم فهو أول من خلق الله من البشر، ونفخ فيه من روحه، لماذا لم يدع المدعون البنوة الروحانية هذه لآدم فمعجزة خلقه أعظم في النفوس البشرية من معجزة عيسى فقد خلق الله آدم من غير أب ولا أم، ثم نفخ فيه من روحه: {فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٢٩)} (الحجر)، وأما المسيح عيسى فقد خلقه الله من أم بلا أب، فأي المعجزتين أكبر؟! آدم الذي خلق من غير أب ولا أم، أم المسيح الذي خلق من أم بلا أب؟! {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩)} (آل عمران). ثم إن البشر جميعا نفخت فيهم الروح، فكل إنسان لا بد أن يوكل به ملك فينفخ فيه الروح: {فتبارك الله أحسن الخالقين (١٤)} (المؤمنون: ١٤)، {ثم سواه ونفخ فيه من روحه} (السجدة)، ومريم وكّل بها ملك نفخ فيها روح عيسى فجعله الله خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقد اعترف النصارى أنفسهم ببشرية المسيح وعدم تميزه في الطبيعة عن غيره من البشر، فهذا النجاشي وكان نصرانيا آنذاك لما سأل جعفر بن أبي طالب قائلا: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قال له جعفر: هو عبد الله ورسوله ورحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي بيده في الأرض فأخذ عودا، ثم قال: والله، ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. فهذا ملك من ملوك النصارى، يعترف ببشرية المسيح، وصدق القرآن فيما أتى به عن عيسى عليه السلام.

ومن الجدير بالذكر أن الكتاب المقدس ذكر أن أبا عيسى هو يوسف النجار، ومن ذلك: "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة". (يوحنا ١: ٤٥). "ويعقوب ولد

يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعي المسيح". (متى ١: ٥٥). "وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه، ويقولون: أليس هذا ابن يوسف"؟ (لوقا: ٤: ٢٢).

ثانيا. محاولة تفسير البنوة بأنها بنوة روحية محاولة باطلة؛ لأن عيسى مثل سائر الخلق في ذلك:

الأبوة الروحية إن قصد بها نفخ الروح، فالبشر جميعا منفوخ فيهم الروح، فلا فرق في ذلك بين سائر البشر وبين المسيح وإن قصد بها أنه مخلوق من أم بلا أب بشري، فإن آدم مخلوق من غير أب ولا أم، فأيهما أولى بالأبوة لو صحت؟! وإن قصدتم بالأبوة الروحية أبوّة الشيخ لمريديه، فهي أبوة روحية؛ لأنه يربي أرواحهم، وهم يتأثرون به في أخلاقهم، وصفاتهم المعنوية، لا أنهم يستمدون منه أسباب الحياة الجسدية، فلم يخرجوا من صلبه، ولكنهم نتاج عقله وتهذيبه، وتأثيره الروحي، إن قصد ذلك، فليس عيسى وحده ابنا روحيا لله بل كل المؤمنين الذين تهذبهم وتربيهم تعاليم الإله الواحد أبناء روحانيون لله عز وجل بهذا المعنى.

لكن وصف النصارى للأبوة بأنها أبوة روحية، يتعارض مع عقيدتهم في التجسيد، فإنهم يقولون: إن الكلمة تجسدت فصارت إلها، وابنا لله، فكيف تكون روحية، وهي متجسدة وصارت جسد إنسان؟ إن عقيدتهم في يسوع بإقرارهم تقضي بأن المسيح عليه السلام يجب أن يكون إما مجنونا، أو سيئا، أو إلها([1])، وتعالى الله أن يكون العبد المخلوق إلها.

والأب والابن من الأمور المتلازمة، فإذا وجد أب، وجد ابن، وإذا وجد ابن وجد أب، فلا وجود لأحدهما بدون الآخر، وذلك في غير آدم، وحواء، وعيسى. والبنوة نتاج زوجين متزوجين شرعا، أو بطريقة مشروعة، أقرها الشرع وباركها، وقامت على شروط الشرع.

وأما البنوة بالتبني كما زعموا كبنوة زيد بن حارثة لرسول الله فذلك عرف كان سائدا، وهو عرف فاسد باطل، وليس شريعة متبعة، وما عدا الأبوة الحقيقية التي ذكرناها الأبوة الشرعية الناتجة عن زواج مشروع فأبوة وبنوة مجازية، ومن ذلك قولنا: النور ابن النار، أو أبو الخير.

ثالثا. إقرار عيسى عليه السلام ببشريته في الكتاب المقدس، وبكونه عبدا لله:

يشير د. عبد المنعم فؤاد إلى أن الكتاب المقدس جاء فيه ما يقرر بشرية المسيح على لسان المسيح نفسه، وأنه ليس إلا عبدا لله، أرسله برسالته ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ولكن القوم ضلوا، فعبدوه من دون الله، والمسيح منهم براء، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا.

{وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦)} (المائدة)، وجاء في سفر أعمال الرسل قول بطرس عن المسيح: "أيها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضا تعلمون". (أعمال الرسل ٢: ٢٢)، فلم يقل بطرس: إن المسيح إله، ولا ابن إله،

---

[1] – يعترف موريس وايلز . أستاذ الإلهيات، والكتاب المقدس في كلية المسيح، بأكسفورد . بأن القساوسة كانوا يعلمونه هذه العبارة في وصف الثيبت للخدمة الكهنوتية انظر: أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، جون هك، ترجمة: نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ١٩٨٨م، ص٣١.

وإنما قال: هو رجل أجرى الله على يده معجزات، وكذلك قال بطرس في السفر نفسه: "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي جال يصنع خيرا ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس، لأن الله كان معه". (أعمال الرسل ١٠: ٣٨)، فقال: إن الله كان معه، كما أن الله مع جميع المرسلين، ولم يقل: إنه إله ولا ابن إله"، وكل هذا يبين لنا أن المسيح إنسان بشر، وأنه رسول الله، وأنه ليس إلا نبيا من أنبياء بني إسرائيل.

والمسيح دعا إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين، فقد جاء في إنجيل لوقا أنه سأله رئيس المجمع قائلا: "أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله". (لوقا ١٨: ١٨، ١٩).

لقد كان المسيح حريصا على نفي صفة الصلاح عن نفسه، وردها إلى الله وحده، فكيف يقال بعد ذلك: إن المسيح إله، أو ابن إله، ولما جاء رجل من الكتبة، وسمعهم يتحاورون رأى حسن إجابة يسوع، فسأله:"أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد". (مرقس ١٢: ٢٨، ٢٩)، فلم يدع أنه إله يعبد، ولكن موقفه أمام الله كموقف كل أنبياء بني إسرائيل.

هذه هي اعترافات السيد المسيح من كتبهم، فهل بعد ذلك يثبتون للمسيح الألوهية، أو الربوبية أو حتى البنوة؟ {قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفوا أحد (٤)} (الإخلاص)[١].

[١] – المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٨٦ وما بعدها. ومناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٤١٢هـ.

٢٩–قالوا إن المسلمين يثبتون العصمة للمسيح وينفونها عن محمدﷺ

الجواب: عقيدة المسلمين في جميع الأنبياء والرسل أنهم جميعا معصومون، وليس المسيح عليه السلام وحده، ومن ادعى غير ذلك فهو جاحد لا عقل له، والنبي محمدﷺ معصوم في قوله، وفعله، وبلاغه عن الله، وهذا ثابت عقلا ونقلا عند جميع المسلمين، ولم يخالف منهم في ذلك أحد.

التفصيل:

العصمة في الاصطلاح الشرعي فلها تعريفات متعددة أوضحها، وأنسبها للمعنى اللغوي أنها: لطف من الله سبحانه وتعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء[١]، وفي عصمة الأنبياء من المعاصي قبل النبوة يتردد سؤال هو: هل يجوّز العقل صدور الذنب من الأنبياء قبل النبوة أو لا؟

وللجواب عن هذا السؤال نوضح أن الذنوب تنقسم قسمين:

الأول: يستقل العقل بإدراك أنه ذنب فينفر صاحبه من ارتكابه كالزنا، والقتل العمد، ونحوهما، فهذا لا يجوّز العقل صدوره منهم لأمرين هما:

١. أن عقل الإنسان العادي الصحيح ينفر عنه، والأنبياء أصح الناس عقولا، فهم أولى بالامتناع والنفرة عنه.

٢. أن صدور هذا النوع من الذنوب منهم يكون وصمة عار تزعزع الثقة بهم بعد النبوة وتنفر الناس من اتباعهم.

والثاني: هو ما يتوقف معرفة أنه ذنب على الشرع، كالتعامل بالربا مثلا، فهذا النوع لا مانع لدى العقل من فعله، ولا تشريع قبل البعثة يمنع منه، ولا ينفر أتباع الأنبياء بعد البعثة، ولم ينقل إلينا أن أحدا من الأنبياء قد فعل شيئا منه قبل بعثته.

ولما كان الله لم يرسل إلى خلقه إلا من هو أعقل أهل زمانه، وأقواهم فطرة، وأحسنهم خلقا وخلقا؛ كان الأنبياء معصومين قبل النبوة وبعدها، ولم يقع ذنب من أحدهم قط.

والأنبياء في هذه العصمة من الذنوب سواء؛ لأنه لا فرق بين نبي وآخر في عصمة الله لهم، وأما صدور الصغائر قبل البعثة منهم فلا مانع من وقوعها عمدا أو سهوا؛ لعدم قيام دليل على المنع. ولا خلاف أن الأنبياء معصومون من الصغائر التي تزري بفاعلها، وتحط منزلته، وتسقط مروءته، وأما وقوع الصغائر من الأنبياء سهوا، أو خطأ في الاجتهاد فيجوز، وعلى هذا يحمل ما نسب إلى بعضهم من ذنوب في القرآن الكريم، والحديث الشريف، عوتبوا عليها، وأشفقوا منها، واستغفروا، وتابوا.[٢]

---

[١] – لسان العرب، ابن منظور، دار الفكر، مادة: عصم، نسيم الرياض، أحمد شهاب الدين الخفاجي، المطبعة الأزهرية المصرية، القاهرة، د. ت، ج٤، ص٣٩. راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط١/٢٠١٢.

[٢] – عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د. محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص١١٨، ١١٩.

فما ذكر في القرآن الكريم عن بعضهم يظهر منزلتهم برجوعهم إلى الله واعترافهم بتقصيرهم في جنب الله، فهذا يظهر مكانتهم ولا يزري بهم، والأنبياء معصومون زمان النبوة عن الكبائر والصغائر. أما الخطأ على السهو فهو جائز في غير الوحي والتشريع[1].

ثانيا. النبي محمدﷺ معصوم في قوله وفعله وبلاغه عن الله، وهذا ثابت عقلا ونقلا عند جميع المسلمين:

اختار الله لنبيه محمداً أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات من لدن آدم، وحواء إلى أبيه وأمه، وهذا من عناية الله بنبيه من قبل أن يولد. وبعد أن ولد حفظه الله من الشيطان، فلم يجعل له سبيلا إلى قلب محمدﷺ فقد شق صدره وقلبه، وهو صغير، واستخرجت منه العلقة السوداء، التي هي حظ الشيطان من الإنسان، ثم غسل قلبه حتى نقي[2].

وحفظه ربه من قبائح الجاهلية ومساوئها، فلم يتدنس بدنسها، يدل على هذا ما جاء عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله يقول: «ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية أي: ويفعلونه إلا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله منهما؛ قلت لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان قد تزوج بفلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الصوت، فغلبتني عيناي، فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك، فوالله ما هممت بشيء من ذلك بعد حتى أكرمني الله سبحانه وتعالى بنبوته»[3].

وثبتﷺ على هجر المآثم، فكان على الطريق المستقيم لم يعدل عنه، وأقسم الحق أن نبيه لم يعدل عن الطريق المستقيم، فقال: {والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣)} (النجم).

قال البيضاوي في معنى الآية: ما عدل محمدﷺ عن الطريق المستقيم، وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون إليه وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى[4].

وقال سبحانه وتعالى: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (١٦٤)} (آل عمران)، معنى الآية: "لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من جنسهم؛ ليتمكنوا من مخاطبته، وسؤاله، ومجالسته، والانتفاع به، فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته، ومراجعته في فهم الكلام عنه؛ ولهذا قال: (يتلو عليهم آياته) يعني القرآن: (ويزكيهم) يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر؛ لتزكو نفوسهم،

---

[1] – عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٤١: ٤٧.

[2] – الطبقات الكبرى، ابن سعد، مطبعة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، د. ت، ج١، ص١٣١.

[3] – حسن: أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق (٦٢٧٢)، وحسن إسناده الأرنؤوط في تعليقه صحيح ابن حبان.

[4] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٨م، ج٢، ص٣٤٠.

وتطهر من الدنس، والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم، (ويعلمهم الكتاب والحكمة): القرآن والسنة، (وإن كانوا من قبل) هذا الرسول (لفي ضلال مبين) لفي غي وجهل ظاهر بين لكل أحد"[1].

ومما وصف به نبينا في التوراة والإنجيل أنه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، قال سبحانه وتعالى: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر} (الأعراف: ١٥٧)، وإذا كان نبينا آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، فهل يترك معروفا، أو يأتي منكرا؟ كلا. ومن هنا يقطع ببعده عن المآثم والمعاصي، ونزاهته عن كل ما يخالف دعوته، وتثبت له العصمة، ثم إن ربه قد وصفه بأنه نور يضيء للناس حياتهم، وتبصر به بصائرهم، ويخرجهم من ظلمات جهالاتهم، قال سبحانه وتعالى: {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦)} (الأحزاب).

ومن كان بهذه المكانة؛ فإنه يكون في أقواله وأفعاله مثالا يحتذى به في فعل كل خير، والبعد عن كل شر؛ لأن من يترك الخير، أو يفعل الشر لا يهدي غيره، ولا يضيء للآخرين حياتهم.

وحتى يستضاء بنوره، ويهتدى بهديه كان متواضعا للمؤمنين رفيقا بهم، كما أمره ربه بذلك في قوله سبحانه وتعالى: {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥)} (الشعراء)، وكان متسامحا يعفو عن المسيئين، ويأمر بالمعروف، ولا يكافئ الجاهلين بمثل أفعالهم تنفيذا لأمر ربه بذلك في قوله سبحانه وتعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (١٩٩)} (الأعراف)، ولا عجب أن يكون على هذا الخلق العالي؛ وقد اقتدى بهدي الرسل جميعا كما أمره ربه بقوله: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} (الأنعام:٩٠) وتخلقﷺ بأخلاقهم.

وأخيرا، وبعد زمان طويل بدأ المنصفون من غير المسلمين في الاعتراف بصدق محمدﷺ وكمال رسالته، واعتباره "الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على كلا المستويين: الديني والدنيوي، فهو قد دعا إلى الإسلام، ونراه كواحد من أعظم الديانات، وبعد أربعة عشر قرنا من وفاته؛ فإن أثره ما يزال متجددا"[2].

---

[1] – تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج١، ص٤٢٤.

[2] – انظر: المائة الأعظم أثرا في التاريخ، ميخائيل هارث، ترجمة: علي الجوهري، مكتبة القرآن، القاهرة، د. ت. راجع: موسوعة بيان الاسلام، الرد على الافتراءات والشبهات، بقلم كبار العلماء، قسم القرآن، دار نهضة مصر ، ط١/٢٠١٢.

مراجع أساسية للبحث.

القرآن الكريم.

كتب التفسير.

كتب السنة النبوية وشروحها.

كتب علم اللغة وفقهها.

الكتاب المقدس. طبعة: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (النسخة البرتستانتية).

الكتاب المقدس. طبعة: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (النسخة الأرثوذكسية الكاثوليكية).

الكتاب المقدس. طبعة: الرهبانية اليسوعية (نسخة كاثوليكية أصدرها الآباء اليسوعيون). توزيع جمعيات الكتاب المقدس في المشرق. بيروت.

الترجمة العربية المشتركة، (أصدرها علماء ولاهوتيون كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (الطبعة الرابعة للعهد القديم، الطبعة الثلاثون للعهد الجديد).

الكتاب المقدس. (الأسفار المقدسة العبرانية، الأسفار المقدسة اليونانية). ترجمة العالم الجديد (نسخة شهود يهوه).

الكتاب المقدس. (الأسفار المقدسة العبرانية، الأسفار المقدسة اليونانية). ترجمة العالم الجديد.

إنجيل برنابا. ترجمة: خليل سعادة. ط. دار الوثائق. الكويت، ١٤٠٦ هـ.

موسوعة بيان الاسلام، الرد على الإفتراءات والشبهات، القسم الاول القرآن، بإشراف مجموعة من العلماء والباحثين، نشر دار نهضة مصر ط١/٢٠١٢.

افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام، الدكتور علي بن عتيق الحربي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

د.سامي عامري، ((هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟)) وتحته عنوان جانبي (نقض شبهة المنصرين والمستشرقين، وإثبات إعجاز القرآن الكريم في ضوء حقائق التاريخ والعلم). مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان سنة ٢٠١٠

المصادر والمراجع.

ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ت/ عبد الرحمن المعلمي، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م

ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ت/ محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث، د.ت

ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت/محمود الطناجي وطاهر أحمد زاوي، الحلبي، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م

أحمد أبيش، التلمود، كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، ٢٠٠٦م

أحمد البنعلي، مجموعة الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م

أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكة المكرمة: ١٤٠١هـ، ١٩٨١م

أحمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د.ت

"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن": محمد الأمين بن محمد المختار. (طبع على نفقة سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز عام ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .

"إعجاز القرآن العلمي": محمود مهدي الاستانبولي. (الطبعة الثانية مكتبة السوادي للتوزيع – جدة) .

أحمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ط٢

أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، ت/ محمد إسماعيل ومسعد السعدني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م

أكرم ضياء العمري، مرويات السيرة النبوية، بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين، نسخة الكترونية

أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م

الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٥هـ

البخاري، الجامع الصحيح، الرياض: دار السلام، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ط٢

ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت/ عادل مرشد، عمّان: دار الإعلام، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م

ألبير بايه، أخلاق الإنجيل، دراسة سوسيولوجيّة، ت/عادل العوا، دمشق: دار الحصاد، ١٩٩٧م

الألوسي، روح المعاني، ت/محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

إبراهيم الجبهان، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٤هـ.

إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة ١٩٦٤م.
إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.
أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ.
أحمد نوفل، سورة يوسف: دراسة تحليلية، دار الفرقان. عمّان ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م.
إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٣٠٠، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ط٢: ١٩٨٤م.
ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥٧م.
إسماعيل سالم عبد العالم، المستشرقون والقرآن، سلسلة دعوة الحق. عن رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٠٤، مكة المكرمة ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.
أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي الرياض (٢٢. ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ، ٣١ اكتوبر. ٣ نوفمبر ١٩٩٩م) .
ل شاتيله، الغارة على العالم الإسلامي، نشر محب الدين الخطيب. بيروت، د. ت.
أنيس فريحة، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران. بترجمة إبراهيم مطر. بيروت ١٩٥٧م.
البغوي، معالم التنزيل، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م
بكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظيّة، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م
البهوتي، كشاف القناع، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ
البيهقي، السنن الكبرى، ت/ محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ط٣
ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مصر: مطبعة المدني، د.ت
ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المدينة المنوّرة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م
ابن تيمية، منهاج السنة، ت/ محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦ هـ
ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ت/ علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ ، ط١
ابن حجر، لسان الميزان، ت/ عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م
ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ت/ عبد الله الرحيلي، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م
ابن حزم، إحكام الأحكام، القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٤هـ
ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ت/ محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، د.ت
ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ت/محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، د.ت
ابن سعد، الطبقات الكبير، ت/ علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م
أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م
بابا دو بولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، منشورات النور، بيروت ١٩٨٤م.
البيجوري، تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٣م.
التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التبشيري) ، دون بيانات.
التهامى نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع. تونس ١٩٧٤م.
توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية.
تيودور أبو قرة، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، بتحقيق: اغناطيوس ديك. بيروت ١٩٨٢م.
ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ط٣، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤م
"تأويل مشكل القرآن": عبد الله بن مسلم ابن قتيبة. شرح ونشر السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية. المدينة المنورة (الطبعة الثالثة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .
"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان": عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .
"جامع الدروس العربية": مصطفى الغلاييني. (الطبعة الثامنة عشرة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .
"ديوان امرئ القيس": دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) .
"الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوهُ على غير تأويله: أحمد بن محمد بن حنبل. توزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية، السعودية.
"رسالة راهب فرنسا للمسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها: تحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي. طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية، الرياض
"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني": محمود الألوسي. (إدارة الطباعة المنيريه) .

عبد الجليل شلبي، مفتريات المبشرين على الإسلام، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، ط٢
الحاكم، المستدرك على الصحيحين، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي، القاهرة: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م
جلال العالم، دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، مكتبة الصحابة جدة . مكتبة التابعين، القاهرة. ١٩٩٤م.
جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر) ، (عدد ٦١٠) ، والعدد (٦١٢) ربيع الأخر ١٣٦٤هـ . مارس ١٩٤٥م.
جورج عطية، الجدل الديني المسيحى . الإسلامي في العصر الأموى وأثره في نشوء علم الكلام، . جامعة اليرموك. عّمان ١٩٨٩م.
جوستاف لوبون، حضارة العرب، بترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٦٩م.
جولد تسهر، مذاهب التفسير الإسلامي، بترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥٥م.
العقيدة والشريعة في الإسلام، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة ١٩٤٨م.
جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم، بترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٨م.
حسن طبل، حول الإعجاز البلاغى للقرآن، مكتبة الإيمان، ط١، مصر ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م.
حسين علي محمد، القرآن ونظرية الفن، القاهرة ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.
حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربيّة، ١٩٧١م
حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، دمشق: دار القلم، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٢
حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م
ابو الحسن الندوي، النبوّة والأنبياء في ضوء القرآن، القاهرة: المختار الإسلامي، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، ط٤
أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م
الخازن، تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م
خالد كبير علال، أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط، حول القرآن ونبيّ الإسلام، دار المحتسب، نسخة إلكترونيّة
الذهبي، تاريخ الإسلام، ت/ عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م
عبد الراضي محمد عبد المحسن، الغارة التنصيريّة على أصالة القرآن الكريم، نسخة إلكترونية
ربحي كمال، دروس اللغة العبريّة، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ط٣، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.
دانييل ساهاس، جدل يوحنا الدمشقى مع الإسلام، مجلة الاجتهاد بيروت، عدد (٢٨) السنة السابعة (١٤١٦هـ . ١٩٩٥م) .
رشا الصباح، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، مجلة عالم الفكر، عدد (٣) المجلد الخامس عشر. وزارة الإعلام، الكويت.
رشاد عبد الله الشامى، الشخصية اليهودية، سلسلة عالم المعرفة العدد (١٠٢) . وزارة الإعلام بالكويت.
رشيد رضا، الوحى المحمدى، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٩١هـ . ١٩٧١م.
روم لاندو، الإسلام والعرب، بترجمة منير البعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م.
زينون كاسيدوفسكي، الحقيقة والأسطورة في التوراة، الأبجدية للنشر. دمشق ١٩٩٠م.
رشدي البدراوي، موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟، نسخة إلكترونيّة
روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، إشكالية الأساطير الشرقيّة القديمة في العهد القديم، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٠م، ط٢
الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م
الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت/ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي حجازي، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ، ١٩١٩٨م
سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، نشرة موسى برلمان، مطبوعات جامعة كاليفورنيا ١٩٦٧م.
سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.
سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م. في ظلال القرآن، دار الشروق. القاهرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
عبد الجواد المحص، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، الدار المصرية. الاسكندرية ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.
أدب القصة في القرآن الكريم، الدار المصرية بالاسكندرية ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.
عبد الحميد مدكور، الترجمة والحوار مع الآخر، كتاب المؤتمر الدولى الأول للفلسفة الإسلامية المنعقد بدار العلوم. القاهرة ١٩٩٦م.
عبد الراضى محمد عبد المحسن، أسس فلسفة الأخلاق الإسلامية، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، السنة السادسة. عدد ٦، القاهرة ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.

موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت ١٩٨٩م.
عبد الرحمن حبنكة الميداني أجنحة المكر الثلاثة، دار العلم، دمشق، ط٥، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، العبيكان، ط١، الرياض ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
عبد اللطيف الطيباوى، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، الترجمة العربية الملحقة بكتاب الفكر الإسلامي الحديث. د. محمد البهى. مكتبة وهبة، ط٨، ١٩٧٥م.
ابن العسال، الصحائح في جواب النصائح، القاهرة سنة ١٦٤٣ قبطية.
علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
التنصير، ١٩٩٣م بدون بيانات.
علي جريشة - محمد الزبق، أساليب الغزو الفكرى، ط٢، دار الاعتصام. مصر.
عمر الأشقر، عالم الملائكة، دار النفائس. الأردن ١٩٩٥م.
عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة. الرياض ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، ت/ عبد الرحمن اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م
عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه، تعريب/ كمال جاد الله، القاهرة: الدار العالميّة للكتب والنشر، ١٩٩٩م
سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربية وتطوراتها؛ من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٨م، ط٢
سهيل زكار، التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٨م، ٢٠٠٧هـ
سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ط٣٤
ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، بيروت: دار المعرفة، د.ت
السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت/عبد الله التركي، القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، د.ت
شنودة الثالث، سنوات مع أسئلة الناس، أسئلة عقيديّة ولاهوتيّة-ب، القاهرة: ٢٠٠١
شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشّرين، دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م
الشوكاني، فتح القدير، بيروت: دار الفكر، د.ت
صموئيل يوسف خليل، المدخل إلى العهد القديم، القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٥م ، ط٢
الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت
الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت
الطبري، تفسير الطبري، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ
الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٦م، ٢٠٠٥م
عباس محمود العقاد، المجموعة الكاملة لمؤلّفات الأستاذ عباس محمود العقاد، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٨م
ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م
العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ت/ علي محمد اليحياوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت
ابن العربي، أحكام القرآن، ت/ محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الفكر، د.ت
ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت/عبد السلام محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م
عفيف عبد الفتاح طباره، روح الدين الإسلامي، بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٩٣م، ط٢٨
علي الريس، تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، نسخة إلكترونيّة
علي علي منصور، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، بيروت: دار الفتح، ١٣٩٠هـ،١٩٧٠م
عمر سليمان الأشقر، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، عمان: دار النفائس، ١٤١٤هـ، ١٩١٤م، ط٢
عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، الكويت: مكتبة الفلاح، ط٤، ١٩٨٩م-١٤١٠هـ
القاضي عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ت/ طه عبد الرؤوف سعد وخالد بن محمد بن عثمان، القاهرة: مكتبة الصفا، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م
العيني، عمدة القاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت
عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م
فروخ - الخالدى، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، المكتبة العصرية. بيروت ١٩٨٦م.
ابن الفوطى، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بتحقيق مصطفي جواد، بغداد ١٩٣٢م.
فريد مصطفي سليمان، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعى . الرياض ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣م.
كارل ساغان، الكون، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨) ، وزارة الإعلام بالكويت.
لويس شيخو، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٤٢م.
مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى، طبع الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٦م.
لويس غرديه . جورج قنواتى، فلسفة الفكر الدينى، دار العلم للملايين، ط١، بيروت ١٩٦٧م.
ابن قتيبة، غريب الحديث، ت/ عبد الله الجبوري، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ
قحطان الدروي، أميّة الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م
ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ت/ محمد سيد كيلاني، القاهرة: مكتبة التراث، د.ت
ابن القيم، بدائع الفوائد، ت/ هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م
ابن القيم، زاد المعاد، ت/ شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م
ابن كثير، أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت
ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م
ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: مؤسسة الريّان، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ط٢
عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلاميّة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ط١٥
القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ت/ صالح الشامي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ط٢
لؤي فتوحي وشذى الدركزلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكّر، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م
المباركفوري، تحفة الأحوذي، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت
محمد بن طاهر البرزنجي ومحمد صبحي حسن حلّاق، ضعيف تاريخ الطبري، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م
محمد بيومي مهران، إسرائيل، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، ١٩٩٩
محمد بيومي مهران، دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم، بيروت: دار النهضة العربيّة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ط٢
محمد جمال الدين الفندي، الإسلام وقوانين الوجود، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٢م
محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت: دار النفائس، ط٦، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م
محمد صالح المنجد، ١٠٠ فائدة من قصة يوسف، نسخة إلكترونيّة
محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، الكويت: دار القلم، د.ت
محمد عبد الله دراز، بحوث ممهدة في دراسة الأديان، الكويت: دار القلم، د.ت
محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظريّة في القرآن، ت/عبد الصبور شاهين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٩٦م
محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ت/ محمد عبد العظيم علي، الكويت: دار القلم، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م
محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٢
محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دمشق: دار القلم، ١٩٩٠م
محمد عمارة، الإسلام في عيون غربيّة، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م
محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دمشق: دار الرشيد، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ط٣
المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق/ بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م
المسعودي، التنبيه والأشراف، ت/ م. ج. دو غوج، ليدن: بريل، ١٨٤٣م
معاذ عليّان، عبادة مريم في المسيحيّة والظهورات المريميّة، القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٩
ابن معين، تاريخ ابن معين، رواية الدوري، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠ هـ
ابن مفلح، الآداب الشرعيّة، ت/ شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م
مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبويّة في ضوء المصادر الأصليّة، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م
مسلم، المسند الصحيح، الرياض: دار المغني، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م
المناوي، فيض القدير، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م

منقذ السقار، هل العهد القديم كلام الله، نسخة الكترونية
موشيه مردخاي تسوكر، التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة، ت/أحمد محمود هويدي، القاهرة: مركز الدراسات الشرقيّة جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م
مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، بترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢هـ . ١٩٨١م.
محمد أبو فراخ، تراجم القرآن الأجنبية في الميزان، مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية. العدد الرابع (عام ١٤٠٢هـ . ١٤٠٣هـ) .
محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
محمد البهى، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، الإدارة العامة للثقافة . مطبعة الأزهر. القاهرة، د. ت.
محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقى في المجتمعات الإسلامية، دار عين للبحوث والدراسات. القاهرة ١٩٩٧م.
محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي . المسيحي، دار النفائس، بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
محمد الشرقاوى، الاستشراق، مطبعة المدينة. القاهرة. د. ت.
محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، ط٢، بيروت ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.
محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت ١٣٩١هـ . ١٩٧١م.
محمد عبد الواحد عسيرى، صورة الإسلام والمسلمين في قاموس الأديان، بحث مقدم إلى ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي المنعقدة في الرياض (٢٢ . ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ / ٣١ أكتوبر . ٣ نوفمبر ١٩٩٩م) .
محمد عثمان بن صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م.
محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطة، ط١، ١٩٩٢م.
محمد فتحى عبد الهادى، المصادر المرجعية عن الإسلام والمسلمين، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي.
محمد الفيومى، الاستشراق رسالة استعمار، ص ٤٦٤ . ٣٦٥، دار الفكر العربى. القاهرة ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م.
محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت، دائرة الثقافة والفنون. عمان ١٩٦٧م.
موريس بوكاى، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دار المعارف. لبنان ١٩٧٧م.
"مغني اللبيب عن كتب الأعاريب": عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
"المفضليات": المفضل بن محمد الضبي: تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة السابقة، دار المعارف "مصر".
"من معجزات النبي صلى" عبد العزيز السلمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م.
"النحو الوافي" عباس حسن، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر.
"نزول عيسى بن مريم آخر الزمان": جلال الدين السيوطي: دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا. ط (١) دار الكتب العلمية ببيروت.
نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، ط٤، مصر.
ناصر القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، عرض ونقد، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ط٢
ابن النديم، الفهرست، بيروت: دار المعارف، د. ت
ابن هشام، السيرة النبويّة، ت/ عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٣
الهيثمي، مجمع الزوائد، ت/ عبد الله محمد الدرويش، بيروت: دار الفكر، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م
أبو الوليد الباجي، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب أبي الوليد الباجي عليها، ت/ محمد عبد الله الشرقاوي ،القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٦م
أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ت/ عبد المجيد التركي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٠م-٢٠٠١م، ط٣
ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م
يني ميماريس، كتالوج المخطوطات العربية المكتشفة حديثًا بدير سانت كاترين المقدس بطور سيناء، أثينا: الهيئة القومية اليونانية للبحوث، ١٩٨٥م
يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، بترجمة عمر العالم، ط١، دار قتيبة، دمشق . بيروت ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م.

الكتب اليهودية والنصرانية ونقدها.

إظهار الحق. رحمة الله الهندي. تحقيق: محمد أحمد ملكاوي. ط١. دار الحديث. القاهرة، ١٤٠٤هـ.
الإله الذي لا وجود له. أحمد ديدات. ترجمة: رياض أحمد باهري. ط٢. بيت الحكمة. القاهرة، ١٤١٣هـ.
براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح. محمد حسن عبد الرحمن. ط١. دار الكتاب الحديث، ١٤٠٩هـ.
تاريخ البطاركة، ساويرس ابن المقفع، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، ط١، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦م.

تجسد الكلمة، البابا أثناسيوس، ط٣، مؤسسة القديس أنطونيوس، القاهرة.
التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من العلماء اللاهوتيين.
دعوة الحق بين المسيحية والإسلام. منصور حسين عبد العزيز. ط٢. مكتبة علاء الدين. الإسكندرية، ١٩٧٢م.
سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس. عبد الله العلمي (ت ١٣٥٥هـ). ط١، ١٣٩٠هـ.
شرح أصول الإيمان، الدكتور القس أندرواس واطسون، والدكتور القس إبراهيم سعيد، ط٤. دار الثقافة المسيحية.
شرح إنجيل القديس يوحنا، الأب متى المسكين، مطبعة: دير القديس أنبا مقار،١٩٩٠م.
شرح بشارة لوقا، القس الدكتور إبراهيم سعيد، ط٤، دار الثقافة المسيحية، ١٩٨٦م.
طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون. أحمد عبد الوهاب. مكتبة وهبة. القاهرة.
عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية. حسني يوسف الأطير. ط١. دار الأنصار. ١٤٠٥هـ.
العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. محمد طاهر. محمد المجذوب. دار الشواف، ١٩٩٢م.
علم اللاهوت النظامي. جيمس أنس. مراجعة القس منيس عبد النور. الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة. القاهرة
الفارق بين الخالق والمخلوق. عبد الرحمن البغدادي. ضبط وتعليق: عصام فارس الحرستاني. ط١. مكتبة دار عمار. عمان، ١٤٠٩هـ.
الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم. محمد علي البار. ط. دار القلم. دمشق، ١٤١٠هـ.
الله واحد أم ثالوث. محمد مجدي مرجان. دار النهضة العربية.
المدخل إلى العهد القديم، د. صموئيل يوسف، ط٢، دار الثقافة المسيحية، القاهرة.
المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم. محمد علي البار. دار القلم. دمشق، ١٤١٠هـ.
المسيح إنسان أم إله. محمد مجدي مرجان. تحقيق: عبد الرحمن دمشقية. مكتبة الحرمين.
المسيح بين الحقائق والأوهام. محمد وصفي. دار الفضيلة.
المسيح في مصادر العقائد المسيحية. أحمد عبد الوهاب. ط٢. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٤٠٨هـ.
المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح. علاء أبو بكر. ط١. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٤١٨هـ.
المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان. أحمد ديدات. جمع وترتيب: أحمد السقا. ط١. مكتبة زهرة، ١٤٠٨هـ.
مناظرة العصر. أحمد ديدات والقس أنيس شروش. ترجمة: علي الجوهري. دار الفضيلة.
مناظرتان في استكهولم. أحمد ديدات والقس شوبرج. دار الفضيلة.
موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي. ترجمة: حافظ الجمالي. ط١. دار طلاس للدراسات والترجمة. دمشق. ١٩٩١م.
النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام. أحمد عبد الوهاب. ط١. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٤٠٠هـ.
الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح)، الأب متى المسكين، ط١، مطبعة دير القديس أنبا مقار، ١٩٩١م.
الإنجيل والصليب. عبد الأحد داود. القاهرة، ١٣٥١هـ.
براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح. محمد حسن عبد الرحمن. ط١. دار الكتاب الحديث، ١٤٠٩هـ.
التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من العلماء اللاهوتيين.
خديعة الشيطان. أحمد ديدات. ترجمة: رياض أحمد باهبري. بيت الحكمة. ط٢. القاهرة. ١٤١٣هـ
الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام. أميمة أحمد الشاهين الجلاهمة. دار زهراء الشرق. القاهرة.
دراسة عن التوراة والإنجيل. كامل سعفان. دار الفضيلة. القاهرة.
دعوة الحق بين المسيحية والإسلام. منصور حسين عبد العزيز. ط٢. مكتبة علاء الدين. الإسكندرية، ١٩٧٢م.
دين الله في كتب أنبيائه. محمد توفيق صدقي أفندي. ط١. دار المنار، ١٣٣٠هـ.
شرح بشارة لوقا، القس الدكتور إبراهيم سعيد، ط٤، دار الثقافة المسيحية، ١٩٨٦م.
العقائد المسيحية بين القران والعقل. هاشم جودة. ط٢. المركز العربي للنشر والتوزيع.
العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. محمد طاهر التنير. محمد المجذوب. دار الشواف، ١٩٩٢م.
عقيدة الصلب والفداء. محمد رشيد رضا. الفتح للإعلام العربي، ١٤١١هـ.
الغفران بين الإسلام والمسيحية. إبراهيم خليل أحمد. ط١. دار المنار. القاهرة. ١٤٠٩هـ.
الفارق بين الخالق والمخلوق. عبد الرحمن البغدادي. ضبط وتعليق: عصام فارس الحرستاني. ط١. مكتبة دار عمار. عمان، ١٤٠٩هـ.
قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة. محمد أبو الغيط الفرت. ط١. در الطباعة المحمدية، ١٤١٠هـ.
القاموس الموجز للكتاب المقدس": حنا الله جرجس ووهيب مالك طبع مكتبة كنيسة الأخوة – مصر – عام ١٩٨٣م.

ما هي النصرانية. محمد تقي العثماني. رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة، ١٩٨٤م.
محاضرات في مقارنة الأديان. إبراهيم خليل أحمد. ط٢. دار المنار. القاهرة، ١٤١٢هـ.
المسيح بين الحقائق والأوهام. محمد وصفي. دار الفضيلة.
المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل. عبد الكريم الخطيب. ط١. دار الكتب الحديثة، ١٩٦٥م.
المسيح في مصادر العقائد المسيحية. أحمد عبد الوهاب. ط٢. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٤٠٨هـ.
مسيحية بلا مسيح. كامل سعفان. دار الفضيلة، ١٩٩٤م.
المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح. علاء أبو بكر. ط١. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٤١٨هـ.
كتاب المزامير، القمّص تادرس يعقوب ملطي، نشر: كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج
معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير. إبراهيم الجبهان. ط٤. عالم الكتب للنشر والتوزيع. الرياض، ١٩٨١م.
"نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس" دراسة مقارنة من خلال أسفار العهد الجديد: علي عتيق الحربي بحث ماجستير عام ١٤٠٧هـ.
"أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحين في الإسلام": عبد الرحمن الجزيري. (الطبعة الأولى (١٣٥٣هـ-١٩٣٤م)) .
"إظهار الحق": رحمت الله بن خليل الهندي. (تحقيق عمر الدسوقي) . (المكتبة العصرية في بيروت) .
"الإنجيل والصليب": عبد الأحد دواود. (تعريب مسلم عراقي) (القاهرة،١٣٥٠هـ) .
"بماذا يؤمن المسيحيون": جورجيا هاركنس (ترجمة إسحاق مسعد القاهرة. (دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية) .
"تفسير انجيل متى": مجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس: (مكتبة النيل المسيحية) .
"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح": أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية. تحقيق وتعليق د. علي بن حسين ناصر الطبعة الثانية (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)
"رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه إلى الإسلام ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية. طبع
مصر عام (١٨٩٥م) .
"العقائد الوثنية في الديانة النصرانية": محمد طاهر التنير – بيروت – ١٣٣٠هـ.
"القرآن والمبشرون" الطبعة الثانية: محمد عزة دروزة (١٣٩٢هـ،١٩٧٢م) .
"معالم حضارات الشرق الأدنى القديم" محمد عصفور، لبنان دار النهضة ١٩٨١م.
"المسيحية" أحمد شلبي ط (٧) القاهرة مكتبة النهضة المصرية (١٩٨٣م) .
عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، نسخة إلكترونية
قاموس الكتاب المقدس، نسخة إلكترونية